جامعة الأزهر - غزة
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية
برنامج ماجستير العلوم السياسية



طروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد
" دراسة تحليلية مقارنة "

The propositions of Fukuyama and Huntington and the New World Order
"A Comparative Analysis Study"

إعداد الباحث
يحيى سعيد محمد قاعود

إشراف
الدكتور/عبد الناصر قاسم الفرا
أستاذ العلوم السياسية المشارك

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية - جامعة الأزهر - غزة

1435هـ - 2014م

جامعة الأزهر – غزة
عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي
كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية
ماجستير العلوم السياسية



نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بجامعة الأزهر – غزة على تشكيل لجنة المناقشة والحكم على أطروحة الطالب/**يحيى سعيد محمد قاعود**، المقدمة لكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية وعنوانها:

طروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد
-دراسة تحليلية مقارنة-

وتمت المناقشة العلنية يوم الثلاثاء بتاريخ 2014/05/13م.

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الطالب/ **يحيى سعيد محمد قاعود**، درجة الماجستير في الاقتصاد والعلوم الإدارية تخصص العلوم السياسية.

توقيع أعضاء لجنة المناقشة والحكم :

د. عبدالناصر قاسم الفرا	(مشرفاً ورئيساً)	....	التاريخ: ٢١ / ٥ / 201٤م
د. كمال محمد الأسطل	(مناقشاً داخلياً)	....	التاريخ: ٢١/ ٥/ 201٤م
د. خالد رجب شعبان	(مناقشاً خارجياً)	....	التاريخ: ٢١/ ٥/ 201٤م

20-05-2014

جـــامعــــــة الأزهــــــــــر – غـــــــزة

عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي

كلـــــية الاقتصــــاد والعلـــوم الإدارية

بـرنامـج ماجسـتير العلـوم السياسـية



طروحات فوكوياما وهانتنغتون والنظام العالمي الجديد

"دراسة تحليلية مقارنة"

The propositions of Fukuyama and Huntington and the New World Order

"A Comparative Analysis Study"

إعداد الباحث

يحيى سعيد محمد قاعود

إشـــراف الدكتور

عبد الناصر قاسم الفرا

أستاذ العلوم السياسية المشارك

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول علي درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية – جامعة الأزهر – غزة

1435هـ- 2014م

الإســـــــتهلال



وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

صَدَقَ اللهُ العَظِيم

(سورة النحل، الآية 78)

الإهـــــــداء

أُهدى أُطروحتي إلى من يستحق له أن أُهدي . . . . ؟

إلى من بالحب غمراني وبجميل السجايا أدباني

إلى من كانت ابتسامتي تزيل شقاءهما وسعادتي ترســم الابتسامة على شفاهما

إلى من أمرني ربي بطاعتهما والإحسان

أُمـــي وأبـــي

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

في البداية أشكر المولى عز وجل على توفيقي في إنجاز هذا البحث، ولا أملك إلا أن أتقدم ببالغ الشكر وعظيم الامتنان لكل من ساعدني في إتمام هذا الجهد المتواضع.

وانطلاقاً من العرفان بالجميل؛ فإنني أتقدم بجزيل الشكر وفائق الاحترام إلى أستاذي، الأستاذ الدكتور: عبد الناصر قاسم الفرا، الذي أثرى العمل بفضل توجيهاته وإشرافه.

وأتقدم بعميق الشكر والتقدير للأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة والحكم، اللذين تفضلا وقبلا مناقشة هذا البحث، الأستاذ الدكتور: كمال مُحَمَّد الأسطل (مناقشاً داخلياً)، والدكتور: خالد رجب شعبان (مناقشاً خارجياً)، فجزاهما الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذة العلوم السياسية في فلسطين وخارجها، الأستاذ الدكتور: لطفى حاتم، والأستاذ الدكتور: محمود الكروي، والأستاذ الدكتور: رياض العيلة، والدكتور: أيمن شاهين، والدكتور: حمد الفرا، والدكتور: صلاح أبو ختلة، الذين أدين لهم بالجميل والعرفان.

كما أتقدم بخالص الشكر إلى المستشار الدكتور: صباح العلمي الذي وقع عليه عبء الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ومراجعة البحث، فكان كما أحببت أن يكون، راجياً أن يجعل الله ذلك في ميزان حسناته.

ويسعدني أن أتقدم بعظيم امتناني وخالص دعواتي إلى أصدقائي، ورفاقي في السلاح وأخص بالذكر مُحَمَّد محمود المدهون. وإلى الجنان التي أورقت خضرة، وأينعت في حياتي زهراً وثمراً، فجعلت من قلبي حدائق وارفة بالعز والعطاء زوجتي.

وإلى كل من قدم لي العون فإن مساحتهم في القلب لا في السطور.

يحيى سعيد قاعود

فهرس المحتويات

ملخص الدراسة

تخصصت هذه الدراسة في دراسة أُطروحتي فوكوياما وهانتنغتون اللتين جاءتا تنظيراً فكرياً للنظام العالمي الجديد، خلال الحقبة التي تلت سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، منطلقاً من الرؤية الفكرية لكل من فوكوياما وهانتنغتون لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين، وسعت الدراسة من وراء ذلك إلى التعرف على تأثير هاتين الأطروحتين على الفكر السياسي الأمريكي، وبالتالي على السياسة الخارجية الأمريكية.

تقوم هذه الدراسة بتوصيف وتحليل فرضيات هاتين الأطروحتين اللتين تركتا آثاراً سلبية وانعكاسات خطيرة على الفكر السياسي، وعلى الحضارات الإنسانية، ومن ثم مقارنة الأُطروحتين للوصول إلى نقاط الالتقاء والاختلاف فيما يطرحه فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمي الجديد، وتحليل العلاقة بين الفكر والممارسة السياسية، كما ظهرت في أطروحتيهما في السياسة الأمريكية، ومستقبل هاتين الأطروحتين في ظل الدراسات الفكرية الأمريكية الحالية.

وتكمن أهمية الدراسة بأنها دراسة تحليلية مقارنة لأطروحتى فوكوياما وهانتنغتون، والممارسة العملية لفكرهم في السياسة الأمريكية، كما تكمن أهمية هذه الدراسة في استخدام المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، وذلك بالرجوع إلى نص الأطروحتين إلى جانب دراساتهما ومقالاتهما الأكاديمية التي تبعت أطروحاتهما الفكرية، ولا سيما بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، والتغيرات التي طرأت على مواقفهم الفكرية، وتناولها بالتحليل والتفسير.

حاولت الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الذي يتعلق بعنوان ومحتوى الدراسة، وهو ما أثر طروحات فوكوياما وهانتنغتون على الفكر السياسي الأمريكي في النظام العالمي الجديد؟. وقد قدمت الدراسة تحليلاً معمقاً للإجابة على أسئلة الدراسة الفرعية في ستة فصول، والتي تتعلق بالرؤى الفكرية لكل من فوكوياما وهانتنغتون لمستقبل النظام العالمي الجديد.

وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج، كان أهمها التحقق من فرضيات الدراسة القائلة بأن أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون جاءتا تنظيراً فكرياً للنظام العالمي الجديد ولتدعيم القيم الفكرية لليبرالية الجديدة، ولتشريع الهيمنة الأمريكية عالمياً. وتمثلت أهم النتائج بأن التنظير الأيديولوجي لفوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد، هو تنظير لأيديولوجيا المصلحة والاقتصاد بالدرجة الأولى،

ولا يقع ضمن الأيديولوجيا السياسية وعلم الأفكار. وهذا التنظير لا يفسر واقع المجتمعات الإنسانية، بقدر ما يتحامل عليه لصالح هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية كإمبراطورية عظمى في النظام العالمي الجديد. ومن خلال عرض وتحليل أوجه الالتقاء وأوجه الاختلاف الفكري بين فرانسيس فوكوياما وصمويل هانتنغتون تبين لنا أن أطروحتيهما جاءتا وفقاً لمعتقدات محددة مسبقاً، ولم تخرج عن إطارها العام، وهي أيديولوجيا المحافظين الجدد الأمريكية.

Abstract

This study has been specialized in the study of the propositions of Fukuyama and Huntington, which came intellectually theoretically to the New World Order, during the era that followed the fall of the former Soviet Union, the starting point of intellectual vision for both Fukuyama and Huntington for the future of the world in the 21st century, this study has sought from that to identify the impact of these propositions on American political thought, thus on the U.S. foreign policy.

This study is the characterization and analysis of proposition hypotheses of Fukuyama and Huntington, which have had adverse effect and serious repercussion on the political thought and the human civilizations, and then compared the two propositions, to reach the points of convergence and divergence among which posed by Fukuyama and Huntington for the New World Order, and analysis the relationship between thought and political practice that appeared in propositions of Fukuyama and Huntington in American politics, and the future of these propositions in the light of current U.S. intellectual studies.

The importance of this study lies as being an analytical comparative study to the propositions of Fukuyama and Huntington, and the practice of their scientific thoughts in American politics, as well as, the significance of using descriptive analytical method and the comparative method, by referring to the texts of the propositions of Fukuyama and Huntington, and their studies and their academic essays that followed their intellectual propositions, in particular after the events of 11 /September 2001, and the changes in the attitudes of intellectual, and dealing with them by analysis and interpretation.

The study tried to answer the main question, which is related to the title and content of this study, the effect of Fukuyama and Huntington's propositions on the American political thought in light of the New World Order. This study presented and provided, in depth, analysis to answer the sub- questions of the study in six chapters, which are related to the intellectual visions both of Fukuyama and Huntington for the future of the new world order .

The study concluded that many of the most important results were verifying the hypotheses, that the propositions of Fukuyama and Huntington came intellectual theatrically to the new world order, to strengthen the intellectual values of neo liberalism, and to legislate the U.S. hegemony in the world. The main findings of the study were that the theatrical ideological Fukuyama and Huntington in light of the new world order, is

theatrical for ideological and economic interests at the first place, and it does not fall within the political ideology and science of ideas. This theory does not explain the reality of human societies, as far as, biasing it in favor of the dominance of American states as an empire super system in the New World Order. Through the presentation and analysis of the intellectual convergence and divergence between Fukuyama and Huntington, it appeared that intellectual propositions came, according to beliefs pre- defined and did not come out of the general framework of the neo conservative ideology.

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

المبحث الأول: خطة الدراسة

المبحث الثاني: الدراسات السابقة

المبحث الثالث: الإطار النظري للدراسة

1.1 المبحث الأول: خطة الدراسة

1.1.1 المقدمة

تعتبر الأيديولوجيات أو المعتقدات المذهبية للدول، من بين القوى الرئيسية التي تؤثر في أوضاع المجتمع الدولي وعلاقاته. فقد حدد إسماعيل مقلد عاملين رئيسيين أديا إلى نمو نفوذ الأيديولوجية في العلاقات الدولية، الأول: ظهور عدد من الدول القوية في المجتمع الدولي التي تدين بأيديولوجيات تختلف عناصرها وتتنوع مضامينها إلى حد التناقض الجذري في العديد من الأحول، فقد أدت التناقضات الأيديولوجية بتفاعلاتها الدائبة وتأثيراتها المباشرة على السياسات الخارجية للدول إلى العديد من الصراعات الدولية، أما الثاني: الرأي العام في الدولة يؤثر في عملية صنع قرارات السياسة الخارجية، إن السياسة الخارجية تتشكل وفقاً للمناخ الفكري أو المذهبي العام الذي يسود الدولة (مقلد، 1991، ص63:64). فقد أدت الأحداث العالمية الكبرى بعد سقوط سور برلين عام 1989، وما تبعه من انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وانتهاء حقبة الحرب الباردة، والتي كانت تسمى بـ "حرب الأيديولوجيات"، إلى تغيرات في موازين القوى وتبلور نظام عالمي جديد "أحادي القطب" تحكمه الولايات المتحدة، وهذه التحولات في موازين القوى الدولية تبعها تحولات في الفكر الذي صنع مفاهيم النظام العالمي الجديد، فقد تمت ممارسة هذه التحولات الفكرية في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية.

إن تأمل تطور الفكر السياسي الغربي من العصر الاغريقي وحتى القرن العشرين، يوضح أن هذا الفكر قد بلور رؤية معينه للعلاقات الدولية، فقد أبرز الفكر الغربي عدداً من المفاهيم الرئيسية في العلاقات الدولية، ولذلك نلاحظ أن معظم المصطلحات المتداولة في حقل العلاقات الدولية، مثل السلام، والحرب، والعدوان وغيرها، تعكس رؤيا قيمية للواقع الدولي، حيث تبنى على قواعد فكرية تجعل لتحديدها مدلول خاص يختلف باختلاق الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في الدول المعاصرة، واهتمام علماء العلاقات الدولية المعاصرين بالحرب والسلام وبقاء الدولة وقوتها، يعد امتداداً لاهتمام المفكرين الغربيين من أمثال هوبز، وهيوم، وبنثام وغيرهم بدراسة هذه الظواهر في المجال الدولي (مفتي، 1990، ص2).

واستنادا للعوامل التي حددها صبري مقلد يمكن القول أن الرأي العام الأمريكي، الذي تأججه وتأثر فيه مراكز الدراسات والأبحاث الفكرية التابعة للمحافظين الجدد، والتي ينتمى لها كل من فوكوياما وهانتنغتون، قد أثرت وبشكل كبير على صناعة القرار السياسي الأمريكي. وتنفرد الولايات المتحدة عن الدول الكبرى التي تنافسها على زعامة العالم، باعتماد إداراتها السياسية وصناع قرارها السياسي والعسكري على مراكز الأفكار "Think Tanks" وما طرحه فوكوياما في "نهاية التاريخ"، وما عززه هانتنغتون في "صدام الحضارات"، قد مثل التنظير الفلسفي لإعادة صياغة النظام العالمي الجديد (الجاسور، 2010، ص4:3). إن طروحات فوكوياما وهانتنغتون من أهم الاتجاهات الفكرية، التي قدمت تفسيراً شاملاً للنظام العالمي الجديد، واللتان انتشرتا على نطاق عالمي واسع بين مؤيدين ومعارضين، فكانتا محل جدل كبير، كانت أُطروحة فوكوياما هي الأولى في العام 1992، ثم تبعتها أُطروحة هانتنغتون في العام 1996، وقد مثلت هاتان الأطروحتان الفكر الأمريكي للنظام العالمي الجديد بعد هيمنة الفكر الليبرالي عالمياً، وتلك الأفكار حظيت بالتأييد والدعم لعدد من صانعي القرار الأمريكي، هذا بالإضافة إلى الانتقادات الواسعة للأُطروحتين من قبل المفكرين والسياسيين.

فوكوياما يفترض تلاقي المنظومات العالمية السياسية والاقتصادية، وبالتالي منظومات القيم وأن الديمقراطية والرأسمالية قد فازت ولا يوجد في الأفق قوى قد تنتج عنها أحداث مهمة، أما هانتنغتون فإنه يتنبأ بإستمرار اختلاف المنظومات العالمية السياسية والاقتصادية، وأن العالم على حافة صدام الحضارات (نيسبت، 2005، ص200:199). بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانحسار الفكر الاشتراكي، أعلن فوكوياما في أُطروحته عن انتصار الديمقراطية الليبرالية، ونهاية التناقض في المجتمع بحصول الفرد على الاعتراف العام، وبالتالي ظهور الدولة العامة والمتجانسة في نهاية التاريخ، ونهاية الأيديولوجيا في الفكر الإنساني. أما هانتنغتون فقد نظر لعالم ما بعد الحرب الباردة بنهاية الأيديولوجيا، معتبراً الحضارات هي المحرك الجديد للتاريخ والصدام الحضاري هو محور التاريخ، فالصراع في القرن الحادي والعشرين هو صدام ثقافي بين الحضارات.

في منصف القرن العشرين قال ديفيد إيستون David Easton إن: "الفكر السياسي المعاصر يحيا حياة طفيلية على أفكار قرن مضى، والذى يثبت العزيمة أكثر، أننا نلاحظ أملاً قليلاً في تراكيب سياسية" (مهنا والصالحي، 1985، ص210). ومصطلح "النهايات" لم ينج منه العلم نفسه، ففي

كتاب "نهاية العلم" للأمريكي جون هورغن John Horgan فقد أنهى العلم بأكمله، ويعلل نهاية العلم قائلا: "العلماء حللوا معظم ألغاز الطبيعة وأعظمها، إلاَ أن مداركهم ستعجز عن حل ما تبقى منها، فالعلم انتهى وسقط ضحية نفسه" (صيداوي، تشرين أول/ أكتوبر2012). واستخدم مصطلح "النهايات" في أفرع علمية عديدة، وفي نهاية القرن العشرين، بشر فوكوياما وهانتنغتون في طروحتيهما بنهاية الأيديولوجيا. إن الفكر السياسي في عالمنا المعاصر بمجملة يحمل في تقسيماته "بدايات ونهايات"، فاليوم نجد الفكر الحديث وما بعد الحداثة، وهذه "النهايات" طرحت من خلال آراء وأفكار مفكري الغرب، وسوف نعود لهذه الطُروحات التي يعود لها فوكوياما وهانتنغتون لتدعيم فرضيات طروحاتهم وآرائهم السياسية.

بناءً على ما سبق، ركزت الدراسة على تحليل أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون من خلال فرضيات هاتين الأطروحتين وفلسفتهما السياسية لمستقبل النظام العالمي الجديد، وستركز هذه الدراسة أيضاً على تحليل التنظير الفكري لفوكوياما وهانتنغتون وتطبيقاته في السياسة الأمريكية، والتحولات الفكرية الجديدة في السياسة الأمريكية خلافاً لأطروحتي فوكوياما وهانتنغتون، وكذلك الكشف عن أوجه الاختلاف وأوجه الالتقاء في فكر فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمي الجديد، وأهم التغيرات التي طرأت على فكرهم السياسي في القرن الحادي والعشرين. وتندرج هذه الدراسة تحت فرع النظرية السياسية وتاريخ الفكر السياسي أحد أفرع علم السياسة، وفقاً لتصنيفات منظمة اليونسكو UNESCO عام 1948 لفروع علم السياسة، ويصف كمال الأسطل فرع النظرية السياسية "جاءت في مكان الصدارة بين ضروب المعرفة السياسية، وهي بذلك تمثل الجذع المشترك لشتى فروع المعرفة السياسية" (الأسطل، 1999، ص4). لذا سوف تستخدم الدراسة عدة مناهج بحثية للوصول إلى النتائج والاستنتاجات المرجوة من الدراسة.

2.1.1 مشكلة الدراسة

بانهيار الاتحاد السوفيتي السابق وانحسار الفكر الاشتراكي عالمياً أمام نجاح الليبرالية الغربية وسيطرة الولايات المتحدة على النظام العالمي الجديد، بدأ التنظير السياسي لهذا النظام بظهور أفكار سياسية جديدة، فقدم فوكوياما وهانتنغتون رؤية شاملة لمستقبل العالم للقرن الحادي والعشرين.

إن أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون ترميان إلى تدعيم القيم الليبرالية الجديدة في عالم ما بعد الحرب الباردة ومن ثم تعميمها في كافة دول العالم، بالإضافة إلى تبرير هيمنة الولايات المتحدة

الأمريكية كإمبراطورية عالمية، ونموذجاً لابد من تطبيقه في كافة دول العالم، وهذا ما تصنعه السياسة الأمريكية في النظام العالمي الجديد. وتأتي هذه الدراسة لمحاولة الكشف عن الأفكار السياسية التي تحملها هاتان الأطروحتان وتأثيراتهما على السياسية الأمريكية.

وبناء على ما تقدم، تسعى هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما أثر طُروحات فوكوياما وهانتنغتون على الفكر السياسي الأمريكي في النظام العالمي الجديد؟

وحتى تتضح معالم الدراسة وصولاً إلي الإستنتاجات يتطلب ذلك الإجابة على عدد من الأسئلة الفرعية وهي:

- **تساؤلات الدراسة**

1. ما هي الجذور الفكرية لصدام الحضارات ونهاية التاريخ في الفكر الغربي ؟
2. ما أهم فرضيات طُروحات فوكوياما وهانتنغتون ؟
3. ما أهمية التنظير السياسي لطُروحات فوكوياما وهانتنغتون؟ ومدى ممارسة تلك الأفكار في السياسة الأمريكية ؟
4. ما هي أوجه الالتقاء وأوجه الاختلاف الفكري فيما يطرحه فوكوياما وهانتنغتون ؟
5. ما أبرز تطورات الفكر السياسي الأمريكي في النظام العالمي الجديد ؟

3.1.1 فرضيات الدراسة

- طروحات فوكوياما وهانتنغتون جاءت تنظيراً فكرياً للنظام العالمي الجديد ولتدعيم القيم الفكرية لليبرالية الجديدة.
- فكر فوكوياما وهانتنغتون يدعم السياسة الأمريكية الخارجية كي تبقي القوة المهيمنة عالمياً.

4.1.1 أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة بأنها تندرج تحت فرع النظرية السياسية وتاريخ الفكر السياسي، الذى كان في مرتبه الصدارة في فروع علم السياسة، وفقاً لتصنيف منظمة اليونسكو الدولية لفروع علم السياسية عام 1948، ومما يزيد من أهمية الدراسة ما يلي:

- لهذه الدراسة أهمية علمية وأكاديمية حيث يتم الاستفادة منها، خاصة وأن موضوع الدراسة مرتبط بمستقبل العالم، وذلك لتناولها فترة زمنية معاصرة ومهمة للتنظير الفكري الأمريكي في النظام العالمي الجديد.
- تكمن أهمية الدراسة بأنها محاولة بحثية تحليلية للفكر السياسي الأمريكي، والذي مثل التنظير الفكري والفلسفي للنظام العالمي الجديد، وتوضيح الأفكار التي ينادي بها فوكوياما وهانتنغتون بعد انتصار الليبرالية الجديدة أمام الاشتراكية وهيمنتها على العالم.
- تكمن أهمية الدراسة أيضاً في استخدام المنهج المقارن بالرجوع لنص أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون، وتحليل محتواهما الفكري، ومضمون هذه الطُروحات، ومقارنة الأفكار السياسية عند كل من فوكوياما وهانتنغتون، وعرض وتحليل الالتقاء والاختلاف فيما يطرحه فوكوياما هانتنغتون من أفكار سياسية للنظام العالمي الجديد.

5.1.1 أهداف الدراسة

يمكن تحديد أهداف الدراسة من خلال النقاط التالية:

- معرفة الأفكار السياسية عند فوكوياما وهانتنغتون، والرؤية الفكرية لقيم الليبرالية الجديدة والمراد تعميمها في دول العالم.
- تسليط الضوء على الفكر السياسي الأمريكي في ظل النظام العالمي الجديد، وتبيان الأفكار السياسية التي تطبقها الإدارة الأمريكية في سياستها الخارجية.
- الكشف عن مدى صحة الأفكار التي ينادي بها فوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد، وكذلك التحقق من صدق الرؤية الفكرية لهاتين الأطروحتين ومطابقتهما للواقع.

- التعرف على التطبيقات الفكرية في السياسة الأمريكية لمواجهة الأحداث العالمية كانحسار الاشتراكية والصراعات الدولية.

6.1.1 حدود الدراسة

- **الحدود الزمانية:** تتناول الدراسة في حدودها الزمانية من مرحلة طرح الفكر السياسي الأمريكي الجديد "نهاية التاريخ و صدام الحضارات" خلال الفترة الممتدة من العام 1992 وبدء التنظير الفكري، إلى العام 2010 وهي بداية القرن الحادي والعشرين، التي يتنبأ بها فوكوياما وهانتنغتون مستقبل النظام العالمي الجديد.
- **الحدود المكانية:** الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي في النظام العالمي الجديد.
- **الحد الموضوعي:** دراسة فكر فوكوياما وهانتنغتون، وما يطرحوه للنظام العالمي الجديد، والكشف عن الممارسة العملية لهذه الأفكار في السياسية الأمريكية. ويندرج موضوع الدراسة تحت فرع النظرية السياسية وتاريخ الفكر السياسي.

7.1.1 منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على أكثر من منهج، ويحدد ذلك سياق الدراسة، فهي تستعرض بطريقة تحليلية الفكر السياسي الأمريكي المتمثل في أُطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ" وأُطروحة هانتنغتون "صدام الحضارات"، وجاءت مناهج الدراسة على النحو التالي:

أولاً: المنهج التاريخي: عرفه إبراهيم أبراش بأنه: "المنهج الذي يوظف التاريخ إما من أجل معرفة علمية لأحداث الماضي أو لمصلحة البحث العلمي لواقع الظواهر المعاصرة، ذلك أن حاضر الظاهرة لا ينفصل عن ماضيها، بل هو امتداد لها، ولكل نظام اجتماعي تاريخه الخاص، لأن الإقرار بمبدأ التطور معناه أن المجتمعات تنمو وتتغير عبر الزمان" (أبراش، 1999، ص137).

سوف تستخدم الدراسة المنهج التاريخي في الفصلين الأول والثاني، وذلك من أجل استقراء مفاهيم ومصطلحات الدراسة. ولأن التاريخ ملئ بالتجارب والبراهين، والحجج، والمعالجات، والعبر، وكل هذه تفيد كل باحث وهو في حاجة لأن يعرفها، لأن دراسة أي ظاهرة أو مشكلة لابد وأن يكون لها تاريخ (عقيل، 1999، ص58:59). لابد من العودة إلى جذور فلسفة التاريخ وفلسفة صدام الحضارات عند مفكري ومؤرخي الغرب واستخلاص التعميمات التي توصلوا إليها والظروف التي

أحاطت بها، لنستطيع تفسير وتحليل طروحات فوكوياما وهانتنغتون في النظام العالمي الجديد، حيث أن فوكوياما وهانتنغتون استندا في فرضيات طروحاتهم على فلسفة التاريخ والحضارة عند مفكرو ومؤرخو الغرب السابقين.

ثانياً: المنهج الوصفي التحليلي: "يرتكز هذا المنهج على وصف دقيق وتفصيلي لموضوع محدد وعلى صورة نوعية أو كمية رقمية، وقد يقتصر هذا المنهج على وصف وضع قائم في فترة زمنية محددة أو تطوير يشمل فترات زمنية عدة، ويهدف هذا المنهج إلى رصد موضوع بهدف فهم المحتوى والمضمون" (عبيدات ومحمد، وأخرون، 1999، ص46).

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بشكل أساسي، ويمكن القول بأن المنهج الوصفي يشكل محوراً أساسياً للدراسة، وسوف يتم استخدامه في الفصلين الثالث والرابع، من خلال وصف بيئة النظام العالمي الجديد والتنظير الفكري الأمريكي لهذا النظام، والتي تركزت في أطروحتي "نهاية التاريخ" و "صدام الحضارات" وتحليل دقيق لهذه الأفكار التي تضمنتهما الأُطروحتين، ومحتواهما الفكري، ووصف التطبيقات العملية لطروحات فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية وإعادة النظر فيها في القرن الحادي والعشرين، بهدف استخلاص الحقائق والنتائج المرجوة من الدراسة، ومن ثم الوصول إلى تعميمات بشأن هذه الأُطروحات الفكرية.

ثالثاً: المنهج المقارن: يقوم هذا المنهج على معرفة كيف ولماذا تحدث الظواهر من خلال مقارنتها مع بعضها البعض، من حيث أوجه الشبه والاختلاف، وذلك من أجل التعرف على العوامل المسببة لحادث أو لظاهرة معينيه، والظروف المصاحبة لذلك، ويتم ذلك كما يرى جون ستيوارت من خلال عدة طرق (عليان وغنيم، 2000، ص57:56): أ. التلازم في الوقوع. ب. التلازم في الوقوع وعدم الوقوع. ج. التلازم في عدم الوقوع. د. تلازم التغير في السبب والنتيجة. هـ. طريق العلاقات المتقاطعة.

إن منهج الدراسات المقارنة، يحاول الكشف عن الظاهرة المراد دراستها من خلال التوصل إلى إجابات عن المشكلات التي تظهر خلال تحليل العلاقات (صابر وخفاجة، 2002، ص99). سوف تستخدم الدراسة المنهج المقارن في الفصلين الخامس والسادس، بهدف مقارنة جوانب التشابه والاختلاف بين طروحات فوكوياما وهانتنغتون. وكذلك مقارنة أُطروحتي فوكوياما وهانتنغتون والدور الذي لعبته في السياسة الأمريكية، من حيث المقارنة الزمانية وهي دراسة طروحات فوكوياما

وهانتنغتون في الفترة الممتدة من العام 1992 إلى العام 2010، منذ بدء الطرح الفكري إلى التنبؤ بمستقبل العالم، وكذلك المقارنة المكانية وهي مقارنة طروحات فوكوياما وهانتنغتون في الولايات المتحدة الأمريكية، ومدى ممارسة تلك الأفكار في السياسية الخارجية الأمريكية، وذلك للكشف عن العلاقة بين طروحاتهم الفكرية، وتحليل هذه العلاقة في النظام العالمي الجديد وبداية القرن الحادي والعشرين.

8.1.1 مصطلحات الدراسة الإجرائية

- **سياسة الأفكار:** أو السياسات التي وراء الأفكار، التي تشير إلى تلك الاستراتيجيات أو معارك المناقشات، التي تنجم عنها فكرة معينة أو مجموعة من الافكار، تأخذ طريقها إلى مركز التسلط والسيادة في محيط الحياة السياسية لمجتمع ما (هيرسول، 1987، ص12).
- **نهاية التاريخ** "**End of History**": يرتبط مفهوم نهاية التاريخ بفرانسيس فوكوياما ياباني الأصل أمريكي الجنسية، والذي نشره في دورية "The National Interest" عام 1989، بعد سقوط الإتحاد السوفيتي السابق، وبعد ذلك صدر كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" عام 1991، ويدعي فوكوياما بقوله: "نهاية التاريخ" إلى أن الفكر الديمقراطي الليبرالي يشكل أفضل النظم السياسية، وأن هذا النظام شكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، معلنا عن نهاية التاريخ، ونهاية الأيديولوجيا (فوكوياما(أ)، 1993، ص8-17).
- **صدام الحضارات** "**Clash of Civilizations**": يرتبط مفهوم صدام الحضارات بصمويل هانتنغتون يهودي الأصل أمريكي الجنسية، الذي نشره في مقال عام 1993 في مجلة الشؤن الخارجية Foreign Affairs، وبعد ثلاثة أعوام ظهر كتاب يحمل العنوان ذاته، ويطرح فيه نزاع الحاضر والمستقبل في السياسة العالمية، من خلال الحضارات التي تشكل الصراعات في عالم ما بعد الحرب الباردة، معلنا عن نهاية الأيديولوجيا، والصدام الحضاري هو المحرك الجديد للتاريخ البشري (هانتنغتون، 1999، ص35-47).
- **نهاية الأيديولوجيا:** في منتصف القرن العشرين ظهر مصطلح "نهاية عصر الأيديولوجيا"، من قبل مفكري الغرب الرأسمالي، وبالتحديد في مؤتمر ميلانو بإيطاليا الذي عقدته منظمة

"الحرية والثقافة"، وخلص المؤتمر بأن نهاية الأيديولوجيا ظاهرة صحية وهي لازمة لتطور الدولة (وهبة، 5 يونيو/حزيران 2012).

- تعني نهاية الأيديولوجيا اليوم نهاية تطبيق النظريات السياسية في الدولة، فقد أصبحت الدول بعد انحسار الأيديولوجيا الاشتراكية، تعمل على تطبيق برامج حكومية قد تتضمن أفكاراً سياسية مختلفة ومتنوعة.

- **النظام العالمي الجديد:** قبل التعرف على النظام العالمي الجديد لا بد من التعرف على مفهوم "النظام العالمي" أو "النظام الدولي" بشكل عام.

- يعتبر مورتون كابلان Morton Kaplan صاحب الجهد الأكبر بين جميع الباحثين في تحديد قواعد ونماذج للتفاعل داخل نماذجه التي وضعها للنظام الدولي، وهو بذلك أول من أدخل المعالجة النسقية في العلاقات الدولية، ويعرف النظام الدولي بأنه: السياسة العلمية لا يمكنها أن تتطور وتنمو إلا من خلال محاولتها معالجة المواد السياسية بوصفها أنظمة للفعل، ونظام الفعل هو جملة من السلوك القابلة لوصف العلاقات الداخلية والمتغيرات فيما بينها وعلاقات كل المتغيرات الفردية بمركبات من المتغيرات بخارج النظام (برقوق، 2002، ص36:37). وقد عرف كينت ولتز Kenneth waltz النظام الدولي بأنه: مجموعة من الوحدات التي تتفاعل فيما بينها، فمن ناحية يتكون النظام من هيكل أو بنيان، ويتكون من ناحية أخرى من وحدات تتفاعل معاً (أمينة، 2011، ص28).

- وهذا النظام تتغير فيه موازين القوى الدولية، فبعد الحرب العالمية الثانية كان النظام العالمي يتشكل من "الثنائية القطبية"، تتحدد هيكلية النظام الدولي في هذا النموذج بوجود قوتين تمتلكان مصادر القوة والنفوذ في العالم، وكانت هاتين القوتين تتبعان كتلتين وأيديولوجيتين مختلفتين وهم: الكتلة الشرقية "الاشتراكية"، والكتلة الغربية "الرأسمالية".

- النظام العالمي الجديد يتشكل من "آحادي القطبية" أي وجود دولة عظمى واحدة، تمتلك صفة الدولة الأهم في العالم، ويصف محمد الهزايمة هذا النظام بأنه: بروز دولة واحدة على قمة الهرم الدولي، وتقوم بوظيفة توزيع الأدوار، وفرض السياسات التي تريد على بقية وحدات النظام، وقد برز هذا النظام بقيادة الولايات المتحدة للعالم منذ العام 1991، بعد أزمة الخليج الثانية وأفول نجم الاتحاد السوفيتي السابق (الهزايمة، 2005، ص22).

- **الليبرالية الجديدة "Neoliberalism"**: يرتبط المصطلح بالتجارة وحركة رأس المال والسلع وتنظيم الدولة لها، وهذه الحركة الحرة تسمح للشركات العابرة للقارات بالعمل والازدهار، وهي نموذج اقتصادي شامل موظف من قبل المؤسسات المالية والدولية، والقيم الليبرالية الجديدة تعد مركز العولمة الاقتصادية، وهي شائعة في الحكومات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم (موني وإيفانز، 2009، ص235).

- **الديمقراطية الليبرالية:** الديمقراطية الليبرالية تعد الأساس الفكري للديمقراطيات الغربية المعاصرة، وهي نتاج تزاوج بين فلسفتين هما: الديمقراطية والليبرالية (الغرباوي، 2005، ص35).

- **الأيديولوجيا المحافظة Conservatism:** قبل التعرف على مفهوم المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وأهم الشخصيات الداعمة والمنتمية للتيار المحافظ، لابد لنا من التعرف على الأيديولوجيا المحافظة.

- الأيديولوجيا المحافظة Conservatism: ظهر اصطلاح المذهب المحافظ كأيديولوجيا سياسية في بدايات القرن التاسع عشر، حينما ظهرت الأفكار المحافظة كرد فعل للطفرة الاقتصادية والسياسية الكبرى التي بدأت بعد الثورة الفرنسية (أبو شهيوة وخلف، 1995، ص239). فيما تعرف أميمة عبد اللطيف الأيديولوجيا المحافظة بأنها: "هي منظومة من الأفكار التي تركز على التضامن الاجتماعي، ورفض تدخل الدولة في الاقتصاد واتهام الليبرالية والفردية بهدم البنية الاجتماعية التضامنية والسياسية المتماسكة للأمة، وتركز المحافظة على دور الأسرة ودور الدين، والدفاع عن التقاليد والنظام والملكية (عبد اللطيف، 2003،ص6:5). ويهتم المحافظون بإبراز قيمة التقاليد والممارسات كمرجع موجه للمستقبل، ويستمد الاتجاه المحافظ أفكاره من كتابات المفكر والسياسي الإيرلندي إدموند بيرك Edmund Burke (1729– 1797) الذي كرس حياته لترسيخ الفكر والمبادئ المحافظة، وخاصة في كتابه "ملاحظات على الثورة الفرنسية"، الذي كتبه كرد فعل على تجاوزات الثورة الفرنسية ولرفضها التقاليد القائمة (الغامدي، 1997، ص97). وبقيام الثورتين الفرنسية والأمريكية، اللتان استلهمتا أفكارهما من كتابات ومفكرين عصر التنوير، والتي تمجد الحرية الفردية، وتمنح الإنسان الحقوق والحريات وتعمل على تحجيم دور الدولة، ظهرت

الأفكار المحافظة التي تدعو للمحافظة على التقاليد والنظام القائم في المجتمع، وكانت أفكار أدموند بيرك هي الأولي التي نظرت ضد الليبرالية التي كانت تنمو وتزدهر في الغرب.

- المحافظون الجدد: تيار فكري يضم عدداً من الأشخاص المتنفذين من الكتاب والمفكرين والنخبة الأدبية المنتمين للفكر المحافظ في الولايات المتحدة الأمريكية، يتمتعون بنفوذ في عدد من مراكز الدراسات والأبحاث والصحف، لديهم شبكة من العلاقات أتاحت لهم التواجد في مواقع السلطة والنفوذ، لديهم أفكار سياسية محددة يسعون لتحقيقها (عبد اللطيف، 2003، ص15-17). وكانت أكثر المراكز والمعاهد التي تطرح فيها أفكارهم هي: انتربرايز، وهيريتاج وهدسون، ومعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، والمعهد اليهودي للأمن القومي، ومشروع القرن الأمريكي الجديد، ومعهد الدراسات السياسية والاستراتيجية العليا بجامعة جون هوبكنز، وأقاموا علاقة تحالف تنظيمية مع حزب الليكود هدفها تمكين إسرائيل من الهيمنة على الشرق الأوسط (الغمرى، 2009، ص66). ويعد الحزب الجمهوري الأمريكي معقل الفكر المحافظ، وهذا الحزب يضم عدد من الحركات اليمينية ذات الميول المحافظة والاتجاهات الأكثر ميلاً نحو التشدد اليميني والتزمت الديني، ومن هذه الحركات "حركة المسيحيين الصهيونيين، وحركة المحافظين الجدد، وحركة الأصوليين المسيحيين"، ولا شك أن الحركة اليهودية الصهيونية وما تضمه من مؤسسات ومنظمات، والتي تعد منظمة إيباك اليهودية المجمع الرئيس لهدة الحركات المتعددة الفعاليات تعد رائداً هاماً لذاك التحالف الديني (العطار، 2007، 27-30). وتضم حركة المحافظين الجدد شخصيات يهودية، والكثير من الشخصيات التي تربطهم صلات وثيقة بالجناح اليهودي من اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، وكذلك تعود ملكية العديد من مراكز الدراسات والفكر المحافظ إلى يهود (عبد اللطيف، 2003، 36:35).

- **الحضارة الصينية "الكونفوشية" Chinese civilization:** كانت محور مهم في طروحات فوكوياما وهانتنغتون، فقد اعتبر فوكوياما الحضارة الصينية حضارة ثانوية، ولا يمكن تعميمها كأيديولوجيا عالمية، وبالتالي يؤكد على تفوق الأيديولوجيا الليبرالية عالميا، أما هانتنغتون فقد اعتبرها "محرك للشر"، لأنها تدعم الحضارة الإسلامية بالسلاح والمشاريع

الاقتصادية، وأن هناك تقارب صيني إسلامي ضد الغرب. لذلك يجب أن نتعرف على الحضارة الصينية.

- الحضارة الكونفوشية سميت بهذا الاسم نسبة للفيلسوف كونفوشيوس(551 ق.م– 479 ق.م)، الذي عاش في عصر إضراب دولة "لو lu" وهي إحدى ولايات الصين القديمة، فكرس نفسه لتصحيح مسار المجتمع من خلال فلسفته الإنسانية، فقد حدد عدة مبادئ تجعل من البشر مخلوقات إنسانية (كولر، 1995، ص333-335). وقد وضع العالم الأمريكي مايكل هارت "كونفوشيوس" من بين أعظم مائة شخصية ذات تأثير على التاريخ الإنساني، وكان تصنيفه في المركز الخامس، ويعيد ذلك لعدة أسباب أهمها: كونفوشيوس هو أول فيلسوف يضع مذهبا لكل الأفكار الصينية عن السلوك الاجتماعي والاخلاقي، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلي، وقد ظلت أفكاره تتحكم في سلوك الناس أكثر من ألف سنه (منصور، 1978، ص31). أما في عالم اليوم الصين تعتبر قوة اقتصادية عالمية، وتريد أن تصبح قوة سياسية وعسكرية عظمى، وفي المقابل يتراجع معدل التصنيع والانتاج في أوروبا وأمريكا واليابان (هيرن، 2011، ص7).

9.1.1 تقسيمات الدراسة

تنقسم الدراسة إلى ستة فصول رئيسية، ويتبعها نتائج وتوصيات ومراجع الدراسة، أما فصول الدراسة فهي كما يلي:

- **الفصل الأول:** يعرض هذا الفصل خطة الدراسة من حيث المقدمة، وأسئلة الدراسة، والفرضيات، والأهمية، والأهداف، وحدود الدراسة، ومنهاجيتها، والمصطلحات الإجرائية. ومن ثم يستعرض الدراسات السابقة وتقييمها. ويستعرض أيضاً الإطار النظري من حيث مفهوم التاريخ وفلسفة التاريخ، وكذلك الأيديولوجيا، ومفهوم الحضارة والثقافة، والعلاقة بين الحضارة والثقافة.

- **الفصل الثاني:** يناقش هذا الفصل الأطروحات الفكرية حول الحضارة والأيديولوجيا في الفكر الغربي المعاصر، وذلك لمقارنة ما يطرحه فوكوياما وهانتنغتون في طُروحاتهما مع ما طرحه الفلاسفة والمفكرون السابقون، وخاصة الطرح الفكري لنهاية الأيديولوجيا عند المفكرين. وكذلك البحث عن جذور الفكر المحافظ الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثيره على

الفكر السياسي الأمريكي بشكل عام، ومن ثم الانتقال إلى التنظير الفكري الجديد للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية.

- **الفصل الثالث:** ويعرض هذا الفصل أُطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ"، والفرضيات التي يصوغها في أُطروحته لمستقبل النظام العالمي الجديد، ومن ثم نحلل هذه الفرضيات بالتفصيل، ويبحث أيضاً عن وجهة نظر المفكرين فيما يطرحه فوكوياما من فرضيات وتحليلات واستنتاجات، ونناقش أيضا فلسفة التاريخ عند فوكوياما من حيث النهاية وظهور الدولة العامة المتجانسة في النظام العالمي الجديد.

- **الفصل الرابع:** يناقش هذا الفصل أُطروحة هانتنغتون "صراع الحضارات"، والفرضيات التي يصوغها في أُطروحته لمستقبل النظام العالمي الجديد، ومن ثم تحليل هذه الفرضيات بالتفصيل، ويبحث أيضاً عن رأي المفكرين السابقين عما يطرحه هانتنغتون في أُطروحته، ونناقش فلسفة التاريخ عند هانتنغتون واستمرارية التاريخ وظهور الصراع الثقافي بين الحضارات في النظام العالمي الجديد.

- **الفصل الخامس:** تضمن هذا الفصل النقد الفكري لطُروحات فوكوياما وهانتنغتون، والبحث عن صحة فرضياتهما في أطروحاتهما، وكذلك النقد الموجه من قبل المفكرين والباحثين. وقد قدمت الدراسة النقد الفكري من خلال محورين رئيسين وهما: النقد الفكري والنقد الواقعي كي نرى مدى صحة هذه الفرضيات في الواقع المعاش. وقد استعرض الفصل الممارسة العملية لفكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية.

- **الفصل السادس:** يبحث هذا الفصل عن أوجه الالتقاء والاختلاف بين طُروحات فوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد، وفي الختام نعرض جدول مبسط لمقارنة الأفكار السياسية عند فوكوياما وهانتنغتون، موضحاً نقاط الالتقاء والاختلاف في تفسيراتهم وتنبؤاتهم لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين.

- بعد عرض الفصول الستة السابقة سوف نعرض النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة.

2.1 المبحث الثاني: الدراسات السابقة

اعتمدتُ الدراسة على عدة دراسات سابقة متصلة بموضوع الدراسة، وباختلاف أنواع تلك الدراسات، فقد كانت مرشداً هاماً للاستفادة منها، وقد جاء بعضها على النحو التالي:

1. **دراسة (عماد مولد وعامر فياض، 2011) بعنوان: مستقبل الأيديولوجيا واليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث. مجلة العلوم السياسية، الإصدار43، جامعة بغداد.**

تناولت هذه الدراسة الدعوة إلى نهاية الأيديولوجيا واليوتوبيا من خلال أنصارها ومناهضيها، وبحثت الدراسة عن بداية هذا التنظير الفكري، حيث إن الدعوة لنهاية الأيديولوجيا تعود جذورها إلى القرن التاسع عشر، فقد شهدت هذه الدعوة لنهاية الأيديولوجيا مناقشات حادة في خمسينيات وستينيات القرن العشرين بين المفكرين والباحثين، ومع نهاية الحرب الباردة برزت قضية نهاية الأيديولوجيا مجدداً عند فوكوياما وهانتنغتون، كما عرضت الدارسة عدة مفكرين مناهضين لفكرة نهاية الأيديولوجيا.

واعتمدت الدراسة كذلك على المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة والتي كان من أهم نتائجها: أن التنظير الفكري لنهاية الأيديولوجيا بدأ منذ القرن العشرين، فكان هناك محاولات جادة للنيل من الأيديولوجيا الإشتراكية في أواسط الخمسينيات والستينيات للقضاء على الاشتراكية، وبعد نهاية الحرب الباردة عاد طرح نهاية الأيديولوجيا من قبل فوكوياما وهانتنغتون، إلا أن هذه التنظيرات الفكرية لفوكوياما وهانتنغتون هي عبارة عن أيديولوجيا سياسية.

2. **دراسة (محمد عطوان، 2009) بعنوان: أوليات الفكر السياسي الغربي المعاصر– فرضية صدام الحضارات نموذجاً، مجلة دراسات تاريخية، الإصدار2، جامعة البصرة.**

ركز الكاتب في هذه الدراسة على أُطروحة هانتنغتون "صدام الحضارات" وذلك باستثمار علاقتها بأُطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ"، واستفادة هانتنغتون بنهاية التاريخ وهي الشرعية الأولي للنموذج الليبرالي المنتصر وقيام نظام عالمي جديد، وانتهاء حرب الايديولوجيات، فقدم هانتنغتون دراسته على أساس توالد لأعداء محتملين والتي أثبت فيها كينونة الهويات المتعددة، وتوصلت الدراسة إلى أن فوكوياما بشَر بنهاية التاريخ، وسيادة الفكر والقيم والمؤسسات الليبرالية الأمريكية، وليست الغربية، وقد برزت أُطروحة هانتنغتون بصيغة جديدة تعبر عن تصور مستقبلي جديد.

واعتمدت الدراسة على منهج تحليل المضمون، لتثبت الدراسة أن هانتنغتون بدأ بطرح أفكاره السياسية بعد أُطروحة فوكوياما ليؤكد نهاية الصراع الأيديولوجي، وبداية الصراع بين الحضارات، وتبرر أفكار هانتنغتون في نظريته عجلة الكولنيالية وما بعد الكولنيالية مبررات جديدة للصراع لم يتمكن فوكوياما من توظيفها، وتوصلت الدراسة أيضاً إلى أن تقسيم هانتنغتون للحضارات لا يعني الاعتراف بشرعيتها بل من أجل رسم سقف فكري وعقائدي لتمرير برنامج "تقويض الحضارات المضادة". وخلصت الدراسة إلى أن أُطروحة صدام الحضارات من المستبعد أن تكون قد كتبت بعيداً عن إدارة البيت الابيض قاصداً صياغة هدف أيديولوجي تهتدي به السياسية الأمريكية في النظام العالمي الجديد.

3. (Jane Jaquette and Abraham Lowenthal, 2009): Samuel P. Huntington (1927-2008), International Studies, University of Chile, vol. 162.

ترصد الدراسة حياة هانتنغتون السياسية والأكاديمية، بالإضافة إلى رصد كتاباته من خلال التحليل والتعمق فيها، فقد رصدت أعماله الأكاديمية والكتب المنشورة له، وقد توصلت الدراسة إلى أن هانتنغتون كان الأكثر تأثيراً في سياسية الولايات المتحدة الامريكية وهو واحد من أهم السياسيين والبارزين في الخمسين سنه الماضية فقد عمل في المجال الأكاديمي والسياسي معاً في إدارة الرئيس كارتر في مجلس الأمن القومي، وكان منذ بداية حياته حتى نهايتها يعمل لتدعيم وجهة نظره السياسية من خلال العودة إلى الفلاسفة والمفكرين.

وخلصت الدراسة إلى أن هانتنغتون كان مدافعاً عن الليبرالية الغربية ومؤسساتها الديمقراطية مقابل الحضارات الأخرى، ووصفت الدراسة هانتنغتون بالسياسي الواقعي حينما قارنت أُطروحته مع أُطروحة فوكوياما، وذلك لأن هانتنغتون لم يصل إلى نهاية التاريخ ولا يوجد تقارب على مجموعة من القيم العالمية أو المؤسسات، وكان عرضه هذا بديلاً لتفاؤل فوكوياما في "نهاية التاريخ".

4. دراسة (خالد الحروب، 2008) بعنوان: في الفكر السياسي الأمريكي الجديد: عودة التاريخ ورابطة الديمقراطيات، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 357، لشهر تشرين الثاني/ نوفمبر 2008.

تناقش الدراسة قضايا الفكر لدى الساسة والمفكرين الأمريكيين، فقد ركزت هذه الدراسة على أفكار وكتابات المفكرين، خاصة على ما يطرحه "روبرت كيغان" أحد أهم المنظرين للفكر الأمريكي

المحافظ الجديد، والذي يطرح أفكاراً لعالم اليوم لسياسات القوة وعودة الايديولوجيا في كتابه عودة التاريخ ونهاية الأحلام، الذي ينتقد فيه أطروحة فوكوياما، وينظر في كتابه إلى الحركة العادية للتاريخ وهى الحرب والصراع، فاليوم يعود الصراع بين الأمم والدول الكبرى خاصة بعد ظهور قوة الصين الاقتصادية، وتلويح بقوة روسيا العسكرية.

وتوصلت الدراسة وفق ما يطرحه روبرت كيغان Robert Kagan من أفكار بأن الولايات المتحدة بحاجة ماسة إلى عدو دائم، وليس نهاية للصراع وتعميم النموذج الليبرالي، وهذا العدو هو عامل التحفيز الدائم والإحساس بالهوية والتفرد، وكذلك إنشاء رابطة الدول الديمقراطية التي تهدف الى الدفاع والمحافظة على مصالح الدول الغربية في وجه الصعود المتزايد للدكتاتوريات، والسيطرة على الدول النامية بالقوة وإخضاعها للولايات المتحدة، فموجة الديمقراطية قد لا تجعل الدول تدور في فلك الولايات المتحدة.

5. **دراسة (بيبتر سنغاس، 2008) بعنوان: الصدام داخل الحضارات التفاهم بشأن الصراعات الثقافية. (ت) شوقي جلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – كلمة، الناشر دار العين للنشر.**

تحاور الدراسة الصراع الحضاري الذي طرحه هانتنغتون في كتابه "صدام الحضارات"، وقد بحثت الدراسة في فكر هانتنغتون للصراع الحضاري. وانتقدت الدراسة آراء هانتنغتون الفكرية حول الحضارات بتقديم تفسيرات وتقسيمات غير شافية حولها باستثناء الحضارة الغربية، ويقدم حضارة الصين على أساس التفكير بالهيمنة بدلاً من توازن القوى.

وخلصت الدراسة إلى معايير أساسية أوصت بها للوصول إلى الحوار الثقافي المنشود، كاشفاً عن عوامل التقدم والتراجع في الحوار بين الحضارات. وأكدت الدراسة على أهم تلك العوامل وهو: التاريخ الأوربي والحداثة المبكرة عن باقي حضارات العالم، فقد شكلت الحقبة الكولنيالية والإمبريالية مصدراً للمنافسة الثقافية والاقتصادية، ومصدراً للقمع، ودفع دول العالم إلى حافة الهاوية، فالعالم اليوم يمر بمرحلة التحول والحداثة التي تتدخل بها الحضارة الغربية من خلال فرض القوة والهيمنة على كافة الثقافات الأخرى، وتطرح الدراسة أيضاً آراء جديدة حول توجه جديد للحوار بين الثقافات، تؤدي إلى وجهات نظر جديدة وكتابة طروحات ودراسات تكون فلسفتها قائمة على الحوار وليس الصدام.

6. دراسة (نهاوند على العلوي، 2005) بعنوان: فلسفة التاريخ من منظور فكر غربي معاصر دراسة (كارل بوبر، فوكوياما، هانتنغتون) العولمة وتأثيرها في العالم العربي. قسم الفلسفة- كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، رسالة ماجستير غير منشورة.

تخصصت هذه الدراسة في فلسفة التاريخ عند ثلاثة مفكرين من خلال دراسة وتحليل فلسفتهم للتاريخ، موضحة العلاقة بين ما يطرحونه وتأثيراته على الليبرالية الجديدة المتمثلة بالعولمة الاقتصادية، فقد توصلت الباحثة في دراستها إلى أنه لا يمكن فصل التاريخ عن الفلسفة، فقد فسر المفكرون والعلماء التاريخ حسب قوانينهم وأهدافهم بالرغم من اختلاف تفسيراتهم للتاريخ ونوعية القوانين التي تحكمه.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتحليل آراء كارل بوبر وفوكوياما وهانتنغتون، وكانت نتائج الدارسة كما يلي:

1. كارل بوبر: جاءت فلسفته رافضة التاريخية، مؤكداً على عدم وجود قانون ثابت يحكم مسيرة التاريخ المتغير نحو التقدم، منطلقاً من ربط التاريخ بالعلم والذي يرتبط بدورة في العقل البشري، فلا يمكن التنبؤ بالتطور التاريخي لعدم إمكانية التنبؤ بالتقدم العلمي.
2. فوكوياما: فقد وصل التاريخ الى نهايته بالديمقراطية الليبرالية التي لا يوجد نظام أرقى منها تسمو البشرية إليه، فجاءت فلسفته متحيزة للغرب، لأن التاريخ انتهى فقط في الغرب والولايات المتحدة، وعلى الدول الأخرى أن تسير في طريق طويل للوصول إلى الديمقراطية الليبرالية.
3. هانتنغتون: أكد على مسيرة التاريخ التي يحكمها الصراع، ومرده الهوية الثقافية بين الحضارات وليس لفوارق اقتصادية وأيديولوجية.

7. دراسة (محمد جربوعة، 2004) بعنوان: مهلاً هانتنغتون.. مهلاً فوكوياما نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة، إعداد المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية، الناشر مكتبة العبيكان الرياض- السعودية.

قامت هذه الدراسة على نقد أُطروحة "نهاية التاريخ"، وأُطروحة "صدام الحضارات"، من وجهة نظر إسلامية لموقفهم من الإسلام في أطُروحتيهما كما تهدف أيضاً إلى تبيان ما يطرحه فوكوياما وهانتنغتون من أفكار، خاصة تلك التي تدور حول العالم الإسلامي، وبسبب غياب نظرية إسلامية

واضحة المعالم ذهب العالم العربي بالتسليم والتبعية لما يروج له الغرب من أفكار، وانتقدت الدراسة ما يطرحه هانتنغتون من قيام صراع حضاري بين الدول. وقدمت الدراسة معيارين رئيسين لنشوب الصراعات: أولاً المعيار المادي؛ ثانياً المعيار القيمي.

أما الانتقاد الذي عرضته الدراسة حول أُطروحة نهاية التاريخ فإنه يتمحور حول تصور فوكوياما في أُطروحته يعني إيقاف حركة التاريخ وتفاعل الإنسان مع عناصره التي كان يتفاعل معها منذ أن وجد على الأرض، كما أنه يرى العالم الإسلامي بأنه أصولي، ويتصوره في مقالاته بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 بأنهم يتشابهون بأفكارهم مع "أسامة بن لادن" فوضع العرب جميعاً في نفس درجة الفكر. أما تصور هانتنغتون حول الصراع الثقافي بين الحضارات فهذا غير واقعي وخاصة فيما يتعلق بالأفكار السياسية التي يطرحها حول الحضارة الاسلامية التي ترفض الحداثة والتطور.

8. (Jonathan Fox, 2002): Ethnic Minorities and the Clash of Civilizations: A Quantitative Analysis of Huntington Thesis, British Journal of Political Science, vol. 32, issue. 3, July 2002.

تبحث الدراسة في تقييم توقعات صمويل هانتنغتون فيما يتعلق بصراع الأقليات العرقية بين الحضارات، وتستخدم الدراسة منهج أسلوب التحليل الكمي للوصول إلى نتائج موضوعية حول أُطروحة "صدام الحضارات"، من خلال تحليل الصراعات للفترة من (1946 – 1992)، وبالتحديد لمنطقة الصدع والتي يسميها هانتنغتون "خط التصدع" على سبيل المثال "الهند مقابل باكستان"، ولم تتناول الدراسة تحليل الصراعات بين الحضارات الرئيسية مثل "الصين مقابل الولايات المتحدة".

وتوصلت الدراسة إلى أن الصراعات الحضارية تشكل أقلية بنسبة 37.8% من صراعات الأقليات العرقية بعد الحرب الباردة، بمقارنتها بنتائج الصراعات قبل نهاية الحرب الباردة بنسبة 36.9%، وجاءت تلك النتائج من خلال تحليل الصراعات الحضارية والصراعات غير الحضارية، والصراعات الأصلية. فالأدلة التجريبية والتحليل الكمي للصراعات، لا يدعم أُطروحة هانتنغتون بعد حقبة الحرب الباردة، فلو كانت تنبؤاته صحيحة لكان هناك صعود في نسبة الصراعات الحضارية، وقد أغفل في تقسيماته للحضارات أقليات موجودة في العالم لم تنتمِ لتقسيماته الحضارية، وقد اعتمد هانتنغتون في سردة لأُطروحته على الأمثلة، وهذا إن كان مفيداً إلاً أنه من السهل على كل من أنصار ونقاد الأُطروحة من ذكر أمثلة في تحليلاتهم إلا أنه يتوجب بطرح الفرضيات من وجود حجة مقنعة وليس أمثلة فقط.

9. دراسة (سهيل عروسي، 2002) بعنوان: مأزق الليبرالية: نهاية التاريخ نموذجاً. مجلة الفكر السياسي، العدد الخامس عشر، تصدر عن هيئة اتحاد الكتاب العرب بدمشق، خريف 2001 شتاء 2002.

ناقشت الدراسة أُطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ" ومراجعته للأفكار والنظريات الفكرية للمفكرين الليبراليين عبر التاريخ، وكذلك فلسفة هيجل ونيتشه، بالإضافة إلى محاورة فلسفة المفكرين، قارنت الدراسة بين فلسفة ابن خلدون وفوكوياما للتاريخ، وتوصلت إلى أن ابن خلدون قدم معياراً لمعالجة الانحطاط التاريخي وهو "علم العمران"، أما فوكوياما فلم يستطع الاعتماد على المعرفة في التاريخ بشكل موضوعي بعيداً عن الأيديولوجيا.

وركزت الدراسة على فكرة النهاية والأفول والانحطاط التي تعكس حالة القلق في الحضارة الغربية التي بررت شرعيتها عبر مفردات القوة والعنف فأطروحة فوكوياما هي نوع من الكذب والاستراتيجية التي تحاول أن تدرس نسقاً أيديولوجياً معيناً، فهو بيان أيديولوجي وسياسي للنظام العالمي الجديد على الصعيد الداخلي والخارجي. وخلصت الدراسة من خلال تتبع الجذور التاريخية بأن مفهوم التاريخ من أكثر المفاهيم التي تعرضت للتشويه بغرض التوظيف السياسي والفكري، وفكرة نهاية التاريخ لم تكن جديدة، بل هي فكرة قديمة، وظهرت أهميتها بعد الحرب العالمية الأولي في الغرب الذي يعتبر نفسه مؤتمناً على الحضارة.

10. دراسة (عبد الحميد الصالح، 1997) بعنوان: فوكوياما والخطاب الليبرالي المعاصر في سقوط الأيديولوجيا. مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية– المجلد 13، العدد الثالث، جامعة دمشق.

عالجت الدراسة الفكر الليبرالي المعاصر، وفكرة سقوط الأيديولوجيا وانحسار استخدامها بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وبالتالي سقوط الإيديولوجية الاشتراكية وتراجع الأفكار التي تحملها. وركزت الدراسة على تحليل أُطروحة فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" من خلال استخدامها للمنهج الوصفي التحليلي، لنقد وتحليل فكر فوكوياما وذلك بالعودة إلى فلسفة "هوبز، لوك، كانط، هيجل"، ليعيد طرح إشكالية التاريخ معهم مباشرة ليؤكد بأن ما صرح به فوكوياما جانبه الصواب بإعلان دولة نهاية التاريخ سوف يؤدي إلى نهاية عصر الأيديولوجيات، وإقامة الدولة الرأسمالية الليبرالية وهيمنة الفكر الأمريكي على العالم. وتوصلت الدراسة إلى أن أطروحة فوكوياما

هي خطاب سقوط وليس بناء، لأنه لم يتحدث عن دولة نهاية التاريخ بل عن سقوط الجانب السياسي للأيديولوجيا الاشتراكية، وتؤكد الدراسة على استمرارية الفكر الأيديولوجي الذي تكتشف فيه الإنسانية مكامن تناقضاتها والانتصار للحليف الأقوى منها، والقوه هنا تعتمد على انعدام التناقض، ولن يتوقف العقل على إنتاج نماذج ايديولوجية أخرى ما دام التناقض موجوداً.

11.دراسة (إبراهيم محمود، 1992) بعنوان: فلسفة نهاية التاريخ الأمريكية. مجلة المستقبل العربي، العدد 164، مركز دراسات الوحدة العربية.

يناقش الباحث فلسفة نهاية التاريخ الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة، والتي ربطها بتطلعات الولايات المتحدة إلى السيطرة على العالم من خلال ظهور الفلسفة الأمريكية بنهاية التاريخ التي صاغها فرانسيس فوكوياما بأسلوب جديد عن سابقيه هيجل وماركس. وعالجت الدراسة فلسفة التاريخ الأمريكية التي تصرح بأنها الدولة النموذج للعالم من حيث الاقتصاد والسياسة والثقافة، حيث يطرح فوكوياما بأن العالم اليوم هو أمريكا، وأمريكا هي العالم، متوصلاً إلى أن النظرية الأمريكية تعمل وفق استراتيجية محددة وهي أمركة العالم، وذلك بعد سقوط الأيديولوجية الاشتراكية، وربط كل أشكال التوتر بالعالم في الاشتراكية والتي مازالت مستمرة حتى اليوم.

وتؤكد الدراسة على استمرارية التاريخ ودخول الولايات المتحدة في ظلماته بإرادة الشعوب الطامحة للاستقلال والحرية، ورفض الاستبداد والهيمنة الأمريكية، فكل من يعارض سياستها في امتلاك العالم والسيطرة عليه يدخل في إطار الإرهاب الدولي لا يمكن لها أن تمثل نهاية التاريخ، وأن التاريخ لا ينتهى ولا ينحصر في حدود إمبراطورية معينة.

1.2.1 تعقيب على الدراسات السابقة

بعد دراسة متأنية لموضوعات الدراسات السابقة ذات العلاقة بنظريات الفكر السياسي الأمريكي الجديد، وجد الباحث أن هذه الدراسات وما ورد لبعض المفكرين والدارسين وعلى مختلف موضوعاتها تركزت حول النقاط التالية:

- عالجت كلاً من الدراسات التالية أُطروحة "نهاية التاريخ" وهي:

(محمود، 1992)، و(عروسي، 2002)، و(عطوان،2009)، و(الصالح، 1997) أُطروحة "نهاية التاريخ"، والأفكار الرئيسية التي يطرحها فوكوياما، وقد توصلت إلى أن أُطروحته تلك كانت تنظيراً

أيديولوجياً جديداً يدعم الفكر الليبرالي ونجاحة أمام انحسار الاشتراكية. أما دراسة (الحروب، 2008)، فقد ناقشت التغيرات الفكرية والسياسية الأمريكية الجديدة وعلاقتها بنظرية نهاية التاريخ.

- أما الدراسات التي تناولت أُطروحة هانتنغتون فقد جاءت على النحو التالي:

عالجت دراسة (سنغاس، 2008) الحوار بين الحضارات وانتقدت أُطروحة هانتنغتون ودعت إلى الحوار الحضاري، أما دراسة (Jaquette and Lowenthal, 2009) فقد جاءت كتسجيل لأعمال هانتنغتون السياسية ورصد لإنتاجاته الفكرية وتأثيراتها السياسية. وتناولت دراسة (Fox,2002) أُطروحة هانتنغتون باستخدام الأسلوب الكمي في تحليل تنبؤات هانتنغتون من خلال رصد عدد الصراعات قبل الحرب الباردة وبعدها، وتوصلت إلى أن تنبؤات هانتنغتون المتعلقة بالصراع الحضاري بين الحضارات غير صحيحة.

- جاءت الدراسات التي قارنت بين أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون على النحو التالي:

دراسة (عماد مولد وعامر فياض، 2011)، فقد عالجت فكرة نهاية الأيديولوجيا عند فوكوياما وهانتنغتون، والبحث عن جذور الدعوة لطرح فكرة نهاية الأيديولوجيا. أما دراسة (جربوعة، 2004) فجاءت على سبيل النقد، وتقديم رؤية إسلامية جديدة مناهضة لما يطرحه فوكوياما وهانتنغتون. أما دراسة (العلوي، 2005) فقد عالجت فلسفة التاريخ عند فوكوياما وهانتنغتون وتأثيرها على العالم العربي، وتوصلت دراستها إلى أن فوكوياما وهانتنغتون اتفقا على نهاية الأيديولوجيا واختلفا في فلسفة نهاية التاريخ.

إن أغلب الدراسات السابقة تناولت فكر فوكوياما السياسي وفقاً لما طرحة في "نهاية التاريخ"، بمعزل عن فكر هانتنغتون وفقاً لما طرحة في "صدام الحضارات"، فجميع الدراسات السابقة قد ركزت على فكر فوكوياما وهانتنغتون دون ربط الأفكار بالسياسة الأمريكية وتبنيها من قبل بعض قيادات الإدارة الأمريكية. وخلصت الدراسة إلى أنه إضافة إلى ما تم التوصل إلية في الدراسات السابقة، فإن هذه الدراسة ستدرس وتحلل طُروحات فوكوياما وهانتنغتون وتقارنها بالأفكار السياسية التي تضمنتها الأُطروحتان وتطبيقاتهما في السياسية الأمريكية، وكذلك مدى صدق التنظير الفكري لفوكوياما وهانتنغتون في بداية القرن الحادي والعشرين، بالإضافة إلى توضيح فلسفتهم السياسية ومقارنة أوجه الاختلاف وأوجه الالتقاء في الأُطروحتين، منذ بداية النظام العالمي الجديد حتى بداية القرن الحادي والعشرين.

3.1 المبحث الثالث: الإطار النظري

ليس باستطاعتنا الحديث عن طُروحات فوكوياما وهانتنغتون، دون التطرق للدراسة النظرية والعودة للمفاهيم الأساسية التي تتناولها الدراسة بالبحث والتحليل، ففي هذا المبحث سوف نتطرق إلى تاريخ الفكر السياسي والمفاهيم المتعلقة بالتاريخ والفكر، بالإضافة إلى الحضارة والثقافة كمدخل نظري للدراسة، والترابط والاختلاف بين المفاهيم.

1.3.1 تاريخ الفكر السياسي

إن تاريخ الفكر السياسي يعتبر جزءً من التاريخ العام للإنسانية، فهو الذي يهتم بالحياة السياسية للمجتمعات البشرية، كما أنه يبحث في كيفية ظهور الأفكار السياسية لأول مرة، وكيف تطورت بتطور العقل الإنساني (أبراش، 2006، ص3). ويعطى جان جاك شوفالييه الفكر السياسي أهمية بالغة في حياة الإنسان، "إن الفكر السياسي هو أحد أشكال الأعمال الفكرية حول وضع الإنسان في المجتمع، والذي ساهم بقوة في صنع الحضارات" (شوفالييه، 1998، ص7).

ولتوضيح مفهوم الفكر السياسي والأيديولوجيا السياسية، لابد لنا من تسلسل التعريفات حتى نصل إلى ما نصبو إليه من توضيح وفهم للمفاهيم والمصطلحات التي تتعلق بموضوع الدراسة، ولتجنب الخلط فيما بينها. فلم يأتِ الفكر إلاَ بوجود تاريخ عاش فيه الإنسان وتأمل في حياته، فصاغ أفكاره حول الكون الذي يعيش فيه، فتبلورت فيما بعد تلك الأفكار مكونة عند بعض المفكرين نظريات سياسية في فلسفة التاريخ.

1.1.3.1 مفهوم التاريخ

يعرف علم التاريخ بأنه: "دراسة للتطور البشري من جميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية، أياً كانت معالم هذا التطور وظواهره واتجاهاته" (الشيخ، 2000، ص7). أما المعجم الفلسفي فيعرفه كما يلي: "التاريخ في اللغة تعريف الوقت، وتاريخ الشيء ووقته وغايته، والتاريخ أيضاً علم يبحث في الوقائع والحوادث" (صليبا، 1982، ص227 ج1).

علم التاريخ: يبحث عموماً في الموجود من مخلفات الماضي وسجلاته التي قد تعين على جلاء الحاضر وتوضيحه، إن علم التاريخ مجرد طريقة علمية في البحث، أما موضوعاته فتشمل جميع المسائل البشرية (النشار، 2012، ص26). وباختلاف تعاريف التاريخ، فإن وجود التاريخ منذ أقدم

العصور راجع بالأساس لارتباطه العضوي بالإنسان الذي يمثل العنصر الأول في تعريف التاريخ، فلولا وجود الإنسان لما وجد التاريخ، ولم يرتق إلى هذا المستوى إلا عندما تجاوز القصص والأساطير (سليمان، 2000، ص10).

في ضوء هذا التعريف الموجز يمكن لنا توضيح معنى ومفهوم التاريخ بالشرح والتحليل. يذكر إسحاق عبيد في كتابه "معرفة الماضي"، أن أصل كلمة التاريخ في الغرب يرجع إلى اليونان، وإن كلمة "أستوريا Historia" يونانية الأصل تدل جذورها على معنى الرؤية، حيث تعني كلمة "أستور Histor" الرؤية والمشاهدة أو الاستقصاء بقصد المعرفة (الشيخ، 2000، ص7). وفي اللغة العربية التاريخ والتأريخ والتواريخ يعني الإعلام بالوقت، وقد يدل تاريخ الشيء على غايته ووقته الذى ينتهى إليه زمنه، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة (عثمان، 2000، ص12). إن الغاية من دراسة التاريخ تكمن في فهم الأحداث وتفاعلها مع الفكر الإنساني أكثر من معرفة الأحداث في حد ذاتها، ولا يحصل الفهم إلا إذا أخذنا جملة العوامل المتداخلة في صنع الحدث التاريخي "سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، داخلية، خارجية..." (سليمان، 2000، ص23).

من خلال التعريفات السابقة نجد أن التاريخ يتداخل مع العلوم الأخرى، فهو يرتبط بتطور الإنسان في كافة جوانب حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية على مر العصور. وعندما نبحث في العلاقة بين التاريخ والسياسة، نجد أن هناك علاقة وثيقة تربط التاريخ بعلم السياسة؛ فالسياسة بدون تاريخ لا معنى لها، والتاريخ بدون سياسة لا طعم له. فيما يرى صايل الخطايبة أن التاريخ هو: السجل لأحداث البشرية على مر الزمان، ولا يمكن بأي حال من الأحوال فهم الأحداث السياسية لأي قضية دون العودة لجذور القضية السياسية، فمثلاً الصراع العربي الصهيوني كما يعتقد الصهاينة ليس وليد عام 1948، بل عمرة يتجاوز آلاف السنين(الخطايبة، 2010، ص40:41).

تعتبر الأحداث التاريخية من أهم الموضوعات التي يهتم بها علم السياسة، لأنها المصدر الرئيس للأحداث السياسية الماضية، خاصة في معرفة الفكر السياسي والنظرية السياسية قديماً وحديثاً، فالتاريخ هو سجل للوقائع والأحداث التاريخية والعلاقة بين السلطة ورعاياها، والعلاقات الدولية، فلا يمكن دراسة أي حالة سياسية إلا بالعودة لجذورها التاريخية (الحمداني،2012، ص112).

تطور التنظيم السياسي عبر التاريخ، فمنذ ظهور الإنسان بدأ من تصورات سياسية أسطورية حتى وصل إلى الأفكار السياسية، وقد صاغ أوجست كونت Auguste Comte (1798-1857)

الأطوار الثلاثة لتاريخ الفكر الإنساني في ثلاث مراحل وهي: الميثولوجي، الميتافيزيقي، العقلاني الإنساني (صعب،1997، ص39-41). وبعد الثورة الفرنسية 1789، حدثت تغيرات جوهرية في النظم السياسية للدول الأوربية، كنتيجة لفكر عصر النهضة – التنوير "القرن الثامن عشر"، الذي أدى إلى ظهور النظريات السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، كالليبرالية والاشتراكية والفاشية والنازية، وللتميز بين الفكر والنظرية السياسية وعلم السياسة، سوف نعرفها بشكل سريع لتجنب الخلط فيما بينها.

يعرف الفكر السياسي بأنه: "صياغات عقلية تفسر الواقع أو جزءً من الواقع، وتحاول فهمه وتربط بين الظواهر بعضها ببعض" (أبراش، 2006، ص12). ويعرف محمد ربيع الفكر بأنه: "تصور عقلي لظاهرة سياسية أو شيء سياسي، بمعني حصول صورة الظاهرة في الذهن" (ربيع، 1978، ص109). وتُعرف النظرية السياسية بأنها: "مجموعة فروض متسقة فيما بينهما اتساقاً منطقياً تبدو لصاحبها أنها تمثل حقيقة واقع سياسي معين" (عبد الرحمن، 2007، ص33). والنظرية بشكل عام هي: "الفكرة التي يتصورها العقل للخروج برأي إيجابي يتبناه صاحب النظرية نتيجة لتجاربه في الحياة واستقراء أمورها" (الخطايبة، 2010، ص40:41).

وبالانتقال للفلسفة ومفاهيمها وأفرعها كعلم، لابد لنا من تحديد مفهوم الفلسفة، كي نستطيع تحديد مفهوم فلسفة التاريخ. تدل كلمة فلسفة المشتقة من اليونانية، على محبة الحكمة، وقياساً على ذلك فإن الفيلسوف هو صديق الحكمة، وهو الذي يتميز بجهده في البحث عن كل شكل من أشكال المعرفة (كونزمان وأخرون، 1991، ص11). ويُعرف محمد ربيع الفلسفة بصفة عامة أنها: "الرؤية المتعمقة أو النظرة الشاملة أو مجموع النظرات الشاملة التي تحاول تفسير العالم والطبيعة والإنسان" (ربيع، 1978، ص109).

وقد يُطلق لفظ الفلسفة على مذهب فلسفي معين، كفلسفة أفلاطون، أو فلسفة كانط، أو قد يطلق على مجموع المذاهب الفلسفية في أمه معينة كالفلسفة اليونانية، أو في زمان معين كفلسفة القرون الوسطى (صليبا، 1973، ص160:161ج2). أما في عالمنا المعاصر فتسمى الفلسفة السياسية بعدة مسميات، فقد يُطلق عليها فلسفة التاريخ الهيجلية أو الماركسية.

يوضح مصطفى النشار مفهوم الفلسفة السياسية بأنها: بحث عقلي في مشكلات الإنسان عموماً، وبهذا تكون الفلسفة السياسية في طبيعتها الأصيلة ذات طابع معياري يبحث فيما ينبغي أن

تكون عليه العلاقة بين البشر؛ حاكم ومحكوم داخل المجتمعات السياسية، وبحث فيما ينبغي أن يحكم هذه العلاقة من قوانين. ومن جانب أخر هي بحث عقلي معياري تحاول الارتقاء بالقيم السياسية في المجتمعات الإنسانية (النشار، 1999، ص22).

ويرجع أول استخدام للفظ "فلسفة التاريخ"، إلى فولتير Voltaire (1694–1778) ويعني به: "دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات، وهو في ذلك يعني كل رواية غير مقبولة لدى العقل أو محتملة الشك" (صبحى، 1975، ص123). وتُعرف فلسفة التاريخ في معجم أطلس الفلسفة بأنها: "تحاول الإحاطة بماهية التاريخ ومعناه وسيره وتأويله، كما تحاول أيضاً أن تفهم الإنسان في مسيرته التاريخية" (كونزمان وأخرون، 1991، ص13).

في عرضنا للمفاهيم السياسية نجد ترابطاً واختلافاً بين المفاهيم، لذا سوف نبين تلك الروابط والاختلافات بين المفاهيم والمصطلحات السياسية.

إن الفرق بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية واضحاً من خلال المفاهيم التي ذكرت سابقاً، غير أن هناك ترابطاً بالدور الذى تقوم به كل منهما، ويفرق مصطفى النشار بين الفلسفة السياسية والعلوم السياسية قائلاً: أن أول فرق يتبادر إلى الذهن، هو الفرق العام بين الفلسفة والعلم؛ فالمعروف أن الفلسفة إنما هي بحث عقلي في مشكلات الإنسان عموماً، وهي لا تلتزم بالواقع إلا بقدر ما يحقق الانطلاق العقلي نحو حل مشكلات هذا الواقع. ومن ثم كان الفرق العام بين الفلسفة السياسية والعلم يكمن في غلبة الطابع المعياري على الفلسفة بينما يغلب الطابع الوصفي على العلم (النشار، 1999، ص21:22).

يُفرق محمد مهنا بين الفكر والنظرية السياسية قائلاً: "الآراء والأفكار والنظريات مترادفة وهدفها واحد، ولكنها تفصل بين الآمال وما يتصوره العقل وبين العقل والتطبيق، والنظرية هي نهاية المطاف في الآراء والمذاهب، فهي ثمرة الملاحظة، وتتعدى التسجيل إلى التفسير، ووضع قواعد سياسية" (مهنا، 1997، ص73). أما محمد ربيع فيعطي تحليلاً آخر حول المفاهيم موضحاً الترابط فيما بينها حيث يقول: "النظرية السياسية من وجهة النظر العلمية هي أرقى من الفكر والفلسفة السياسية، فهي أمل كل باحث للتدليل على صحة الفروض، والنظرية عند الفلاسفة هي قضية تثبت بالبرهان، وهي تركيب عقلي تثبت بالبرهان، فهي تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط

النتائج بالمبادئ" (ربيع، 1978، ص109). وحينما يعود الباحث إلى تاريخ المجتمعات الإنسانية، من مؤسسات وأفكار وفلسفات، هذا لا يعني أن الماضي منقطع الصلة مع الحاضر، فالبحث التاريخي هو شرط للباحث العلمي لفهم واستجلاء أحداث الحاضر، وتفهم ما يتصارع في داخله من أفكار ومذاهب وأيديولوجيات (أبراش، 2006، ص7). فإن الحديث عن فلسفة التاريخ يقصد بها تاريخ الإنسان، لأنه الكائن الواعي الوحيد بين الموجودات، ولا فلسفة حيث لا وعي، ولهذا فلا محل للحديث عن فلسفة التاريخ بالنسبة إلى غير الإنسان (بدوي، 1975، ص283). ويمكن القول بأن النظرية السياسية العلمية تثبت بالتجربة والبرهان، والفلسفة السياسية عند المفكر قد تترابط وتتطور لتصبح في النهاية نظرية سياسية؛ أو أن تبقى مجرد أفكار سياسية تصورها لمجتمعه.

إن تاريخ الفلسفات السياسية – إذا ما ربطنا بينه وبين الظروف السياسية التي ظهرت فيها – إن الفلسفة السياسية لا تزدهر إلا في العصور التي تشتد فيها الأمراض السياسية في المجتمعات. وهنا تكون الحاجة ملحة لظهور فيلسوف يشخص المرض ويقدم العلاج (النشار، 1999، ص24). وبالتالي يبدأ هنا الترابط بين الدور الذى تقوم به الفلسفة السياسية والواقع السياسي المعاش، حيث ينظر الفيلسوف من خلال العصف الفكري الذي يقدمه للخروج من الواقع المريض الذي يتطلب وصفة علاجية؛ وهنا يقدم الفيلسوف في فكره السياسي تشخيصاً علاجياً لهذا الواقع، وبهذا ينهض المجتمع من حالته المترهلة إلى الأفضل.

إن التاريخ البشري نفسه ليشهد بكل وضوح وجلاء أن الفلاسفة لم يحيوا يوماً بمعزل عن التاريخ أو بمنأى عن الأحداث السياسية، وإنما هم قد تجاوبوا دائماً مع الإطار الحضاري الذى عاشوا فيه أو هم قد حاولوا أن يعكسوا في فلسفاتهم أصداء واقعهم الحي دون أن يغفلوا في الوقت نفسه مهمة التعبير عن أمال مجتمعاتهم وأحلام مواطنيهم (شكشك، 2009، ص63). وهذا ما يؤكده لنا ارتباط فلاسفة السياسة بواقعهم السياسي والاجتماعي وعدم انفصالهم عنه حتى في أكثر الفلسفات السياسية مثالية؛ فلم تأتِ "يوتوبيا" أفلاطون إلا بالنظر إلى ما كانت تعانيه المجتمعات اليونانية من أمراض سياسية. ولم تأتِ أفكار مكيافيلى – إلا نتيجة لما كان يعانيه المجتمع الإيطالي من انقسام وتناحر، ولم يقدم فلاسفة التنوير فولتير وروسو ومنتسكيو أفكارهم السياسية من فراغ، بل بالنظر إلى ما كانت تعانيه أوروبا من واقع سياسي مؤلم فيه الكثير من الظلم والتعسف (النشار، 1999، ص25:24). وفي كتابات كارل ماركس وما قدمه لنا في فلسفته للتاريخ، كان وصفاً لحالة المجتمع

الذى يعيشه، وما يراه يومياً وهو ذاهباً لعمله الصحفي كل يوم. فقد نظر ماركس إلى الاشتراكية وإلى الشيوعية، كى ينهى حالة الظلم الواقعة على العامل في ظل النظام الرأسمالي المتوحش، ويعيد له حقوقه وكرامته. وهنا نطرح سؤالاً عن طبيعة الواقع السياسي والاجتماعي الذى دعا فوكوياما وهانتنغتون لطرح أفكارهم السياسية؟.

لعل أهم الأسباب التي أدت لهذه التنظيرات الفكرية هو انهيار الاتحاد السوفيتي، وبالتالي سقوط الاشتراكية كأيديولوجيا عالمية منافسة للولايات المتحدة، التي يراد لها من قبل هذه التنظيرات أن تكون "الإمبراطورية العالمية"، ومن خلال عرض وتحليل طروحاتهم الفكرية سوف نتعرف على تشخيصهم الدقيق للنظام العالمي الجديد وما ينبغي فعله في السياسة العالمية.

2.1.3.1 مفهوم الأيديولوجيا

قبل دراسة نهاية عصر الأيديولوجيا، يجب علينا أن نتعرف على مفهوم الأيديولوجيا الذي ظهر وانتشر كمصطلح في دول العالم في بدايات القرن العشرين، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت حقبة الحرب الباردة "حرب الأيديولوجيات"، بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق والدول التي تدور في فلكها.

جاء أول استخدام للأيديولوجيا من قبل دستوت دتراسي Destutt detracy (1754–1836) وهي مركبة من مقطعين "Idea" فكرة و"Loges" علم، والهدف من المفهوم الجديد أن يحل محل "الميتافيزيقا" التي كانت غير ذات قيمة بعد الثورة الفرنسية 1789، ويعرف دتراسي الأيديولوجيا: "هي العلم الذي يرمى إلى دراسة الأفكار على أنها وقائع الوعي، ويكشف خصائصها وقوانينها وعلاقاتها بالإشارات التي تعبر عنها" (صعب، 1997، ص52). وكان هدف الأيديولوجيين تأسيس علم الأفكار "Science of Ideas" لدراسة وفهم الأفكار والمفاهيم المجردة، وتكوينها وشروط مطابقتها للحقيقة حتي يكون الفكر متمتعاً بدرجة اليقين التي تتمتع بها العلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء (أبوشهيوة وخلف، 1995، ص17).

إن الأيديولوجيا من المفاهيم التي أخذت عدة تعريفات ومعاني مختلفة، فقد اختلف الفلاسفة على تحديد مفهوم للأيديولوجيا، ولا يوجد مفهوم محدد يحظى بقبول عام عند علماء السياسة اليوم. ولعل الميزة الواضحة لهذا المفهوم الإجتماعي – العلمي أنه جامع شامل، بمعني أنه ينطبق على كل

المذاهب، الليبرالية كالماركسية، والتيار المحافظ كالفاشستى، وهكذا (هيود، 2012، ص21). وعليه سوف نعرض مفهوم الأيديولوجيا من خلال إبراز المفهوم الغربي والشرقي لها وكذلك عند العرب.

تعرف الأيديولوجيا بأنها: "نظام من القيم والمعتقدات بشأن مختلف مؤسسات المجتمع التي يتم قبولها كحقيقة من خلال مجموعة من الناس" (Sargent, 2009. P2). يُعرف محمد أبو ريان الأيديولوجيا: "هي مجموعة من العقائد والأفكار والتصورات والمشاعر والتقاليد والآمال والظروف الزمانية والمكانية، التي تؤثر في أنماط السلوك للأمة والجماعة" (الأنصاري،2000، ص19).

حدد كارل مانهايم Karl Mannheim (1893–1947) معنيين متميزين للأيديولوجيا: "المعنى الجزئي"، وهي عندما تدل الكلمة على موقف متشكك من أفكار وتصورات الخصم، أما "المعنى الكلي"، فيشير إلى أيديولوجيا جماعة تاريخية محددة، كأيديولوجيا طبقة معينة، عندما يكون الهدف توضيح سمات وتركيب البناء الكلي لعقلية هذه الجماعة" (مانهايم، 1980، ص129). وتعني الأيديولوجيا عند أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci (1891–1937): "تصوراً للعالم، يتجلى ضمنياً في الفن والقانون، وفي النشاط الاقتصادي، وفي جميع ظواهر الحياة الفردية أو الجماعية" (خليفة وإسماعيل، 2006، ص42).

وتطرق المفكرون العرب لتعريف الأيديولوجيا ولتوضيح مفهومها، فيقول عبدالله العروي: "أدلوجة" حين ينقلها للمعنى العربي، ويقابلها "الدعوة" في الاستعمال الباطني للكلمة في اللغة العربية، ويعني بها مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي يراد تحقيقها على المدي القريب والبعيد (العروي، 1995، ص19). يُعرف أندرو هيود Andrew Heywood الأيديولوجيا: "هي مجموعة متماسكة بدرجة تزيد أو تنقص من الأفكار التي تضع أساساً للنشاط السياسي المنظم، سواء قصد به الحفاظ على نظام القوة القائم أو تعديله أو الإطاحة به". ولذلك تتمتع كل الأيديولوجيات بالملامح التالية (هيود،2012، ص22:21):

1. تقدم توصيفاً للنظام القائم عادة ما يكون في شكل "رؤية كونية".
2. تقدم أنموذجاً للمستقبل المرجو، أي رؤية عن "المجتمع الصالح".
3. تفسير كيف يجب ويمكن إحداث التغيير السياسي.

أما موسوعة "لالاند الفلسفية"، فإنها تربط الأيديولوجيا بالماركسية التي استخدمتها بشكل أوضح من الأيديولوجيين الفرنسيين، فقد استخدم كارل ماركس Karl Marx (1818-1883) "تفسير الأيديولوجيا" مقابل الوقائع الاقتصادية (لالاند،2001، ص612:611 م2). ويرى كارل مانهايم أن لفظ "الأيديولوجيا" يرتبط في معظم أذهان الناس بالماركسية (مانهايم، 1980، ص129).

ويمكن تفسير ذلك من الناحية العملية بعاملين أساسيين، الأول: الأيديولوجيا الاشتراكية التي انبثقت عن فكر كارل ماركس وبمساعدة أنجلز، فهي واضحة عكس الليبرالية التي تطورت على يد عدة فلاسفة ومفكرين عبر قرنين من الزمان، أما الثاني: فهي شمولية الماركسية التي تعطي لكل سؤال جواباً من خلال أيديولوجيا شاملة لكافة جوانب الحياة وتوصف بالجمود، أما الليبرالية فهي ديناميكية تتطور حسب معطيات المجتمع الجارية.

2.3.1 الحضارة

ظهرت كلمة Civilization بالفرنسية سنة 1734، وأصلها واضح: فهي تنحدر مباشرة من صفة "متحضر" المشتقة من صفة "مدني، حضري" (بريتون، 1993، ص19). وفي سياق عصر التنوير، ظهرت كلمة الحضارة "Civilization" عام1757، في كتاب "صديق الرجال أو مبحث في السكان" للماركيز دو ميرابو[1] de Mirabeau وكلمة حضارة في هذا الكتاب تعني: "المسار الذي يجعل الناس متمدنين"، وكتب العديد من العلماء والمفكرين وهم يقارنون بين "البربرية" و"الحضارة" ويتصورون بأن تاريخ البشرية يسير بتجاه أوحد وهو يقود من المصطلح الأول إلى الثاني (تودوروف، 2009، ص34).

ترتبط الحضارة بتاريخ الإنسانية عبر العصور والأزمنة، وقبل تحليل علاقة الحضارة بالتاريخ والكشف عن مضمونها، سوف نقوم بعرض لأهم التعريفات التي طرحها المفكرون والفلاسفة حول معنى وتعريف الحضارة، وتحديد مكوناتها وصيرورتها عبر التاريخ.

[1] المركيز دو ميرابو de Mirabeau (1749-1791): كاتب وصحفي فرنسي، أدار مفاوضات فاشلة مع النظام الملكي الفرنسي أثناء الثورة في محاولة للتوفيق بين النظام القائم والثورة الفرنسي.

1.2.3.1 مفهوم الحضارة

تقول موسوعة السياسة أن الحضارة: "هي مجموعة المنجزات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم" (الكيالي وآخرون، ب.ت، ص549 ج2). فيما أوضحت الموسوعة أن البعض يركز على استخدام المصطلح من الناحية الثقافية، بينما يركز البعض الآخر على استخدامه كمصطلح للتقدم العلمي والتكنولوجي.

ويعرفها ديورانت Will Durant (1885–1981)، في موسوعته "قصة الحضارة" بأنها: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد، ومتابعة العلوم والفنون (ديورانت، 1988، ص3 م1ج1). بالرغم من تحديد ديورانت لمكونات الحضارة الأربعة، إلا أنه حدد تقدمها بالإنتاج الثقافي.

ويعرف صايل الخطايبة الحضارة بأنها: "نتاج لجهد بشري منظم استطاع عبر سنين طويلة أن يمر بمختلف تجاربه اليومية، وبتحديد نمط حياته بشكل منظم، وسلوكيات أفراده داخل مجتمع معين بهيكله السياسي والاقتصادي والاجتماعي والصحي والزراعي والعسكري، بالإضافة إلى الديني والروحاني" (الخطايبة، 2010، ص13). ويتضح من هذا التعريف بأن الحضارة شامله لكافة مناحي الحياة البشرية، من مؤسسات تنظيمية وأنماط حياة المجتمع المادية والمعنوية.

وتفرق بتول جندية بين الحضارة والمدنية قائلة: إن لقب الحضارة هو وصف قيمة يطلق على أمة من الأمم لتمايز نوعي في طبيعة قيمها ووجودها المادي والمعنوي، وقوة تأثيرها في محيطها، وعندما يغدو هذا التمايز كمياً فإن الحضارة تدخل في طور المدنية، فالمدنية مرحلة من مراحل الحضارة، وليست هي الحضارة، وإذا كان الغالب في الحضارة أن تكون روحية بمعني قيميَة، أو مبدئية، فإن المدنية تكون في الغالب مادية ونفعية (جندية، 2011، ص12:11).

ويمكن عرض الخصائص العامة للحضارة على النحو التالي(خليفة وإسماعيل، 2006، ص127،128):

- الحضارة صفة لصيقة للمجتمع البشري، بغض النظر عن نمطها الذي تمتاز به إن كان بدائياً أو متطوراً، وإن كان طابعها المميز دينياً أو زراعياً أو صناعياً، فهذا لا يمنع ظهور الحضارة كنتيجة حتمية للتجمع البشري.

- الحضارة لابد وأن يكون لها وسط بشري تشيع بين أفراده، وتزدهر بعملية ديناميكية فيما نسميه بالتحضر.
- الحضارة مركب كلي تتضافر الوحدات فيه فيما يسمى بالسمات الحضارية التي تكون كل مجموعة منها تعرف باسم النمط الحضاري.

وتوضح التعريفات السابقة، أن هناك ترابطاً بين الحضارة والتاريخ، فالحضارة التي تعني ذلك الكل المركب لسلوك المجتمع من مؤسسات وعادات وتقاليد اعتاد المجتمع عليها في تنظيم وتسيير حياته، ترتبط بالتاريخ الذي صهر مكونات الحضارة في مجتمع ما بتتابع العصور، وقد فسر الفلاسفة والسياسيون علاقة الحضارة بالتاريخ، بمختلف معتقداتهم السياسية.

ويعتبر الفيلسوف أرنولد توينبي Arnold Toynbee (1889–1975)، من أشهر الفلاسفة الذين بحثوا في تاريخ الحضارات، ومن أهم أعماله "دراسة للتاريخ" في اثنى عشر مجلداً، وفي كتابه "الحضارة في التاريخ" الذي يناقش فيه بداية تكوين الحضارات في التاريخ الذي يطلق عليه "التاريخ الحضاري"، "الحضارات جميعها كانت ومازالت وسوف تظل معاصرة الواحدة مع الأخرى، وما الفرق في أعمار كل واحدة والأخرى سوى فروق صورية عند مقارنتها بالعهد الطويل الذي عاشت خلاله الإنسانية" (توينبى، ب.ت، ص32). الحضارات في التاريخ عند توينبى هي معاصرة لبعضها فهناك عناصر مشتركة في الحضارات رغم تطورها التاريخي، بمعنى أخر بعض العادات موجودة في حضارة ما منذ ألاف السنين ولم تتغير بمرور الزمن.

ويصف مؤرخ الحضارات غيزو[1] Francois Guizot (1787–1874) علاقة الحضارة بالتاريخ، موضحاً الدور الحضاري في مجريات التاريخ، فالحضارة هي إحدى اهتمامات التاريخ، من خلال تسجيل الأحداث والوقائع لشعب ما في التاريخ حيث توصف هذه الأحداث والوقائع في فترة زمنية محددة لهذا الشعب بالدور الحضاري للشعب، وما أسهمت به تلك الأحداث والوقائع بتقدمة عبر التاريخ (لوغوف، 2007، ص103:104). الحضارة مرتبطة بالتاريخ، لأن التاريخ هو الزمن، ومكونات الحضارة وثمرة الجهد المبذول الذي يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته إن

[1] فرنسوا غيزو (1787–1874): سياسي ومؤرخ فرنسي، شغل منصب وزير التعليم في فرنسا في العام 1832.

كان مادياً أو معنوياً، وهذا الجهد يحتاج إلى تاريخ كي يزداد وينمو، ولا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الحضارة حديثاً معقولاً إلا إذا عرف ماهية التاريخ معرفة معقولة (مؤنس، 1978، ص14:13).

الحضارة بمفهومها السابق تداخلت مع مفهوم الثقافة بشكل كبير، والبعض لا يفرق بين المفهومين، ولتجنب الخلط بين المفهومين، لابد من عرض ومناقشة مفهوم الثقافة لتوضيح الفرق والتداخل بين المفهومين.

2.2.3.1 مفهوم الثقافة

كلمة ثقافة Culture ظهرت في الفرنسية بمعناها الدقيق في القرن الثالث عشر، وتلتها في القرن الرابع عشر كلمات مثقف/ زارع، ومزارع Agriculteur، ولكنها لم تكتسب معناها المجازي كمعرفة، كتربية، وعلم، إلا في القرن الخامس عشر، ولم يتمايزا إلا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين (بريتون، 1993، ص20).

إن أول من قام بتعريف الثقافة هو الإنجليزي إدوارد تايلور Edward Tylor (1832–1917) الذي قدمه سنة 1871 وهو: "المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث إنه عضو في مجتمعة" (كوش، 2007،ص30). ومن وجهة نظر تايلور فإن ما يميز مجتمعاً عن آخر، كما لاحظ، إنما هي "النماذج الثقافية Patterns of Culture" (ماتلار، 2008، ص18). مصطلح الثقافة وجد قبل تايلور إلا أنه هو الذي أعطى مفهوماً شاملاً لها، وانبثقت عنه تعريفات عديدة لدى علماء الاجتماع والباحثين، إلا أن من أراد تعريف الثقافة عليه أن يعود لتايلور ومفهومه حول الثقافة.

تعرف موسوعة السياسة "الثقافة" أنها: "الإرث الاجتماعي ومحصلة النشاط المعنوي والمادي للمجتمع". ويتكون الشق المعنوي من حصيلة النتاج الذهني والروحي والفكري والفني والأدبي والقيمي، والذي يتجسد في الرموز والأفكار والمفاهيم والنظم وسلم القيم، أما الشق المادي فيتكون من مجمل النتاج الاقتصادي والتقني والأدوات والآلات وأماكن العمل، وأما الإطار الاجتماعي الذي يتحقق من خلاله هذا الإرث فهو الطقوس والجماعات وأنماط التنظيم الاجتماعي الأخرى" (الكيالي وآخرون، ب.ت، ص844ج1). الجانب الاقتصادي هنا يعني ثقافة العمل والإنتاج الاقتصادي وملكية أدوات الإنتاج، وتوضح الموسوعة بأن الثقافة هي الشخصية الحضارية. وتعرف أميرة مطر الثقافة بأنها: "نوع من السلوك والتفكير والاحساس يكسب صاحبه شخصية معينه يتلقاها من بيئته

الاجتماعية، وهي تسري إلى الأفراد بلا وعي منهم" (مطر، 2003، ص88). يتضح من هذا التعريف أن الثقافة تصقل شخصية الإنسان بلا وعي منه، بشكل كامل، فالعادات والتقاليد التي يتربى عليها الفرد في مجتمعة ويكتسبها في شخصيته تنعكس في تفكيره وسلوكه.

ومن أبسط التعريفات وأكثرها وضوحاً للثقافة بشكل عام، هو تعريف عالم الاجتماع روبرت بيرستد R. Bierstedt حيث يعرفها: "هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع" (مجموعة مؤلفين، 1997، ص9). وهذا الكل المركب هو التفكير والعمل لدى أفراد المجتمع، أي تفكير الفرد وسلوكه في المجتمع والعمل الناتج عنه، والثقافة هنا جماعية وليست فردية.

بعد أن حددنا مفهوم الثقافة، من الضروري الوقوف لتحديد مفهوم الهوية الثقافية، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه يعيش في مجموعات، وهذه المجموعات شكلت الدول والحضارات عبر التاريخ، والذي يميز الدول والحضارات هي الهوية الثقافية فلكل حضارة هويتها الخاصة بها، وهي محور أطروحة هانتنغتون في "صدام الحضارات".

إن "الهوية" من المفاهيم المعقدة والتي تعددت بشأنها التعريفات لدى العلماء والباحثين. ويعطى غوتلوب فريغه Gottlob Frege لمفهوم "الهوية" وصفاً تحليلياً من خلال المعنى والاصطلاح فيقول: "مفهوم الهوية لا يقبل التعريف، وذلك لأن كل تعريف للهوية هو هوية بحذ ذاته"، وعلى الرغم من الغموض الذي يلف مفهوم الهوية ويحيط به، يمتلك هذا المفهوم طاقة كشفية لفهم العالم بما يشتمل عليه من كينونات الأنا والآخر" (سمحة، 2005، ص43). في الاصطلاح الفلسفي لمفهوم "الهوية" تطلق الهوية على الشخص أو على الموجود المشبه بالشخص، إذا ظل هذا الشخص ذاتاً واحدة رغم التغيرات التي تطرأ عليه، وفي مختلف أوقات وجوده، فنطلق عليه هوية الأنا، وهوية الفاعل، وتسمى هذه الهوية بالهوية الشخصية (صليبا، 1982، ص531 ج2).

ويعرف تركى الحمد "الهوية الثقافية" لحضارة ما: "بأنها فلسفة الجماعة ونظرتها إلى الوجود من حولها، فهي مجمل العقائد والقناعات المطلقة التي تؤمن بها جماعة ما، وما ينجم عن ذلك من سلوك وعلاقات ومعرفة، فالثقافة هنا هي التي تمنح حضارة معينة شكلها الخاص الذي يميزها عن غيرها من الحضارات" (الحمد، 1999، ص90).

إن صيرورة التاريخ الإنساني قد حددت هوية كل أمة، وميزت جوهرها بخصائص محددة الملامح تميزها عن غيرها من الأمم، فإذا كان للهوية عدة معان فقد انتهت تلك الصيرورة، إلا أنها تعبر عن الصفات الجوهرية للشيء أو الشخص أو الأمة باعتبار ما تحققه من وجود ذاتي يعبر عن ماهية داخلية وخارجية، وهذه الصفات الجوهرية والمكونات للهوية تتصف بخصوصية تاريخية لكل أمة وتشكل الثقافة أهم عناصرها (جمعة، 2006، ص8:7). وهذه الخصوصية التاريخية تتجلى في الهوية من خلال حقب زمنية تصقل من خلالها الهوية بمكوناتها التي تميزها عن غيرها من الهويات الأخرى، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، وقد توصف مكونات الهوية بالثبات النسبي أمام التغيرات التي تحدث جراء التقدم والتطور.

ويحدد تزفيتان تودروف الهوية الثقافية لحضارة ما، من خلال السمات الرئيسية التي تميز الثقافات الحضارية المختلفة فيقول: "يولد الإنسان في حضن الثقافة، وهي السمة الأولى للهوية الثقافية الأصلية والتي تفرض عليه أثناء الطفولة، ولا يكون لدية اختيار فهي سابقة له، وهو يولد في حضن اللغة التي ينطق بها أهله، وهذه اللغة ليست حيادية فهي مطبوعة بالأفكار والأعمال والأحكام التي نرثها من الماضي، وهذه الطريقة في تصور العالم تنتقل من جيل إلى جيل آخر"(تودروف،2009، ص58).

ويقدم محمد الجابري تحليلاً لمفهوم الهوية واصطلاحها، بأنها تعني: "الأنا" لمجموعة محددة من الأفراد، وهذه "الأنا" لا تتحدد إلا بوجود "الآخر"، فالهوية الثقافية هي التي تميز بين المجتمعات. ويحدد الجابري العلاقة بين المجتمعات قائلاً "الهوية الثقافية "الأنا" لا تتحدد إلا عبر "الآخر" سواء تعلق الأمر بالفرد أو الجماعة، فإن أي تصور للمستقبل في جزء منه على الأقل هو عبارة عن محاولة ترمي إلى إعادة ترتيب العلاقة مع الآخر، فنحن إنما نفكر في المستقبل لأن شيئاً ما يهدد حاضرنا، يهددنا أو يستهوينا، أو يتقدم علينا" (الجابري (ب)، 1997، ص90).

وقد نظر المفكرون والسياسيون في الغرب لرسم العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"، في العالم المعاصر من أجل تحديد العلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق، "الأنا" أمريكا والغرب وأطلقت على نفسها "العالم الحر" و"الآخر" الاتحاد السوفيتي السابق والذي اطلق عليه "إمبراطورية الشر". ثنائية "الأنا" و"الآخر" التي تقودنا إلى أشكال العلاقة بين الهوية الوطنية، وطرف آخر، فهي تحدد نوع هذه العلاقة، هل هي صراع أم حوار؟. وقد استخدم فوكوياما

وهانتنغتون "الأنا" و"الآخر" بوصف الولايات المتحدة نموذجاً لدولة عالمية، ورسمت طُروحاتهم سناريوهات لمستقبل العالم في القرن الواحد والعشرين، من خلال تحديد العلاقات بين الديمقراطية الغربية وحضارات العالم.

اختلف علماء الاجتماع والمفكرين على مفهومين "الحضارة" و"الثقافة"، وهذا الاختلاف والتباين بين "الحضارة" و"الثقافة" يتضمن المفهوم الاصطلاحي، وكان التعارض والاختلاف بين مفهوم "الثقافة" ومفهوم "الحضارة" عند الألمان والفرنسيين، فيرى المفكرون الفرنسيون بأنه لا فرق بين المفهومين، إلا أن الألمان جادلوا بأن هناك اختلافاً بالمعنى والمفهوم بالرغم من الانتقال الحرفي لكلمة "ثقافة" عن اللفظ الفرنسي.

استخدمت "الثقافة" عند الألمان وهي منفصلة عن "الحضارة" منذ القرن التاسع عشر، وارتبطت الثقافة بالطبقة البرجوازية المثقفة التي كانت مستبعدة عن بلاط الملك والسلطة، والتي أخذت على الأمراء الذين يحكمون مختلف الدول الألمانية إهمالهم الفنون والآداب، وتكريس جل أوقاتهم لإقامة حفلات البلاط، وربط الألمان مفهوم الثقافة بالأمة التي تتصل بروح الشعب وعبقريته، والأمة الثقافية تسبق الأمة السياسية وتدعو إليها، أما عند الفرنسيين فالثقافة والحضارة تعني المفهوم الكوني لأمة واحدة (كوش، 2007، ص20–25). ويرى هانتنغتون في الفصل الثاني من أُطروحته "صدام الحضارات"، بأنه لا يوجد فرق بين مفهوم الحضارة والثقافة، حيث يقول: "إن التمييز بين الحضارة والثقافة لم يأتِ سوى عند الألمان، وإن كان لم يقبل في أي مكان آخر، وهذه المحاولات للتميز بين الحضارة والثقافة لم تنشر" (هانتنغتون،1999، ص69:68). وقد عرض في كتابه مفاهيم الحضارة التي تكون فكرتها العامة هي الثقافة، وهذا له مدلولات واستنتاجات سوف نقوم بمناقشتها في تحليل واستقراء أُطروحة هانتنغتون لاحقاً.

إن الآراء حول تحديد العلاقة بين المفهومين تباينت لدى الباحثين والسياسيين. ويفرق تزفيتان تودوروف بين مفهوم "الحضارة" و"الثقافة"، قائلاً: هناك استقلالية بين المفهومين، فالأول: يحمل حكماً قيمياً مطلقاً، والثاني: يقتصر على تميز حلقة من العالم مدرجة في سياق تاريخي، الحضارة والثقافة ليستا مفهومين متعارضين، وذلك لأن كل مجموعة مستقرة تمتلك بالضرورة ثقافة، ووجودها هو الشرط الضروري للحضارة (تودروف، 2009، ص38). ويفرق عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل بين الحضارة والثقافة قائلان: "الحضارة هي الصورة المادية لكل ما يصدر من الإنسان

من نشاط، بينما تقتصر الثقافة على الجانب الفكري والمعنوي فقط" (خليفة وإسماعيل، 2006، ص127:128). وعند العرب تحددت المصطلحات بشكل واضح، فالحضارة كانت تعني لهم الإنجاز المادي للبشر "علم العمران"، أما "الثقافة" تعنى لهم الإنجاز المعنوي (ياسين، 1994، ص19).

وعليه يمكن لنا القول: بأن الحضارة بمعناها العام تشمل كافة جوانب الحياة لمجتمع ما، فهي شاملة لكافة الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية... إلخ، وهذا يعني أن الثقافة هي الجزء الرئيس للحضارة والذي يختص بالجزء الفكري والمعنوي. ويمكن اعتبار الحضارة الانجاز المادي والانجاز المعنوي، والثقافة هي الانجاز الروحي والمعنوي، أما المدنية فهي تعني الانجاز العمراني والمادي.

4.1 الخلاصة

إن تطور العلوم الإنسانية في العالم المعاصر الغربي، جاء كنتيجة لفكر عصر التنوير، الذي اعتمد على العقل بدلاً من الدين والأساطير الأوروبية القديمة في جميع المجالات العلمية كالفلسفة والتاريخ.

وعمد مفكرو ومؤرخو عصر التنوير إلى كتابة أفكارهم السياسية بعيداً عن الدين والأفكار اللاعقلانية "الأسطورة" التي كانت سائدة في العصور الوسطى، وهذه الأفكار السياسية العقلانية أدت إلى ظهور النظريات السياسية والفكرية التي شكلت الأيديولوجيات السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، كالليبرالية والاشتراكية والفاشية والنازية، وهذا ما سوف نراه في الفصل اللاحق.

الفصل الثاني

الحضارة والأيديولوجيا في الفكر الغربي المعاصر

المبحث الأول: الحضارة والتاريخ في العالم الغربي

المبحث الثاني: نهاية عصر الأيديولوجيا

المبحث الثالث: المحافظون الجدد والفكر السياسي الأمريكي

1.2 تمهيد

يعتبر القرنان العشرون والحادي والعشرون عصرين ظهر فيهما مصطلح "النهايات" "Endism"، وهما اللذان يوصفان بعصري التقنية والتكنولوجيا، خلافاً للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد عرفت البشرية في القرنين تقدماً وإنتاجاً علمياً في كافة المجالات العلمية والفلسفية، وتجلت في ثورتين كانتا سبباً في التقدم الهائل للعلم بكافة مجالاته، الثورة الصناعية وصناعة الآلة في بريطانيا في القرن الثامن عشر، والثورة الفرنسية 1789، التي أدت إلى تغيير أنظمة الحكم في أوروبا تباعاً، كان ذلك نتيجة الفكر السياسي لدى مفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. إن تاريخ الإنسانية خضع للبحث والتأمل عند مفكري الغرب وفلاسفتهم، ومن أشهر فلاسفة التاريخ الذين فسروا التاريخ ومساره هم: "هيجل وماركس"، وقد عاد فوكوياما البحث في التاريخ معهم، وخاصة هيجل الذى أعاد معه تفسير التاريخ مباشرة للتدليل على صحة فروضه في أُطروحة "نهاية التاريخ".

تقود الولايات المتحدة العالم بمفردها بعد انتهاء الحرب الباردة، في ظل النظام العالمي الجديد "أحادي القطبية"، وهذه القيادة للعالم كان لابد لها من دستور تحكم العالم من خلاله، وكان المشرعون له هم المحافظون الجدد، وكان هذا الدستور بمثابة التنظير السياسي لعالم ما بعد الحرب الباردة والذى يشرع القوانين لمستقبل الكون القادم.

ويأتي هذا الفصل ليبحث في فكر "النهايات" مع فلاسفة السياسة والمفكرين اللذين يطرحون نهاية للتاريخ والأيديولوجيا، وبيان وتحليل هذه "النهايات" التي عاد لها فوكوياما وهانتنغتون في فرضيات طُروحتيهما. بالإضافة إلى الدراسات والبحوث في تاريخ الحضارات وتحليل مكوناتها عند الباحثين وكيف يرى المفكرون تطور الحضارات وعلاقاتها في صيرورة التاريخ من خلال تحليل ارتباط الحضارة بالتاريخ عند المفكرين الغربيين، كما يهدف هذا الفصل أيضاً إلى بيان المنطلقات الفكرية للمحافظين الجدد، وأهدافهم وتطور دورهم السياسي في الولايات المتحدة، وذلك لفهم طبيعة الفكر السياسي لدى فوكوياما وهانتنغتون.

2.2 المبحث الأول: الحضارة والتاريخ في العالم الغربي المعاصر

بحث فلاسفة السياسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في فلسفة التاريخ الوضعية، وفي هذا يقول الجابري: "فلسفة التاريخ عرفت رواجاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي عملت على استعادة المشروع البابوي بإنزاله من سماء العناية الإلهية إلى صيرورة التاريخ... واستند فلاسفة التاريخ إلى عوامل طبيعية، التي اعتبروها تفعل فعلها بصورة آلية وحتمية، ولم يستند أولئك الفلاسفة في تقرير ذلك إلى مقولة "شعب الله المختار" و "العناية الإلهية" (الجابري(أ)، 1997، ص121). فقد اعتمد فلاسفة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على صيرورة التاريخ وليس على العناية الإلهية.

الفيلسوف فولتير (1694–1778) في كتاباته عن التاريخ هو أول من صاغ مصطلح فلسفة التاريخ، وانتقد فكرة العناية الإلهية، وكان ينظر للتاريخ بعقلانية، وكان يرى إعادة تقييم التاريخ الأوروبي في العصرين القديم والحديث، وذلك للكشف عن أخطاء الماضي وإمكانية تجنبها في المستقبل (النشار، 2012، ص183:184). بعد فصل الدين عن الدولة التي كانت سائدة في القرون الوسطى، والتي خلفت حروباً مدمرة دامت لسنوات في أوروبا، نظر المفكرون والفلاسفة إلى الدولة العلمانية وإلى الفكر الطبيعي، لأن التاريخ في السابق عند الفلاسفة ورجال الدين ينقسم إلى الحياة الدنيوية وحياة الأخرة، فقد سأمت أوروبا من حكم الكنيسة وصكوك "الجنة والنار"، ففي عصر الحداثة جاءت الفلسفة الوضعية للتخلص من حكم الكنيسة وتاريخها. ويرفض الفيلسوف الإيطالي بينيدتو كروتشه Benedetto Croce (1866–1952) التفريق بين "التاريخ" و"فلسفة التاريخ"، ويأتي موقفه الغريب من خلال ما يطرحه حول التاريخ، فيرى أن فلسفة التاريخ لا محل لها، لأن التاريخ هو فلسفة. ويعتبر التاريخ في جوهره هو فعل الفكر، والأسباب التي جعلت كروتشه يمزج بين التاريخ وفلسفة التاريخ، هو أن أي تفكير في التاريخ في حد ذاته فلسفة، كما يرد كروتشه مجموع المعرفة الانسانية إلى معرفة تاريخية (السعيدي، كانون أول/ديسمبر 2000). ويدلل كروتشه على فكرته قائلاً: "حين يقوم تاريخ الأدب بدراسة "دانتي[1] Dante" ليس هو شخص دانتي وإنما الشعر"، وهكذا فإن التاريخ والفلسفة يصبحان شيئاً واحداً، وفي الواقع كروتشه يرى إن كل فيلسوف هو في

[1] دانتي Dante Alighieri: أديب إيطالي شهير، ولد وعاش في فلورنسا (1265–1321)، ومن أهم مؤلفاته الشعرية "الكوميديا الإلهية".

نفس الوقت مؤرخ، وإن كل مؤرخ هو في نفس الوقت فيلسوف، لأن هناك تاريخاً في فلسفة أي فيلسوف، وهو حياة هذا الفيلسوف كلها (بوشنسكي، 1992، ص117). وينتقد مصطفي النشار رأي كروتشه قائلاً: "رغم وجاهة رأي كروتشه إلا أنه ليس صحيحاً، فليس كل مؤرخ فيلسوفاً وإن كان يمكن أن يتحلى بعضهم بالنظرة الكلية التي يتحلى بها الفيلسوف، وتميز نظرته للتاريخ" (النشار، 2012، ص29).

يطرح اشبنغلر Oswald Spengler (1880–1936) جدلية العلاقة بين التاريخ والحضارة، ليستطيع من خلال منجزات الحضارة في التاريخ أن يعالج رفعة الحضارة وتدهورها.

> "إذا ما أردنا أن نكتشف الشكل الذي يريد لها القدر قدر الحضارة الغربية، أن تبدو منجزة ومكتملة فيه، علينا أولاً أن نعرف بوضوح ما هي الحضارة، وما هي ارتباطاتها بالتاريخ المنظور، وما هي علاقاتها بالحياة وبالروح وبالطبيعة، وبالفكر وما هي أشكال مظاهرها، وإلى أي مدى تمتد هذه الأشكال(الشعوب واللغات والعصور التاريخية والمعارك والعقائد والأفكار والدول والآلهة والفنون والعلوم والقوانين والانظمة الاقتصادية والأفكار العالمية والرجال العظام والاحداث الضخمة) ويمكن القبول بها والاشارة إليها بوصفها نماذج ومثلاُ" (اشبنغلر، 1964، ص40،41 ج1).

يرفض اشبنغلر المنهج التاريخي لدى المؤرخين، وهو في نظره دراسات غير متعمقة، فلا يوجد تماثل في تاريخ الحضارات بالكامل، "لكل حضارة إمكاناتها الجديدة الخاصة بها للتعبير عن ذاتها"(اشبنغلر،1964 ، ص69 ج1). الحضارة في جوهرها لها مميزاتها الخاصة التي لا تتماثل مع الحضارات الأخرى، ويرى هذه المميزات حينما يقارن فن النحت والعمارة الموجود في كل الحضارات، إلا أنه بلون خاص، ففي صيرورة التاريخ عند اشبنغلر نستطيع أن نرى ثلاث مراحل للحضارة "النشأة، النضج، الشيخوخة"، ويُقسم الطبقات داخل الحضارة الى طبقتين "النبلاء" و"الكهنوت" أي الفلاحون، فنشأة الحضارة كانت بظهور طبقة النبلاء، أما الفلاحون فهم موجودون قبل ظهور الحضارة، لذا بشر بانحلال الحضارة الغربية لأنها تخلت عن تركيبة الحضارة الرئيسية وهي "طبقة النبلاء".

إن الفلاسفة والمفكرين الذين كتبوا في فلسفة التاريخ وتاريخ الحضارات ليس بالعدد القليل، ففي هذه الدراسة لا نستطيع تحليل ومناقشة فلسفتهم لدراسة التاريخ والحضارات، إلا أننا سوف ندرس مؤرخين جعلوا الحضارات أنموذجاً لدراسة التاريخ وهما:

أرنولد توينبي Toynbee (1889–1975)، وفرناند بردويل Bardwell (1902–1985)، وهذا ليس تفضيلاً لهما عن غيرهما من المؤرخين، وإنما لدراسة قانون التحدي والاستجابة عند توينبى، وقانون صراع الحضارات عند فرناند بردويل، وذلك لمقارنة طُروحاتهما الفكرية مع ما يطرحه هانتنغتون الذى عاد إليهما وهو يبحث في تاريخ الحضارات.

وبالانتقال إلى فلسفة التاريخ، سوف نعود لفلسفة "هيجل Hegel (1770–1831) وماركس Marks (1818–1883)"، الذي يعود إليهما فوكوياما ليثبت أن التاريخ غائي. وكذلك يستند فوكوياما على تفسيرات الكسندر كوجيف Alexandre Kojeve [1] (1902–1968) لفلسفة هيجل التاريخية في تبريراته وصحة فرضياته في أُطروحته "نهاية التاريخ".

1.2.2 أرنولد توينبي ونظرية "التحدي والاستجابة" للحضارات

ارتباط الحضارة بالتاريخ كان له أهمية عند فلاسفة التاريخ، وقد عرف بعض الفلاسفة والمفكرين من خلال بحثهم وكتاباتهم عن الحضارة والتاريخ، ولعل أشهرهم هو توينبي الذي جعل الحضارة محور الدراسات التاريخية، والذي ترتب عليه بأن تصبح الحضارة هي محور الدراسات التاريخية (خليفة وإسماعيل، 2006، ص126). ويعتبر توينبي من المؤرخين الذين يتمتعون بقدر عالٍ من الموضوعية والحياد في نظرته إلى الحضارات المختلفة، فهو مؤرخ أكثر منه فيلسوف، وحرصه كان واضحاً في كتاباته ونظرته الشاملة إلى التاريخ، جعلته يتفوق على الفلاسفة في استنتاجاته وتقييماته لكل الحضارات، فقد درس تاريخ الحضارات بالإضافة الى زياراته المختلفة لبلاد العالم والبحث في آثار الحضارات، وهذا ساعده على أن يستبعد وينتقد كل التفسيرات الأخرى للتاريخ ويرد على مؤرخي الغرب بشأن الحضارات الأخرى وتمجيد حضارتهم (النشار، 2012، ص246).

كتب توينبي موسوعته "دراسة للتاريخ" في اثنى عشر مجلداً، وحدد 21 حضارة منذ بدء الخليقة وأحصى 650 مجتمعاً بدائياً لم ترتق جميعها إلى الحضارة، وتمر هذه الحضارات في تصوره بثلاث مراحل متعاقبة "النشوء، والنضج، والأفول" (كوش، 2007، ص90). إذن ما هي نظرية "التحدي والاستجابة" الذي يطرحها توينبي؟

[1] الكسندر كوجيف Alexandre Kojeve (1902-1968): فيلسوف روسي ، واسمة الحقيقي كوجيفنيكوف، غادر روسيا طوعا عام 1919 بشكل نهائي، درس الفلسفة في ألمانيا، وانتقل إلى باريس ليدرس الفلسفة فيها في العام 1926، ثم درس الفلسفة في فرنسا، وكانت محاضراته لتدريس الفلسفة الهيجلية، وهو أحد أكبر مفسري هيجل في القرن العشرين، وله عدة كتب، وأهمها: "مدخل لقراءة هيجل- دروس حول فينومونولوجيا الروح" (بومسهولي، يوليو/ تموز 2011).

استخدم أرنولد توينبي قانون "التحدي والاستجابة" لشرح كيفية أفول وصعود الحضارات، ويتطلع توينبي إلى القضية الأساسية التي توضح نجاح أو فشل الحضارة عن طريق "التحدي" والذي يتمثل بعدة عوامل وهي: "النمو السكاني، استنفاذ المورد الحيوي، تغير المناخ"، وهذا التحدي لا يكون في كل تغييراته سلبياً، أما "الاستجابة" فهي الإجراءات التي تتخذها الحضارة أو المجموعة البشرية التي تتعرض لتلك التحديات (Schmandt and Ward, 2000, p1). وأهم ما جاء به توينبي الحالتان الأساسيتان "السلب والإيجاب"، في نظريته "التحدي والاستجابة"، الحالة الأولي: يمثل السلب الضعف والجمود والعجز عن الإبداع وقبول الماضي كما هو والاكتفاء بإعادة القوالب القديمة والموروثة من الأجداد، أما الحالة الثانية فهي الإيجاب أي التقدم والتحدي والتخطيط للمستقبل ومجابهة مشكلاته والواقع والبيئة بالإدارة الحازمة والفكر المبدع (فهد، 2010، ص45). إن التحدي الذي يواجه المجتمع أو الأمة يكوُن ردة فعل للمجتمع وهى الاستجابة، وهذه الاستجابة إما أن تكون ايجابية أو سلبية، فحينما تكون سلبية، فهو الخوف من التحدي والانكفاء والتراجع والاضمحلال، أما الإيجابية فهي مواجهة هذا التحدي بالإبداع والفكر لمقاومته والتغلب عليه.

وكي تتضح الصورة لنظرية "التحدي والاستجابة" يضرب تونبي مثالاً للحضارات القديمة فيقول: "المطر، يمثل التحدي في التحول إلى الأقاليم والمدن أو البقاء تحت المطر، فانتقلت بعض الجماعات إلى مناطق أقل مطراً وبرزت عدة استراتيجيات للاستجابة، وبعض الجماعات لم تفعل شيئاً وبقيت على أساليبها القديمة تحت المطر وجمع الثمار فهلكت، وجماعات أخرى هاجرت لمناطق أقل مطراً واخترعت تدجين الحيوانات والزراعة مكونة حضارات مثل الحضارة الفرعونية والسومرية" (Schmandt and Ward, 2000, p2). في عالمنا المعاصر الإبداع والتقدم العلمي والتقني هو شرط أساسي لقوة الدولة في كافة المجالات، فقوة الغرب الاقتصادية وعولمة العالم، تمثل التحدي لدول العالم الثالث والاستجابة لهذا التحدي قد يكون بالسلب أو بالإيجاب، إن كان موقف الدولة سلباً، كمنع التعامل مع الغرب، فسوف تحاصر نفسها وتكون في عزلة عن العالم كما هو حاصل اليوم في كوريا الشمالية، وإن كان الرد على التحدي القائم إيجابياً، فسوف تقوم الدولة بتطوير إمكانياتها الذاتية لمجابهة التحدي القائم، من خلال الإبداع والتقدم العلمي، كما هو حاصل في كوريا الجنوبية.

2.2.2 فرناند بردويل وصراع الحضارات

يفسر بردويل علاقة التاريخ بالحضارة قائلاً: "نستطيع عبر عصور متباينة تجتازها حضارة من الحضارات وتغيرات بطيئة فيها، ونقلات لها من الارتقاء والتدهور والصمود والخضوع والإذعان والرفض والمقاومة والاستسلام أن نستخلص صياغه أو وصفاً يعبر عن تقييم وتفسير نهائي يرد إليها، بمالها وصف نهائي وجهها الخاص فإن لكل مظهر من مظاهرها حلقة في سلسلة تاريخية يتعاقب بعضها إثر بعض" (بردويل، 1990، ص30).

علاقة التاريخ بالحضارة عند فرناند بردويل هي علاقة ترابطية لا يمكن قراءة تاريخ الحضارة إلا عبر تاريخها، والحضارة تمر عبر تاريخها بعدة مراحل، وهذه المراحل تتسم بالبطء الشديد فهي تتطور عاماً بعد عام، وربما قرناً بعد قرن عبر عصور التاريخ.

في كتابه الضخم "الحضارة والرأسمالية" يقرأ بردويل تاريخ البشر من خلال الأشياء الصغيرة، ويبدأ بطرح أسئلة صغيرة، ويبدأ بالبحث عن أجوبة لها، ويبدأ من غرفة الطعام وتحضير الخبز حتي يصل إلى تطور الطعام عند البشر، وكذلك يعود للطاولة من جديد ليبحث عن الأدوات وتطورها "الطاولة، الصحون، الملاعق...." من خلال هذا التطور يأتي جدل الإنسان والحاجة، والحاجة هي أساس تطور الإنسان (نهويض،1996، ص172:173).

وفي عرضه لتاريخ الحضارات القديمة والعلاقات القائمة فيما بينها، يصف حضارات الشرق الأدنى الهند والصين بأنها كانت همجية ومتوحشة جراء الحروب الداخلية والخارجية من قبل المغول، وبمرور الوقت بدأت تلك الحضارات تتطور، وبالمقارنة مع الحضارة الأوربية يقول: "الغرب بعيد لا يقدم على مثل هذه الأحداث والحروب، حتى حروب القرن العشرين التقنية، فلم تعرف موجات المجازر هذه" (بردويل، 1999، ص209). أما الحضارة الإسلامية التي بالكاد كانت متحضرة، فالعرب عاشوا في قبائل، ولم يكن لهم مدن كالتي كانت موجودة في الحضارة الغربية، وقد وصف الحضارة الإسلامية بأنها أقوى الحضارات في "العالم القديم" إلا أنه أعاد سبب الفتوحات الإسلامية للسيطرة على خيرات الحضارات المجاورة لا لنشر دين التوحيد.

من خلال قراءته لتاريخ الحضارات القديمة وتطورها التاريخي عبر التقدم والتدهور والنمو والتبعية، نجد انحيازه للحضارة الأوروبية "الأنا" التي ينتمي إليها مقابل "الآخر" حضارات العالم، ولعله واضح في كتاباته تحامله على الإسلام وهو بهذا يتفق مع هانتنغتون. فيما يعطي اشبنغلر

تحليلاً فلسفياً للمؤرخ والفيلسوف الذي يبحث في تاريخ الحضارات قائلاً: "إن المراقب للتاريخ هو عضو ذو مصلحة في حضارته الخاصة، معرض تحت تأثير نزعاته الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية، لأن ينظر للتاريخ نظرة محدودة" (اشبنغلر، 1964، ص193). والباحث عن العلم لابد أن يكون محايداً، يكون له هدف واحد، وهو الوصول للحقيقة، ويستطيع الفصل بين العواطف والعقل، إلا أن الباحث يتأثر بعواطفه.

في كتابه "المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني"، يبين بردويل النظرة الشمولية للتاريخ، ويعتبر الاعتماد على تحليل الوسط الجغرافي في حد ذاته نتيجة مباشرة للقيمة التي يوليها بردويل للتاريخ، وينقسم المتوسطي إلى: حوض شرقي وحوض غربي، وهذان المتوسطان اللذان يسيطر عليهما العداء، هما في الواقع مختلفان طبيعياً واقتصادياً وثقافياً، وهذا التناقض الكبير هو الذي كان يتحكم في حياة البحر في القرن السادس عشر، حيث يصف بردويل هذه الحياة بأنها "اقتصاديات وحضارات مجتمعات وأنماط عيش تتصادم" (بوميان، 2007، ص214:215).

بعد عرض فكر بردويل للحضارات وتطورها التاريخي، لابد لنا من الإجابة عن السؤال التالي: ما هي فكرة صراع الحضارات عند بردويل؟.

الحضارات عاشت وتعيش صراعاً دائما، فدروس التاريخ تؤكد أن الحضارات الأقوى المنتصرة تتغلغل غالباً في الحضارات الأضعف وتستعمرها، مما يجعل هذه الأخيرة تنتقم على طريقتها ووفق أسلوبها الخاص إلى أن تفك الطوق وتكسر الاستعمار، فتنقلب بذلك على الحضارات التي استعمرتها. ويعطينا بردويل مثالاً عن هذا الانقلاب الحضاري بالقول: "إن أوروبا نجحت في غزو واحتلال أمريكا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، لكن مع أواخر القرن العشرين أمريكا تنقلب على أوروبا" (السعيدي، ديسمبر/ كانون أول 2000).

ويحلل بردويل في كتابه "المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني" تاريخ البحر المتوسط وحضاراته، فهو لا يمضي في التاريخ السردي، وهو لا يرى بوجود بحر واحد بل هناك بحار كثيرة، فتجري الحياة في حوض البحر من خلال تلاقي وتصادم الأفراد والجماعات، فالناس يسافرون ويصيدون ويخوضون الحروب ويغرقون في البحر، فالتاريخ مليء بتدخلات ثقافية واقتصادية على السواء، من الشمال الأغنى إلى الجنوب الأفقر (ليشته، 2008، ص194-197).

وصدام الحضارات عند بردويل يعني مبرراً لوجودها ، فالبحر المتوسط يدين لحضاراته بحروبه وكذلك بمبادلاته المتعددة التي تمت بين الحضارات، ويؤكد بردويل بأن الصراع إذا كان حتمياً فهو مثمر، لولا وجود تلك الصراعات لما تقدمت الحضارات عبر التاريخ (السعيدي، ديسمبر/ كانون أول 2000). الوقائع والأحداث التي جرت عبر تاريخ البحر المتوسط والحضارات على جانبيه، أثرت في حياة الجماعات والشعوب التي عاشت على ضفافه، من خلال الثقافات والحروب، فهذه الصدامات أدت إلى تنقل المعارف من خلال صراع الحضارات عند بردويل، وهذا يعني بأن صراع الحضارات عند بردويل هو إيجابي، لأنه ينقل المعارف والعلوم بين الحضارات، وبالتالي تتطور التكنولوجيا وتتقدم الحضارات.

3.2.2 هيجل وفلسفة التاريخ

عندما نتحدث عن فكر هيجل، فإنما نتحدث عن أهم الفلاسفة الذين ارتبطت بهم فلسفة التاريخ، فقد كشف عن جوهر جديد للتاريخ "الفكر هو أساس التاريخ"، فالتاريخ ليس تاريخاً إلا للوعي، وتطور الوعي هو بمثابة تطور للتاريخ. وهذا الوعي لا يكون إلا من خلال العقل، لأن العقل جوهر التاريخ وجوهر الإنسان على حد سواء (النشار، 2012، ص189). وهذا التقدم مستمر من خلال حقب التاريخ، وانتقال الحضارة من عصر الى عصر، ويعنى هيجل بأن التقدم دائماً إلى الأمام، لا التكرار والعودة إلى الوراء (فهد، 2010، ص37). ولم يعر هيجل اهتماماً كبيراً لأشخاص الأفراد في التاريخ، "فأما في تاريخ العالم، فإن الأفراد الذين علينا أن نتعامل معهم هم الشعوب والوحدات الكلية التي هي الدول"، وهو أمر ينطوي على مشاركتهم الحرة بشكل ذاتي في أهداف تتسامى فوق المصالح الأنانية البحتة (ويدجري، 1996، ص74). فالدولة عند هيجل هي وحدة دراسة التاريخ، إنها الحرية في صورتها الواقعية، كل نشاط بشري وكل عمل فكري إنما يتحقق من خلال الدولة وأنظمتها(صبحي،1975، ص210).

يستند منطق التاريخ عند هيجل على "الديالكتيك"؛ والديالكتيك هو: الجدل أو المحاورة وتبادل الحجج بين طرفين، دفاعاً عن وجهة نظر معينة. وفي فكر هيجل يعني: التناقض والتعاكس الخلاق، فالكائنات تفضي ما عندها، وتفرغ مخزونها باستمرار خلال عمليات الديالكتيك. ونجد جوهر التطور عند هيجل هو صراع المتناقضات، على أساس أن كل ظاهرة تحتوي تناقضاً داخلياً يدفعها إلى الأمام ويؤدي بها آخر الأمر إلى شيء آخر، أي انبثاق ظاهرة جديدة، وبالتالي يتحول

النظام القائم إلى نظام آخر (فهد، 2010، ص36). يقدم هيجل تفسيراً للتاريخ من خلال الروح التي تسعى لأن تكون حرة. لا تكشف الروح "العقل" عن وعيها الذاتي كما تكشف عنه في التاريخ، فتاريخ العالم يعبر عن تقدم الوعي بالحرية (صبحي،1975، ص208).

ويقسم هيجل الحضارات إلى مراحل، فيبدأ بالمرحلة الأولي من الحضارات الشرقية "الفرعونية، الفارسية، الهندية، إلخ"، التي تتميز بخاصية أن المواطنين جميعاً في كل مجتمع كانوا عبيداً للحاكم الذي كان عبداً لنزواته، والمرحلة الثانية تمثلها الحضارات "اليونانية والرومانية"، حيث إننا نجد أن نطاق الحرية قد اتسع بحيث أصبح بعض المواطنين أحراراً، وفي نهاية تحليله يصل إلى الأمم "الجرمانية" التي قد وصلت إلى الوعي بأن الإنسان هو حر (الشيخ، 2000، ص159:160).

بعد عرض فلسفة التاريخ الهيجلية، وفكرة التقدم في التاريخ من خلال التناقضات في المجتمع، يمكن أن نتساءل هل التناقضات في المجتمع انتهت؟ والتاريخ وصل إلى النهاية؟ ما يطرحه هيجل في نهاية التاريخ للحضارات الإنسانية وتطورها، كما قمنا بعرضها سابقاً في فكرته للحضارات، وتطور الروح "العقل" للوصول للحرية والوعي الذاتي، فأنه يعطي تصوراً لنهاية التاريخ، وذلك من خلال اعتقاده بأن التاريخ الإنساني قد مر عبر سلسلة من المراحل الحضارية، وفي كل مرحلة تطورت الصراعات والتناقضات الداخلية، مما أدى إلى تهديمها، وما كان من الممكن حل هذه التناقضات إلا من خلال عبور مرحلة جديدة أكثر تقدماً وتطوراً، والتي بدورها تحتوي على تناقضاتها الداخلية وهكذا، والتاريخ ينتهى عندما نصل إلى شكل من المجتمع تكون فيه كل التناقضات قد حلت (أبو شهيوة وخلف، 1995، ص297).

فيما يبدي برتراند رسل Bertrand Russell (1872–1970) رأيه حول مسألة النهاية عند هيجل قائلاً: "ربما ظن البعض أن الديمقراطية قد تكون الصورة الملائمة لحكومة يكون الكل فيها أحراراً، وليس الأمر كذلك، فالديمقراطية والأرستقراطية كلتاهما تنتميان إلى المرحلة التي يكون فيها البعض أحراراً؛ والاستبداد للمرحلة التي يكون فيها واحداً حرا" (رسل، 1977، ص361). ولعل رأي رسل حول نهاية هيجل ما زال مجدياً، فالليبرالية صحيح تطورت وتقدمت وما زالت قائمة ومتقدمة، إلا أنه هناك تناقضات كبيرة ومعقدة على المستوى الداخلي لها، كالأزمات المالية، وعلى المستوى الخارجي في علاقاتها مع الحضارات الأخرى.

4.2.2 ماركس والمادية التاريخية

الحديث عن كارل ماركس (1818–1883) يأخذ جانبين وهما: الأول: يتصل بالاشتراكية العلمية، والثاني: يتصل بتفسير تطور التاريخ على أُسس اقتصادية، وقال ماركس بمساعدة فردريك إنجلز Friedrich Engels (1820–1895): إن التفسير الاقتصادي للتاريخ له جانبين: الأول: يتصل بالمنهج والثاني: يتصل بالمذهب. أما المنهج فهو "الديالكتيك الهيجلي"، وأما المذهب فهو "المادية". لقد خلع الغلاف المثالي لمذهب هيجل بل وانتقده، واعتبر جدل هيجل واقفاً على رأسه، بدلاً من قدميه بسبب هذه النزعة المثالية، وقد استعار الديالكتيك الهيجلي وألبسه ثوباً آخر مادياً ثم طبقه على الظواهر الإنسانية والطبيعية معاً (صبحي، 1975، ص219:218).

مفهوم ماركس للتاريخ، كان ماركس يدرك قوة الاحتياجات الطبيعية للغذاء والمأوى، لا لأن الاحتياجات الطبيعية لها أهمية كبرى مطلقة على الاحتياجات الأخرى، لكن لأن لها قوة الحاجة البيولوجية، فاذا لم تتم تلبيتها فإننا لا نستطيع العيش، ولأن العلاقات التي ندخل فيها لتلبية حاجاتنا هي ضرورة ملحة، وإلى أن تتم تلبيتها فهي تبقى مسيطرة على الانتباه ومن المحتم أن تشكل حياتنا وكياننا ذاته، وهذا هو مذهب "الحتمية الاقتصادية " لماركس (تيندر، 1993، ص265). ماركس يري أن القوى الحقيقية التي تحكم التطور التاريخي في جميع حالاته تأتي من تحديد سلوك الإنسان، وهو يتصرف متأثراً ببعض الدوافع الاقتصادية، وأن الحالة الاقتصادية هي التي تحدد بصفة محددة النظم الأخلاقية والدينية والاجتماعية والسياسية (الشيخ، 2000، ص167). أخذ ماركس عن هيجل الطريقة الجدلية، فجعل من التناقضات داخل المجتمع المحرك الأساسى للتاريخ، أي أن القوى المنتجة فيه هي في تناقض مع علاقات الانتاج فيؤدي ذلك الى صراع الطبقات، وما يميز طبقة عن أخرى هو امتلاكها أو عدم امتلاكها لوسائل الإنتاج، ولا تكون أي مجموعة بشرية طبقة اجتماعية إلا إذا كان أفرادها متماسكين فيما بينهم (سليمان، 2000، ص112). تأثر ماركس بالقسوة المروعة للنظام الصناعي، ورأى أن النظام سوف يتطور على الأرجح من المنافسة الحرة نحو الاحتكار، وأن ظلمه لا بد وأن ينتج حركة ثورية بين "البروليتاريا Proletariat" العمال، وتنبأ كارل ماركس بالاشتراكية واعتقد بأن الاشتراكية متى قامت فإنها تخدم السعادة الإنسانية بأكثر مما فعل الإقطاع أو الرأسمالية (رسل، 1977، ص434:433).

يرى ماركس أن التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الانساني، وهذه القوانين حتمية، أي أنها تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه، فإذا أدرك الإنسان هذه القوانين استطاع أن يقرر صورة مستقبل الجماعة الإنسانية، وهذه القوانين هي حقائق متعلقة بطبيعة العمل والانتاج، وطريقة توزيع الثروة بين المواطنين، فإن الثروة تنتج عن العمل، والعمل يقوم به من يعملون بأيديهم، ولابد أن تعود ثمرة العمل لهم (مؤنس، 1984، ص117). الدولة عند ماركس هي وسيلة وليس غاية فإن الدولة بعد الوصول إلى الاشتراكية لابد وأن تزول للوصول الى المجتمع الشيوعي.

نظرية كارل ماركس المادية التاريخية، بشرت بإنهاء كافة أشكال الوحشية للنظام الرأسمالي والثورة عليه للوصول إلى السعادة الإنسانية، عندما ينتهي الصراع الطبقي وتكون ملكية أدوات الإنتاج ملكية عامة للجميع. النهايات التي طرحها ماركس هي: "نهاية الطبقات، نهاية الدولة، نهاية الاقتصاد"، عندما تصور ماركس حدوث ثورة تؤدي إلى نهاية كل أشكال الاغتراب، وبناء عالم حرر من الضغوط وسيطر على الضرورات (فياض ومولود، 2011، ص31). تصور ماركس للعالم جاء قبل تصور فوكوياما بقرنين تقريباً، فقد بشر ماركس بنهاية التوحش الرأسمالي، وذلك من خلال مرحلتين: الأولي: هي الاشتراكية التي تكون ملكية وسائل الإنتاج للعامة ووجود دولة، أما الثانية: فهي الشيوعية، والاشتراكية هي فترة انتقال للوصول للمجتمع الشيوعي، أي نهاية الدولة وملكية وسائل الإنتاج تكون ملكاً للعامة، والذي تنتهي فيه كل أشكال الاغتراب.

3.2 المبحث الثاني: نهاية عصر الأيديولوجيا

في المبحث السابق تطرقنا إلى فلسفة التاريخ وكتابة تاريخ الحضارات عند عدد من المفكرين، الذين أدلوا بأفكارهم لتحليل التاريخ والحضارات، فصاغ كارل ماركس نظريته السياسية حتى أصبحت الأيديولوجيا الاشتراكية التي اعتنقتها الثورة البلشفية في روسيا، وأخذت الأيديولوجيا النازية تمجد الروح الألمانية في فكر هيجل، ويمكن القول بأن أيديولوجيات القرن العشرين انبثقت من الأفكار والنظريات السياسية التي صاغها مفكرو القرن الثامن عشر والتاسع عشر، ففي منتصف القرن العشرين، بعد سقوط وصعود تلك الأيديولوجيات في الدول الكبرى جراء الحروب العالمية والحرب الباردة، بدأ طرح فكري جديد ينادي بنهاية وسقوط الأيديولوجيا من سياسة الدول.

في العام 1955 عقدت "منظمة الحرية الثقافية" مؤتمراً في ميلانو بإيطاليا، وكانت الغاية منه القضاء على الأيديولوجيا، وناقشت جلسات المؤتمر "نهاية عصر الأيديولوجيا"، حيث وقد ألقى

عالم الاجتماع الفرنسي ريموند آرون Raymond Aron (1905-1983) المحاضرة الرئيسية تحت عنوان "نهاية عصر الأيديولوجيا"، حيث كان يرى نهاية الأيديولوجيا لازمة لأنها صحية، وهي عقبة أساسية أمام تطور الدولة، أما عالم الاجتماع الأمريكي دنيال بل[1] Daniel Bell رئيس المنظمة، فقد أعلن بأن نهاية الايديولوجيا قد تحققت في الولايات المتحدة (وهبة، 5 يونيو/حزيران 2012).

نهاية الأيديولوجيا واليوتوبيا كان لها صدى قوي داخل الأوساط الثقافية الغربية في خمسينيات القرن الماضي، وبعد مؤتمر "ميلانو" صدرت عدة دراسات نظرية لتدعيم نهاية الايديولوجيا، فكانت كتب دنيال بيل ومارتن ليبست Seymour Martin lipset [2] من أبرز الدراسات الداعمة لترويج وتفسير "نهاية الأيديولوجيا" (فياض ومولود، 2011، ص35). تم صياغة مصطلح "نهاية الأيديولوجيا" في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، فقد شاع استخدامه في السياسة. وأسس علماء الاجتماع والسياسية في الغرب الليبرالي نهاية الأيديولوجيا، وكان عقد مؤتمر "ميلان" هو بمثابة الإعلان الرسمي لنهاية عصر الأيديولوجيا.

معظم الكتب والدراسات التي بحثت نهاية الأيديولوجيا اتفقت بأن هناك اتجاهين أساسيين يهتمان بنهاية الأيديولوجيا، الأول: يطرح نهاية الأيديولوجيا من خلال علاقتها بالسياسة، أما الثاني: فيطرح نهاية الأيديولوجيا من خلال علاقتها بالعلم والتكنولوجيا. وفيما يلي سوف نوضح هذين الاتجاهين ودعوة المنظرين لنهاية الأيديولوجيا.

1.3.2 نهاية الأيديولوجيا من السياسة

ريمون آرون في خطابة الافتتاحي لمؤتمر ميلان: "الجدل الأيديولوجي في معظم المجتمعات الغربية انتهى، والتاريخ رفض الآمال المبالغ فيها والمتعلقة بالثورة، بالرغم من وجود بعض التوترات القائمة حول المساواة والعمالة والأجور والتضخم، إلا أن هذه التوترات لا تثير أي صراع أساسى، فهناك توافق كامل على الإطار الأساسى لدولة الرخاء" (جاكوبي، 2001، ص12).

[1] دنيال بل Daniel Bell (1919–2011): أحد قادة المحافظون الجدد في الجيل الأول الذي ظهر نشاطه السياسي في ستينات القرن العشرين، كان يعمل محاضراً في جامعة هارفارد Harvard University، وأهم مؤلفاته "نهاية الأيديولوجيا".

[2] سيمور مارتن ليبست Seymour Martin lipset (1922–2006): عالم اجتماع أمريكي، وأحد قادة المحافظون الجدد في الجيل الأول الذي ظهر نشاطه السياسي في ستينات القرن العشرين.

وقد ظل ريمون في كتاباته كلها يركز على إبراز التفاعل بين التجربة التاريخية والإرادة السياسية، ويبتعد تماماً عن كل أنواع وصور الحتمية التاريخية، إيماناً منه بأن التاريخ له "نهاية مقترحة" حسب تعبير "ميريام برنهايم كونانت"، في مقالها عن آرون في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، فكانت مهاجمته واضحة للفكر الماركسي في كتابة "افيون المثقفين" الذي أعلن فيه انتهاء عصر الأيديولوجيات وقرب زوال الماركسية (العربي، أكتوبر/ تشرين أول 2001). ويربط نهاية الأيديولوجيا في الاشتراكية، وذلك من خلال جوهر الاشتراكية التي تعني الثورة وهذا قد انتهى، فلا يوجد بديل للرأسمالية المتطورة. فقد يكون المجتمع الغربي ناقصاً وغير عادل في مناح كثيرة، إلا أنه قد تقدم كثيراً بحيث تكفى الإصلاحات كى تكون واعدة بأكثر من العنف والاضطراب الذي ينتج عن الثورة الاشتراكية التي لا يمكن التنبؤ بنتائجها (جاكوبي، 2001، ص13).

كتب سيمور مارتن ليبست عن نهاية الأيديولوجيا قائلاً: "هذا العصر هو عصر نهاية الأيديولوجيا، فالتغيرات في الحياة السياسية الغربية تعكس حقيقة أن الحلول للمشاكل السياسية الرئيسية للثورة الصناعية قد تم العثور عليها، فقد حصل العمال على حقوقهم السياسية والصناعية، فقد قبل المحافظون أن تقام دولة الرفاه" (أبو شهيوة وخلف، 1995، ص288). وينظر مارتن ليبست من خلال آرائه التي يطرحها لنهاية الأيديولوجيا: "السياسة اليوم أصبحت أمراً مضجراً"، وفي كتابه "رجل السياسية، 1960"، وهو يتفق مع ريمون آرون بأن المشاكل السياسية الأساسية للثورة الصناعية لم تعد تؤدي إلى خلافات أيديولوجية، فالديمقراطية في الغرب وضعت نهاية لسياسة المثقفين الذين يجب أن تكون لهم أيديولوجيات أو يوتوبيات تدفعهم للعمل السياسي" (جاكوبي، 2001، ص13:14).

قدم دنيال بيل كتاب "نهاية الأيديولوجيا، 1960" مفترضاً المذاهب السياسية، كالاشتراكية والشيوعية والمحافظة أصبحت غير ذي صله بالتقدم الاجتماعي والسياسي في الدولة، أما النظام السياسي فهو فقط الذى يمكن من خلاله تحقيق النمو الاقتصادي (Jamaica, 2012, p69). ويصوغ دنيال بيل أكثر الآراء حدة في كتابه "نهاية الأيديولوجيا" عن ريمون أرون ومارتن ليبست، "أيديولوجيات القرن التاسع عشر القديمة قد أُنهكت وقوضتها أهوال الشيوعية من جانب، ونجاح الرأسمالية الليبرالية من جانب أخر، إن تطور الرأسمالية وقيام دولة الرفاه أدى إلى نهاية العصر الأيديولوجي" (جاكوبي، 2001،ص15). وقد عزز بيل طُروحاته عن نهاية الأيديولوجيا من خلال

كتاباته عن المجتمع وتصوراته له بدون أيديولوجيا سياسية، ويتصور شكل المجتمع بعد أربعين أو خمسين سنة، بأن النظام الصناعي سوف يتلاشى ويحل محلة مجتمع جديد تحكمه طبقة مهنية من الاقتصاديين والعلماء والتكنولوجيين والتقنيين وليست طبقة نفعية تسيطر على السلطة من خلال أيديولوجيتها (فياض ومولود، 2011، ص37).

يتفق المفكرون وغيرهم بنهاية الأيديولوجيا من السياسة في العالم، ويمكن القول بأن الإعلان عن موت الأيديولوجيا هو إعلان غربي بامتياز، حيث جاءت كافة الطروحات من خلال علماء الاجتماع والسياسة الغربيين الذين ينتمون لليبرالية، فهم يعلنون موت الأيديولوجيا الماركسية وهي في أوج قوتها في منتصف القرن العشرين. وقد أنهى كل من دنيال بل ومارتن ليبست وريمون أرون وغيرهم، الأيديولوجيا من السياسية، حيث يتفقون بأن هناك إجماعاً في الدول الغربية على طبيعة النظم السياسية والقضايا الرئيسية فيها، من حيث دولة الرفاه والانسجام الاجتماعي أي السلام بين الطبقات، والمحافظون قبلوا بدولة الرفاه، وهذا يعني بأن النظام السياسي في الغرب يحظى بقبول من جميع الأحزاب والشعوب، دون أي تعارض على شكل وطبيعة النظام السياسي.

طبيعة النظام السياسي في الدولة يتحدد بقوانين ودستور الدولة الذى يحظى بقبول عام لدى كافة شرائح وطبقات المجتمع، ومع ذلك يوجد في الغرب عدة أيديولوجيات سياسية مختلفة، فهناك التيارات المحافظة والتيارات الديمقراطية، بالإضافة إلى الفكر اليساري الذى لم ينته حتى اليوم. وهذه التيارات والأحزاب السياسية تقوم على اعتبارات أيديولوجية، وخاصة في ممارستها للسياسة العملية في إدارة شؤون الدولة حيث تظهر الأيديولوجية الحزبية من خلال سياسات الحكومة.

2.3.2 نهاية الأيديولوجيا من العلوم

كان المفكرون يعملون على التحرر من نفوذ الأيديولوجيا، فاتجه المفكرون نحو العلم الحديث، الذي أدى إلى ابتكار ووصف تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على دراسة الفرد والمجتمع، إن كل المفكرين الأيديولوجيين اليوم لم يبحثوا سوى عن تنفيذ المشروع المركزي الحديث، وهو في كلمات فرانسيس بيكون: تطبيق قوة العلم لأجل "إراحة حالة الإنسان" (وولش، 1995، ص33:32). وفي رأي وولش الأيديولوجيا لها ضرورتها اللازمة داخل هياكل الحضارة العصرية ككل ويرى بضرورة إقرار دور الأيديولوجيا "الحركة الأيديولوجية الجماهيرية لا تمثل العودة المنعزلة أو الخصوصية إلى البربرية، أو انقطاع عشوائي لحضارة تتقدمه ببطء".

عمل المفكرون على البحث في العلوم الطبيعية من أجل راحة الإنسان والتخلص من الأيديولوجيا وقيودها، ولم يكن هذا الاتجاه هو لعلماء الاجتماع والسياسة للقرن العشرين، فقد كانت هذه طُروحات علماء القرن التاسع عشر من أجل فصل العلم عن الأيديولوجيا، باختلاف توجهاتهم الفكرية، فهناك علماء ليبراليون ويساريون يتبنون وجهة النظر هذه.

فقد ساهم عالم الاجتماع ماكس فيبر في وضع حجر الأساس لمدرسة "نهاية الأيديولوجيا" عندما أراد تأسيس علم اجتماع علمي وموضوعي على أساس نزاهة التحليل الاجتماعي بعيداً عن الأيديولوجيا (فياض ومولود، 2011، ص33). فقد حاول فيبر بواسطة مفهوم "العقلنه" أن يفهم التأثيرات الراجعة للتقدم العلمي والتقني على الإطار المؤسساتي للمجتمعات، والهدف عند فيبر هو معرفة الجماعة والمجتمع، فئات رسمية وغير رسمية، علاقات أولية وثانوية، ثقافة ومدنية...، هذه المفاهيم المتعددة لفهم التحول البنيوي للإطار المؤسساتي لمجتمع تقليدي في انتقاله الى مجتمع حديث (هابرمارس، 2003، ص55:54). هابرماس يرى في كتابة "العلم والتقنية كأيديولوجيا" بأن صيرورة "العقلنه" التي بدأ فيها العلم والتقنية ذاتهما يأخذان أهمية أيديولوجيا بديلة عن الأيديولوجيات البرجوازية، فالتقدم العلمي والتقني فرض قسرياً إعادة تنظيم المؤسسات الاجتماعية والمجالات الجزئية. وهو بذلك ينتقد مفهوم "العقلنه" عند ماكس فيبر ويعتبر التقدم العلمي هو سيطرة الطبقة البرجوازية على كافة مؤسسات المجتمع من خلال التقنية العلمية المستخدمة في الاقتصاد، وحتي في البحث العلمي، فاختيار وزارة الدفاع لمن يصعد على القمر هو اختيار منظم لطبقة معينة.

ويتفق هابرماس Habermas مع ماركوزه Marcuse (1898–1979) في أُطروحته التي تنص على أن: "التقنية والعلم يأخذان في هذه الأيام وظيفة شرعيات السيطرة" (هابرماس، 2003، ص68). ويرى ماركوزه التقنية والعلم في المجتمع الرأسمالي هما تقدم وهمي نحو حرية الفرد في الاختيار للإنتاج الوفير بسبب التقدم العلمي، هذا من وجهة نظره الحرية الوهمية في الاختيار، وأصبح العمال هم في خدمة الطبقة البرجوازية في المجتمع (فياض ومولود، 2011، ص33). أُطروحة ماركوزه للتقدم التقني والعلمي في المجتمعات الرأسمالية صحيحة، فالشركات العابرة للقارات تعتبر دولاً عابرة للقومية، وتتحكم في مئات الألاف من العمال والصانعين، من خلال التقنية التي تستخدمها والمنتجات التي تنتجها، بل أصبحت هذه الشركات شخصاً اعتبارياً من شخوص القانون الدولي.

كارل مانهايم (1893–1947) كان أول من ربط "الأيديولوجيا واليوتوبيا" ضمن علاقة جدلية متكاملة، فقد بحث في العلاقة بين العلم من جهة، والأيديولوجيا واليوتوبيا من جهة أخرى، وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة الموضوعية المحايدة (فياض ومولود، 2011، ص33). يتساءل كارل مانهايم لماذا لا يوجد علم للسياسة في عالم يسيطر عليه المزاج العقلاني كعالمنا المعاصر؟ ويضع تصوراً لإيجاد علم يدرس كافة الأحداث والمشكلات السياسية، فالعلم هو القادر على حل كافة المشكلات.

"لابد أن يكون علم الاجتماع قادراً على الإتيان بشيء أفضل من مجرد إرجاع المشاكل وحلولها إلى بعض الأفراد الموهوبين، فلابد من دراسة وجود المشاكل في زمان ومكان ما، ودراسة الترابطات المعقدة بين تلك المشاكل،.... ولكن علم الاجتماع لا يستطيع أن يكتفي بفهم المشاكل والأحداث المباشرة، فلا بد من فهم هذه الوقائع، التي تبدو معزولة ومفصولة، في إطار التجارب المركبة الدائمة الحضور والدائمة التغيير في نفس الوقت، والتي فيها عاش الناس فعلاً تلك الوقائع. ضمن هذا السياق فقط تكتسب تلك الوقائع معناها" (مانهايم، 1980، ص175).

وقد حدد مانهايم الفئة التي لابد وأن تتحرر من الأيديولوجيا واليوتوبيا في أي مجتمع، وهم طبقة العلماء والمفكرين الذين لا يمكن وضع قيود واعتبارات أيديولوجية محددة مسبقاً عليهم، "حين تفشل نظرية ما، كلياً أو جزئياً، في أن تتطور بعد مرحلة محددة من التجريد النسبي، وتبدأ تقاوم أي ميول نحو المزيد من التحديد، إما باستنكار هذا الميل إلى التحديد، أو بإعلانه خروجاً وانحرافاً، فإن هذا لا يحدث صدفة، وهنا يكون الوضع الاجتماعي للمفكر أمراً بالغ الأهمية" (مانهايم، 1980، ص319). ويقدم مانهايم ملاحظته الأساسية وهي أن معظم الدراسات الخاصة بالأيديولوجيا المبنية على الخلفية التاريخية لا تصل إلى مستوى التحليل العلمي، وإنما تكتفي بالأمثلة والقرائن التاريخية (الأنصاري، 2000، ص144).

ساهم بعض الماركسيين في فصل العلم عن الأيديولوجيا، ومن أهم الآراء التي طرحها أتباع ماركس لفصل الأيديولوجيا عن العلم هو لويس ألتوسير Louis Althusser (1918–1990) الذي أعاد قراءة فكر ماركس، فيقول ألتوسير: "عندما يتم تحديد الإشكالية التجريبية: يصبح كل من المعرفة والعلم الموضوعي منفصلين تماماً. ويلزم عن هذا أن صلاحية النظرية لا تعتمد على ما إذا كان ما تقوله يتطابق بشكل مباشر مع الواقع أم لا، ولكنها تعتمد على ما إذا كانت مقدماتها متماسكة منطقياً، والحقيقة العلمية ليست بعيدة عن الواقع، فالنظرية النسبية صادقة أو

كاذبة قبل أن يجري تجريبها في الواقع "وهذه الميزة الجوهرية للعلم التي تميزه عن الأيديولوجيا"(ليشته، 2008، ص89:88).

فصل ألتوسير بين العلم والأيديولوجيا من منطلق آخر، وهو أن تطور العلم والتكنولوجيا بحد ذاتهما هما أيديولوجيا، وتحديداً في المجتمعات الصناعية المتقدمة، فهو ينعت بأن العلم سيحتل يوماً ما مكان الأيديولوجيا، فهي قائمة حتى في المجتمع الشيوعي، وقد تحدث تعديلات مهمة على أشكال الأيديولوجيا، وقد تنمو أيديولوجيات جديدة (فياض ومولود، 2011، ص44).

بالرغم من التقدم العلمي الهائل في كافة المجالات، فكيف يمكن أن نفصل الأيديولوجيا عن العلم؟ أليست الأيديولوجيا تعني علم الأفكار، وهي علم دراسة الأفكار، وإحدى فروع العلوم الإنسانية، فالعلوم تعمل على تطور البشرية وخاصة العلوم التطبيقية، وبالرغم من ذلك لا تستطيع تلك العلوم دراسة الأخلاق والمساواة والحريات العامة لدى الجماعات، ولا تستطيع أن تعمل على تهذيبها كالفلسفة وفروعها.

3.3.2 نقد طُروحات "نهاية الأيديولوجيا"

في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، لا يمكن انكار تراجع دور الأيديولوجيا في المجتمعات الغربية، ولكن هذا النوع من الانحسار هو "انحسار الأيديولوجيا المباشرة" فقد تم استبدال الأيديولوجيا المباشرة بالأيديولوجيا المقنعة غير المباشرة (أبو شهيوة وخلف، 1995، ص290). يرى ليون كاس leon kass "أكثر النتائج هلاكاً للتقدم التكنولوجي – الأكثر تجربة للصفات الإنسانية من أي مؤثر فعلي أو تقنية. في الوقت الحاضر أو في المستقبل، إننا نشهد التعرية، ربما التعرية النهائية لفكرة الإنسان كشيء فخم أو رائع جداً، واستبدالها برؤية الإنسان، التي لا تقل عن رؤية الطبيعة، كمادة خام ببساطة للاستخدام والتجانس" (وولش، 1995، ص35).

وبالرغم من الدعوة لنهاية الأيديولوجيا في الفكر الغربي، إلا أن مفهوم الأيديولوجيا السياسية هو مفهوم مركزي في العلوم السياسية، على مدى 50 سنه ماضية كان المصطلح هو الأكثر استخداماً في مقالات وبحوث مجلة العلوم السياسية في جامعة كولومبيا الأمريكية (Knight, 2006, p625). وقد توصلت كاثرين نايت Katherine Knight لهذه النتيجة بعد دراسة لواقع نهاية الأيديولوجيا في الولايات المتحدة عام 2006 واستخدامها كمصطلح للتداول الإعلامي والسياسي، فبالرغم من

الإعلان عن نهاية الأيديولوجيا إلا أنه مازال الغرب الذي أسقطها يتعامل بها في علم السياسة، وفي الحياة العملية.

فيما يعطي هربرت ماركوزه تصوراً لوجود الأيديولوجيا في الحياة السياسية حيث يقول: "في هذا القرن يجد الإنسان نفسه مطوقاً، أينما استدار بالتكيف الأيديولوجي الخفي والمنظور الذي يطارده في كل مكان، عبر سيل متطور من الأجهزة الأيديولوجية البدائية: الخطابة، الكتاب والمدرسة، وسائل الاعلام والاجهزة الحديثة والفاعلة" (أبوشهيوة وخلف، 1995، ص290).

وفي استمرارية عمل الأيديولوجيا في الحياة العامة يقول أندرو هيود: "إن جميع الناس مفكرون سياسيون، وسواء علموا بذلك أم لم يعلموا، فإن الناس يستخدموا المفاهيم والأفكار السياسية حينما يعبرون عن آرائهم أو يصرحون بما في أذهانهم". وتتبعثر في لغة الحياة اليومية مصطلحات مثل "الحرية، والمساواة، والعدالة، والحقوق"، وفي نفس الوقت يوظف الناس بشكل منتظم كلمات مثل "محافظ" و"ليبرالي" و"اشتراكي" إما لوصف آرائهم الخاصة أو آراء غيرهم (هيود، 2012، ص10).

وينتقد مراد وهبه مفهوم "نهاية الأيديولوجيا" ويعطي تحليلاً لنقد نهاية الأيديولوجيا قائلاً: "الأيديولوجيا هي في صميم كينونة الإنسان بحكم قدرته على مجاوزة الواقع من أجل تغييره، ولكن الايديولوجيا تمتنع عن إحداث التغيير إذا تحولت إلى معتقد مطلق. ومع ذلك فهذا التحول لا يستقيم مع مسار التاريخ الإنساني، ومن ثم يلزم نفيه؛ وفى حالة نفيه يكون الانسان بلا أيديولوجيا. ولكن هذا النفي مؤقت، إذ يعقبه إبداع أيديولوجيا جديدة. وهكذا تكون نهاية الأيديولوجيا مؤقتة وليست دائمة" (وهبة، يونيو/ حزيران2012).

إن التقدم الصناعي والتقدم العلمي في عالمنا المعاصر لم ينهِ الأيديولوجيا، بل عمل على إبداع أيديولوجيات جديدة، مثل الشركات المتعددة الجنسيات التي انبثقت عن التقدم الصناعي لديها قوة الدول، وفكر اقتصادي يتطلب علاقات سياسية لتحقيقها، وهذه السياسية وإن لم ترتقِ للأيديولوجيا السياسية بشكل كامل إلاَ أنها تؤثر في الدول كما كانت تؤثر الأيديولوجيات في القرن العشرين. كل الطروحات السابقة لنهاية الأيديولوجيا، هي طروحات غربية تعمل على إسقاط الأيديولوجيا الاشتراكية، فهي تحدثت عن نهاية الأيديولوجيات ومجدت الأيديولوجيا الليبرالية، أي موت وفناء الأيديولوجيات الأخرى مقابل الأيديولوجية الليبرالية. وهذا ما وضحه فرانسيس فوكوياما في أُطروحته

بأن الأيديولوجيا الغربية هي نهاية التاريخ، وليس هناك إمكانية تطور أيديولوجيا جديدة في المستقبل.

4.2 المبحث الثالث: المحافظون الجدد والفكر السياسي الأمريكي

ظهر التيار المحافظ في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نشأه الدولة، وتميز بالاندماج ضمن الأحزاب الأمريكية والظهور والانكفاء، وبالتحولات في الفكر والممارسة السياسية عبر تاريخه السياسي، وسوف نلقي الضوء على التيار المحافظ وتحولاته الفكرية والسياسية على الصعيدين الداخلي والخارجي في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلاقة المحافظين التقليديين بالمحافظين الجدد في الولايات المتحدة، وكذلك التعرف على أهم الأطاريح الفكرية للمحافظين الجدد التي تمحورت في النظام العالمي الجديد في أُطروحات فوكوياما وهانتنغتون.

1.4.2 المحافظة التقليدية conservatives

ظهرت الأفكار المحافظة مع بداية نشأة الجمهورية الأمريكية، فقد حمل بعض المهاجرين وقيادات أمريكية الفكر المحافظ معهم إلى الدولة الجديدة، وكانت تلك الشخصيات والقيادات هي الجيل الأول للمحافظين في مرحلة تأسيس الجمهورية، إلا أن فكرهم الذي نظروا له لم يرتقِ ليكون ضمن القوانين التي قامت عليها الجمهورية الأمريكية، ومع ذلك كان لهم تواجد في الحياة السياسية الأمريكية.

ويصف لاندبيرج Lindberg نشأة ودور التيار المحافظ منذ تواجدهم كقوة لها تأثير على الحياة السياسية في الولايات المتحدة. فيقول: "المحافظون هم اسم لمجموعة قوية في أمريكا، لهم تأثير على الحياة السياسية والفكرية الأمريكية، وذات تاريخ طويل رافق دورهم في الحياة السياسية بالاندماج والظهور والانكفاء على مر التاريخ الأمريكي، فكان لهم تأثيرهم على سياسة الحزب الجمهوري وعلى السياسة الخارجية، وبرز دورهم في الحرب الباردة وحقبة ما بعد الحرب الباردة، وبرز نجمهم في إدارة الرئيس جورج بوش الابن" (Lindberg, 2004, p129).

تدين الثورة الأمريكية 1776 في العديد من أفكارها للتفسيرات المحافظة التي وضعها أدموند بيرك والتي اعتنقها عدد من المؤسسين للولايات المتحدة، ويعتبر الكسندر هاملتون Alexander Hamilton وجيمس ماديسون James Madison "الرئيس الرابع، للفترة 1809–1817"،

الشخصيتين الأكثر شهرة وتعبيراً عن الأيديولوجية المحافظة في الولايات المتحدة، كما ويعتبر جون آدمز John Adams "الرئيس الثاني، للفترة 1797–1801" من النماذج الهامة في الفكر الأمريكي المحافظ (أبوشهيوة وخلف، 1995، ص282:281). إلا أنه من الصعوبة تطبيق أفكار أدموند بيرك المحافظة في الدولة الأمريكية الحديثة التي كانت تقدس المساواة في الفرص بين الأفراد، وتميزت تلك التجربة بغياب الطبقة الأرستقراطية، وضعف تأثير الكنيسة بالإضافة إلى افتقارها للتقاليد الملكية التي كانت ضرورية لقيام المحافظة، وكان المحافظون التقليديون متحمسين ومؤيدين لوجود حكومة قوية، وكانوا يؤمنون بأن الحكومة المركزية بقيادة نخبة مثقفة وثرية هي القادرة على الحفاظ على الحقوق الأساسية للإنسان (الغامدي، 1997، ص97،98).

ومن الناحية العملية لسياسة الولايات المتحدة الداخلية، فقد حجمت من تطبيق تلك الأفكار في الدولة، حيث جاء نص دستور الجمهورية الأمريكية الذي قدس الحقوق الفردية والحريات العامة، ومنع أي دور للكنسية والدين في السياسة العامة، بل وفصل بينهما بشكل كامل، هذه القوانين حدت من قوة الاتجاه المحافظ في الدولة الناشئة، ومع ذلك كان للفكر المحافظ والمنتمين له تواجد منذ نشأه الدولة، ولكن هذه الأفكار لم تترجم في الحياة السياسية الأمريكية. وبذلك كان هناك تياراً فكرياً وإن كان محدوداً، يؤمن بالأفكار المحافظة، والتي استقاها من فكر أدموند بيرك، وتطورت هذه النظرة المحافظة مع الجيل الأول ليكون تياراً محافظاً تقليدياً في الولايات المتحدة، وأدخلوا عليها بعض التعديلات ليحافظوا على كينونتهم واستمراريتهم في المجتمع، ولتتماشى أفكارهم مع طبيعة الدولة الأمريكية.

2.4.2 المحافظون الجدد Neo-conservatives

تحدثنا عن الجيل الأول ومرحلة تأسيس الدولة "المحافظة التقليدية"، ومنذ ستينيات القرن العشرين ظهرت قوة المحافظين بشكل وفكر مغاير عن المحافظة التقليدية كقوة سياسية، فظهرت في الحياة السياسة الأمريكية المحافظة المحدثة. ومن الأهمية أن نطرح التساؤل التالي: هل المحافظون الجدد مرتبطون بفكر المحافظين الأوائل "التقليديين"؟.

دخل مصطلح المحافظين الجدد في المعجم الأمريكي في سبعينيات القرن العشرين، للإشارة إلى بعض السياسيين الذين تحولوا من اليسار إلى اليمين الليبرالي، بسبب تردد اليساريين في الوقوف

بوجه السوفييت والراديكاليين المعادين للولايات المتحدة، وكان مايكل هارنغتون[1] Michael Harrington ومحررو مجلة "ديسنت Dissent" الأمريكية اليسارية، هم أول من استخدموا مصطلح "محافظ جديد" (هالبر وكلارك، 2005، ص63). الكاتب اليميني إرفنغ كرستول Irving kristol[2] تبني هذا المصطلح الذي سرعان ما تحول إلى الوصف المفضل لدى نجوم هذا التيار مثل جين كيركباتريك Jeane Kirkpatrick ، مارتن لسبت، صمويل هانتنغتون (شميط، 2005، ص71). فيما يرى جوزيف بوتام Joseph Bottum أن اصطلاح المحافظين الجدد يعني: "مجموعة خاصة من طبقة ثقافية معينة، لديهم تقارب فكري يسعون للوصول إلى السلطة" (Bottum, 2004, p31). وينكر جوزيف بوتام وجود فكر محافظ في الولايات المتحدة، وينتقد سياسة المحافظين الجدد التي تتغلف بفكر محافظ قائلاً: "المحافظة تعني الحافظ على القديم حكومة وعرشاً وكافة امتيازات القرون الوسطي، والجمهورية الأمريكية ولدت بالثورة، وإذا أردنا الحفاظ على القيم والتقاليد، ينبغي المحافظة على الثورة ومكتسباتها" (Bottum, 2004, p31).

والمحافظون الأمريكيون التقليديون يعارضون المحافظين الجدد، ويتزعم المحافظين التقليدين بات بيوكانن Pat Buchanan مدير تحرير مجلة "المحافظ الأمريكي" وروبرت نوفاك Robert Novak المعلق السياسي لقناه سي إن إن CNN، ويطلق عليهم المحافظون الجدد اسم "المحافظين الباهتين"، وهذا تأكيداً للتمايز بينهم، وهذه المجلة ترصد في دراساتها النقد الشديد لسياسات المحافظين الجدد (عبداللطيف، 2003، ص40). وسوف تتضح الإجابة أكثر من خلال عرض فكر وسياسة المحافظين الجدد.

تعود جذور المحافظين الجدد إلى تقليد اتبعه جون كنيدى John Kennedy (الرئيس الخامس والثلاثون، للفترة (1961–1963) أثناء سنوات حكمه، حين قام بتعيين مجموعة من الأساتذة

---

[1] مايكل هارنغتون Michael Harrington: يساري، وزعيم الاشتراكيين الديمقراطيين في الولايات المتحدة الأمريكية لسنوات طويلة حتى وفاته عام 1989 (شميط، 2005، ص71).

[2] إرفنغ كرستول Irving kristol: من مواليد 1920، أمريكي يهودي، يطلق عليه اسم "عراب المحافظين الجدد" مؤسس ومحرر ومساهم في مجلات عديدة، وتشمل سيرته الذاتية على مجهوداته التي قام بها لشن حروب ثقافية لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضد الإتحاد السوفيتي في السنوات الأولي للحرب الباردة، وألف كتاب "تأملات أحد المحافظين الجدد"، للاستزادة راجع كتاب (المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة، أميمه عبد اللطيف).

الجامعيين في مناصب الإدارة، واستعان بهم في رسم السياسات، وقد تم اختيارهم وفق نظرية "الأفضل والأكثر ذكاء"، غير أن نجمهم لم يبزغ إلا بعد مرور ثلاثة عقود، عندما تولى رونالد ريجان Ronald Reagan الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية (عبد اللطيف، 2003، ص15). وبعد الحرب العالمية الثانية، برز في الولايات المتحدة تيار من الأيديولوجيا المحافظة عرف بالمحافظة الجديدة، وهي حركة سعت إلى تكيف أفكار أدموند بيرك بهدف تحليل الظروف المعاصرة وخصوصاً الظروف الأمريكية، ولعل أبرز مثال على هذه الحركة المحافظة راسل كيرك[1] Russell Kirk (1918–1994) (أبو شهيوة وخلف، 1995، ص284). وبعد فوز المرشح الجمهوري رونالد ريجان Ronald Reagan (الرئيس الأربعون، للفترة 1981–1989)، وجدت حركة المحافظين الجدد مدخلاً لتدعيم مركزها السياسي ونفوذها السياسي في الإدارة الأمريكية، فقد وجد المحافظون الجدد في سياسة ريجان كل ما يصبون إلية لتنفيذ أفكارهم على المستويين الداخلي والخارجي، وخاصة المجابهة مع الاتحاد السوفيتي (العطار، 2007، ص30،31). وهذا التيار المحافظ كان له تأثير على الخطاب الأمريكي، وكان لأفكاره تأثير واضح على رونالد ريجان، وقد وصل عدد من المحافظين الجدد والمنتمين لهذا الاتجاه إلى مراكز حساسة في الإدارة الأمريكية من أمثال: جين كيركباتريك التي شغلت منصب سفيرة الأمم المتحدة، والكسندر هيج Alexander Haig الذي شغل منصب وزير الخارجية، وغيرهم (الغامدي،1997، ص98).

التيار المحافظ الجديد في الولايات المتحدة ليس حزباً سياسياً نستطيع قراءة أفكاره وأيديولوجيته بسهوله ويسر. ويصف أب وعراب المحافظين الجدد إرفنغ كرستول ظاهرة المحافظة الجديدة قائلاً: "إنها ليست "حركة" كما يحلو للمنتقدين من أرباب نظريات المؤامرة أن يروها، فظاهرة المحافظة الجديدة إن هي إلا ما أطلق عليها مؤرخ أمريكا الجاكسونية الراحل مارفن ميرز Marvin Meyers، اسم "قناعة" تتجلى عبر الزمن، ولكن على نحو شاذ وغريب، وقناعة لا نتمكن من الإمساك الواضح بمعناها إلا بمرور الزمن" (كرستول، 2005، ص59:60). يرى كل من ستيفان هالبر وجوناثان كلارك بأن: "النهج المحافظ الجديد ليس حركة جماهيرية" (هالبر وكلارك، 2005، ص59).

---

[1] راسل كيرك Russell Kirk (1918–1994): أحد أهم أعلام المحافظين الجدد، ومن أهم مؤلفاته "الحرية الأكاديمية" و"برنامج المحافظين" و"العقل المحافظ" ودرس التاريخ في جامعة "ميتشيغان Michigan"، وكان يرى بأن الاستاذ الجامعي عليه أن يتعهد بالتزام الحقيقة والمحافظة على حكمة الأسلاف، للاستزادة راجع كتاب (الأيديولوجيا والسياسة، مالك أبو شهيوة ومحمود خلف).

إن المحافظين الجدد لا يتفقون في كل شيء، هناك نهج فكري وأيديولوجي يجمعهم، ولكنهم قد يختلفون في الرأي حول بعض الخيارات المهمة والأساسية (شميط، 2005، ص63). وهذه القوة المثقفة تكونت من اجتماع الجمهوريين مع أتباع الفكر المحافظ مع أنصار اليمين الديني المتطرف والذي أفرز "المحافظين الجدد" (عبد اللطيف، 2003، ص9). إن المحافظين الجدد لهم قوتهم ودورهم في السياسة الأمريكية. كشفت دراسة أجريت في سنة 1979 عن أرفع سبعين مفكر أميركي معاصر أن واحداً من كل أربعة من النخبة الفكرية ينتمي إلى المحافظين الجدد. وتعكس هذه الدراسة نمو النفوذ الفكري للنهج المحافظ الجديد (هالبر وكلارك، 2005، ص66).

وكان الاختلاف واضحاً في طُروحات أعضائهم الفكرية لمستقبل النظام العالمي الجديد، وكذلك آرائهم السياسية قد تكون مختلفة. ويصف حسام الغرباوي فوكوياما بالمنظر للفكر الليبرالي، حيث رأى فوكوياما بأن التوافق الكامن في النظام الرأسمالي جعله يزحف على بقية أجزاء العالم في الآونة الأخيرة (الغرباوي، 2005، ص49). أما بهجت قرني فيصف فكر هانتنغتون بالواقعية الثقافية، وذلك لأن هانتنغتون وضع الواقعية السياسية في مركز الصدارة كنموذج فكري لشرح النظام العالمي الجديد (قرني، 2003، ص179). إن رؤية فوكوياما المستقبلية للعالم تأتي وفقاً للفكر الليبرالي، أما هانتنغتون فإن رؤيته الفكرية تأتي وفقاً للواقعية السياسية

يستقي المحافظون الجدد خلفيتهم الفلسفية من أحد أهم الفلاسفة الألمان، ليو شتراوس (1899-1973)، ولم يكن ليو شتراوس ديمقراطياً، وكان يعتقد بأن الديمقراطية الأمريكية أقل النظم السياسية سوء، فيما يعتبر إرفنغ كرستول Irving kristol بأن ليو شتراوس أحد الآباء المؤسسين لحركة المحافظين الجدد (عبد اللطيف، 2003، ص19،20). وقد تتلمذ على يد ليو شتراوس المحافظون الجدد والذين يقودون الاتجاه المحافظ اليوم في الولايات المتحدة، وقد درس كل من آلان بلوم Allan Bloom صاحب كتاب "إغلاق العقل الأمريكي"، وهارفي مانسفيلد Harvey Mansfield وجوزيف كروبسي Joseph Cropsey ، ولاحقاً تتلمذ على يد مانسفيلد فوكوياما صاحب أطروحة "نهاية التاريخ" ووبليام كرستول William Kristol (قبيسي، 2008، ص17).

يمكن ملاحظة مدى تأثير فلسفة ليو شتراوس على المحافظين الجدد اليوم، ويمكننا القول بأن ليو شتراوس كان الفيلسوف الحكيم الذي لديه حلقة من العلم تضم في مقاعدها طلبة في مرحلة الإعداد لإدارة الولايات المتحدة وقيادة العالم بفكرهم وأطروحاتهم الفكرية، كالحلقات العلمية التي

ضمت فلاسفة اليونان، إلا أن ليو شتراوس كانت حلقاته في جامعة شيكاغو The University of Chicago وفقاً للتطورات الفلسفية والعلمية الحديثة، فيما كان يطلق على رواد هذه الحلقات اسم "أتباع ليو شتراوس[1]".

ويعرض هادى قبيسي فكر ليو شتراوس بشكل مقتضب، تحت عناوين بارزة فيقول: يطرح ليو شتراوس في فكرة "استبداد النخبة" في كتابه "حول الاستبداد" اعترف ليو شتراوس بحق القوي التسلط على الضعيف، لكنه يرفض إساءة استخدام السلطة، فينبغي للحاكم أن يقدم للشعب ما يتناسب مع قابلياته وحاجاته، وفي نظر ليو شتراوس لا تتشكل هذه القابليات من السعادة والحرية، بل من أجل تحويل الجمهور إلى قطيع، فوحدة البكاء والتضحية يمكن أن تؤدي إلى تكامل الجمهور، من خلال نقل الجمهور من الحياة البرجوازية الاستهلاكية إلى الإغراق في الراحة، وهذه الراحة تأتى من خلال الضحية الدائمة تجاه الله والوطن (قبيسي، 2008، ص18). اعتنق ليو شتراوس وعلم طلبته الازدواجية في الخطاب، فإن ليو شتراوس كان يؤمن بأن الجمهور المنحط لا يمكن أن يحتمل الحقيقة والمثل العليا، ولذلك يُؤمن ليو شتراوس وطلبته المحافظون الجدد بنهج وفلسفة "الكذب النبيل" (قبيسي، 2008، ص19). في دراستنا للأُطروحات الفكرية للمحافظين الجدد، لا يمكن لنا عرض فلسفة ليو شتراوس في سطور معدودة، وذلك لكبر إنتاجه الفلسفي والفكري، غير أننا عرضنا أهم الأفكار التي طبقها المحافظون الجدد في أفكارهم التنظيرية للنظام العالمي الجديد، والتي سوف نعالجها لاحقاً بالبحث والتحليل أثناء عرضنا لفكر فوكوياما وهانتنغتون.

ومن أبرز أفكار المحافظين الجدد في بداية حراكهم السياسي في الستينيات، توسيع الفضاء الليبرالي بزوال الاتحاد السوفيتي ويعتقد المحافظون الجدد بأن استمرار نجاح وازدهار العالم الحر يأتي من خلال الاستمرار بنشر الديمقراطية على أساس التفوق الأخلاقي لليبرالية ومنافسة النماذج الأخرى في الحكم، وكانوا يرون "الشيوعية" هي محور الشر (Lindberg, 2004, p147,148).

في بداية نشاطهم الفكري والإعلامي كان هناك مجموعة من المؤسسات ومراكز الأفكار التي تعمل على الترويج لأفكار المحافظين الجدد مثل: مؤسسه ميراث Heritage Foundation، ومؤسسة مجلس النواب الحر Free Congress Foundation، ومعهد المشروع الأمريكي

---

[1] للإستزادة راجع مقال طونى بابرت Tony Papert "إغلاق العقل الأميركي... مملكة ليو شتراوس السرية (1). في صحيفة الوسط البحرينية (http://www.alwasatnews.com/342/news/read/356561/1.html).

American Enterprise Institute (العطار، 2007، ص31). أما أهم وسائل الإعلام للمحافظين الجدد هي: الويكلي ستاندرد Weekly Standard، ذى ناشيونال إنترست The National Interest، الواشنطن تايمز Washington Times، ذي نيو ريبابليك The new Republic، دي ناشيونال ريفيو National Review (عبد اللطيف، 2003، ص36،37). إلا أن شعبية المحافظة المحدثة بدأت بالتضاؤل منذ نهاية الثمانينات، نتيجة غياب رونالد ريجان عن الساحة السياسية، وقد فشل مرشح هذا الاتجاه لانتخابات الرئاسة في العام 1988 القس بات روبرتسون Pat Robertson في الحصول على قدر كاف من الأصوات لخلافة ريجان (الغامدي،1997، ص102). أما في فترة الرئيس بيل كلنتون الديمقراطي والتي استبعد منها المحافظين الجدد، كانت فترة رئاسية حملت رواجاً اقتصاديا للمجتمع الأمريكي، وفي ظل حكومة الحزب الديمقراطي اتسم بها المحافظون الجدد بالانكفاء والنقد الشديد لبرنامج عمل حكومة كلنتون.

1.2.4.2 المحافظون الجدد والنظام العالمي الجديد

ظهر المحافظون الجدد بقوة في السياسة من جديد بعد نهاية الحرب الباردة، فبعد أن كانوا طلبة يتلقون تعليمهم على يد ليو شتراوس أصبحوا أساتذة الجامعات وقادة التيار المحافظ الجديد مع من سبقهم من الجيل الأول للمحافظين الجدد، بالإضافة إلى زيادة عدد مراكزهم الفكرية ووسائل إعلامهم، وهذا الظهور الجديد جاء في عهد جورج بوش الابن George W. Bush (الرئيس الثالث والأربعون، للفترة 2001–2009)، فيما اطلق عليهم اسم "المحافظون الجدد الجدد".

وقد انتقد التيار المحافظ حكم جورج بوش الأب George Herbert Walker Bush (الرئيس الواحد والأربعون، للفترة 1989–1993) وكلنتون Bill Clinton (الرئيس الثاني والأربعون، للفترة 1993–2001)، وذلك في سياق رؤيتهم لعالم ما بعد الحرب الباردة، وكيفية رسم استراتيجية أمريكية فاعلة في هذه المرحلة، حيث يرى المحافظون الجدد من العام 1991، وحتى عام 2001، هي فترة فقدان الولايات المتحدة لرؤيتها ولموقعها نتيجة عدم إدراك الفرص والمخاطر الحقيقية والمتوقعة التي أفرزها انهيار الاتحاد السوفيتي (قبيسي، 2008، ص26).

ويتضح في هذه المرحلة فكرهم السياسي، من خلال مراكز الأفكار التي يعملون فيها، ومناصبهم في إدارة البيت الأبيض. يؤمن المحافظون الجدد في النظام العالمي الجديد بالواقعية السياسية، فالنزعة الأخلاقية تعتمد على "الواقعية"، فقد تؤدي انتخابات معينة إلى تمكين حكم دكتاتوري، أو

وصول حكومة إسلامية متشددة، وهذا يؤدي بدوره إلى تحجيم الليبرالية تحت غطاء الشرعية، فكانت واقعية المحافظين الجدد تأخذ بالظروف المحيطة (Lindberg, 2004, 150:151). وبهذه الرؤية السياسية نظر المحافظون الجدد للحرب على العراق وأفغانستان، من خلال خطاباتهم للرئيس جورج دبليو بوش، ودراساتهم التي ينظرون لها لخلع النظام الاستبدادي في العراق.

هذا بالإضافة إلى دراسات برنارد لويس[1] Bernard Louis التي تحمل العداء للإسلام، وقد ساهمت دراساته في تعزيز وتكثيف الصورة النمطية للإسلام كتهديد للغرب، والذي يطرح أفكاراً من أجل دمج الإيمان بالسياسة في الشرق الأوسط ليحل السلام بدل العداء، ويدعو في فكره لتقسيم الشرق الأوسط من جديد (اللهيبي، 2007، ص60–64). ولعب برنارد لويس دور المنظر للمحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اشتدت الحاجة إلية بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001، لمواجهة الدول الإسلامية (فرج، 30 مارس/ آذار2013). ولقد استطاع لويس في أدلجة التنميط لصورة العرب والمسلمين السلبية في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي إعطاء بعداً فلسفياً وفكرياً عميقاً، فقد كتب عن الإسلام والغرب، وعن صدام الحضارات تأسيساً لما كتبه زميله هانتنغتون، ولعل أبرز أفكاره ضد الحضارة الإسلامية هي(أللهيبي، 2007، ص61–66):

1. تهديد الإسلام للغرب.
2. مستقبل الشرق الأوسط.
3. فشل المسلمين في مواجهة الحداثة.

---

[1] برنارد لويس Bernard Lewis: برنارد لويس مستشرق يهودي، يعد من أشهر مؤرخي الشرق الأوسط، بريطاني المولد أمريكي الجنسية، وقد اختصت مؤلفاته في التاريخ العربي والشرق أوسطي، وينتمى إلى نخبة المفكرين من المحافظين الجدد وقادة الفكر الاستراتيجي في الولايات المتحدة، ومن أشهر مؤلفاته "جذور السخط الإسلامي، 1990"، و"مستقبل الشرق الأوسط، 1995" و"أزمة الإسلام: الحرب المقدسة والإرهاب المدنس،2003" (أللهيبي، 2007، ص57–60).

يُعد برنارد لويس 1916 آخر ممثل للاستشراق الكلاسيكي بعد مكسيم رودنسون وكلود كاهين ولويس غارديه وسواهم، وقد اكتسب موقعه العلمي كمتخصص في الفترة العثمانية، إلاّ أن شهرته أتت أيضاً بسبب دعمه لإسرائيل، ما دفعه إلى التبرع بمكتبته إلى مركز موشيه دايان بعد وفاته، وكانت له مواقف ربما لم تكن مفاجئة حين أنكر المجازر التي قام بها العثمانيون بحق الأرمن، كما أنه يعتبر من بين أكثر الكتّاب الغربيين قرباً من دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة، وطالما سعى إليه السياسيون الأميركيون عبر مراكز بحثية انخرطت في العمل السياسي، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001، أي تلك المراكز التي تسمى في الولايات المتحدة بـ خزانات الفكر think tank (فرج، 30 مارس/ آذار2013).

وينظر مولر إلى المحافظين الجدد في الولايات المتحدة بأنهم يسعون للديمقراطية العالمية لتحقيق هدفين، في المقام الأول لخدمة المصلحة الوطنية الأمريكية، وفي المقام الثاني هيمنتها على العالم، وأن تكون الولايات المتحدة أعلي التسلسل الهرمي بين الدول (Muller, 2006, p364). وبالعودة لأفكار المحافظين والطبقة الأرستقراطية نجد أن الولايات المتحدة هي الدولة الطبقية التي تمثل "الدولة الأرستقراطية" والتي تقود العالم دون أي منازع من قبل الدول الأخرى، بمعني آخر الولايات المتحدة هي الدولة القادرة على قيادة العالم حسب النظرة الإلهية والطبيعية فهي تمثل الطبقة المحافظة أمام دول العالم التي ينظر لها المحافظون الجدد بأنها الدول التي تضم عامة الإنسانية التي لا تستطيع قيادة نفسها.

2.2.4.2 الأطروحات الفكرية للمحافظين الجدد في النظام العالمي الجديد

مع بداية حقبة جديدة في العلاقات الدولية بانهيار القوة العالمية الثانية "الاتحاد السوفيتي" في العام1989، وهي النظام العالمي الجديد، "الأحادي القطبية"، الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية، والذي أعلن عنها إعلامياً جورج بوش الأب من العراق في العام 1991، بدأ التنظير الفكري لهذه الحقبة الجديدة، فكانت أول أُطروحة فكرية ينظر لها أحد الأعضاء البارزين للمحافظين الجديد هو فرانسيس فوكوياما وأطروحته "نهاية التاريخ"، ثم تبعتها أُطروحة صمويل هانتنغتون "صدام الحضارات"، وقبل عرض طُروحاتهم الفكرية، لابد لنا من التعرف على منظرين هذه الأُطروحات ومكانتهم العلمية والسياسية.

أولا: فرانسيس فوكوياما

يوشهرو فرانسيس فوكوياما Yoshihiro Francis Fukuyama مفكر أمريكي من أصل ياباني ولد في 1952، في الولايات المتحدة، ويعتبره البعض أكبر فلاسفة الاجتماع في أمريكا، ويعمل أستاذاً للاقتصاد السياسي في جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins ، وكان والده يحمل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، هاجر إلى أمريكا ليعمل في مجال التدريس.

لقد بدأ حياته العملية بعد حصوله على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم السياسية من جامعة هارفارد Harvard University، وعمل في الثمانينيات في وزارة الخارجية الأمريكية كنائب لمدير إدارة التخطيط السياسي، وشارك في هذه الحقبة ضمن الوفد الأمريكي المرسل للمحادثات المصرية

الاسرائيلية. ركز بعد ذلك على الكتابة والعمل الأكاديمي، إلَا أن ذلك لم يمنعه عن العمل السياسي، وعين في المجلس الاستشاري لإدارة الرئيس السابق جورج بوش الابن (العلوي، 2005، ص68).

ومن خلال استعراض مؤلفات فوكوياما يتبين أنه ألف عدة كتب، وعشرات المقالات والدراسات الأكاديمية، ويمكن رصد أهم كتاباته على النحو التالي:

1. نهاية التاريخ وخاتم البشر 1992.
2. الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار 1995.
3. رأس المال الاجتماعي والاقتصاد العالمي 1997.
4. مستقبلنا بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية 2002.
5. بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين 2004.
6. أمريكا على مفترق الطرق: ما بعد المحافظين الجدد 2006.

والآن يكتب فوكوياما كتاباً جديداً مكوناً من مجلدين؛ صدر المجلد الأول بعنوان "أصول النظام السياسي، 2011"، وهذه الكتب بالإضافة إلى الدراسات، سوف نناقش ما جاء بها من أفكار من خلال الفصول اللاحقة للدراسة.

ثانياً: صمويل هانتنغتون (1927–2008)

صمويل فلبس هانتنغتون Samuel Phillips Huntington مفكر أمريكي من أصل يهودي، كان من أكثر السياسيين نفوذاً، ومن أبرز ثلاث مفكرين في الخمسين سنة الماضية في الولايات المتحدة الأمريكية، خلافاً لاثنين من معاصريه وهم هنري كيسنجر وزبيغو برجنسكي وهم صديقاه المقربان منه، كان باحثا ومحاضراً في جامعة هارفارد Harvard University، وعمل مستشاراً لمجلس الأمن القومي في الفترة (1977–1978) في إدارة الرئيس كارتر.

يعد هانتنغتون واحداً من رواد العلوم السياسية المقارنة، فقد عني بالمقام الأول بدراسة السياسات المقارنة بين دول الجنوب والمجتمعات ما بعد الصناعية، وكان رئيساً للجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، وله مكانة مرموقة في الدراسات الاستراتيجية، فقد كان رئيساً لأكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية، عمل مديراً لمعهد أولين Olin للدراسات الامريكية والمعنى بالشؤون الخارجية

(راهي، 2012، ص254). وكان يعمل في مجلس تحرير ذي ناشيونال إنترست The National Interest أحدى الدوريات التابعة لتيار المحافظين الجدد.

إن أعمال هانتنغتون العلمية كبيرة فقد ألف 17 كتاباً، وعلى الرغم من أنه محاضر ممل للغاية إلا أنه كاتب ماهر فعلاً، عالج موضوعات شديدة الأهمية بأسلوب جذاب، وأثر تأثيراً كبيراً في العلوم السياسية (قرني، 2003، ص175). هذا بالإضافة لمئات المقالات والدراسات الفصلية التي نشرت له في المجلات والصحف (Jaquette and Lowenthal, 2009, p107).

ويمكن رصد أهم كتاباته العلمية على النحو التالي:

1. الجندي والدولة، 1957.

2. النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة، 1968.

3. الموجه الثالثة للديمقراطية، 1991.

4. صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي،1996.

5. من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، 2004.

وهذه الكتب وغيرها من المقالات سوف نناقش ما جاء بها من أفكار في فصول الدراسة اللاحقة، عندما نقوم بتحليل أُطروحته الفكرية.

ولم تكن طُروحات فوكوياما وهانتغتون السياسية هي الأولي من نوعها كمرشد لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية، إلا أنها الأكثر شهرة والأضخم إنتاجاً، حيث قام المفكران قبل كتابة طُروحاتيهما الفكرية "نهاية التاريخ" و"صدام الحضارات" بكتابه دراسات تم ممارستها في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

فقد كتب فوكوياما عندما كان موظفاً في وزارة الخارجية، ورقة بحث حول باكستان خلال سنوات حكم ضياء نور الحق، مقترحاً أن تدير باكستان ظهرها للهند وتركز روابطها مع العالم الإسلامي، وقد أُعجب بهذه الورقة جنرالات الولايات المتحدة، لأنها تخدم الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط (علي، 2008، ص82). وكذلك شغل هانتنغتون منصب كبير الخبراء في عهد إدارة جونسون خلال حرب فيتنام، وقدم هانتنغتون خطة "القرى الاستراتيجية" والتي تنص على عزل

الفلاحين والفقراء في قرى يحرسها الجيش الأمريكي كي تمنع دعم الفلاحين للمقاومة الفيتنامية، وقد طبق الجيش الأمريكي خطة هانتنغتون، غير أن الخطة فشلت لأن الفلاحين كانوا إما ثواراً أو مؤيدين وداعمين لهم (علي، 2008، ص82). وفيما يخص طُروحات فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمي الجديد، نجد أنها طُروحات تنظيرية لمستقبل العالم في الألفية الثالثة، وقبل شرح وتحليل طُروحاتيهما كان لابد لنا من التعرف على علم المستقبل وموقع أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون في علم المستقبليات.

علم المستقبل[1] Futurology

الدراسات المستقبلية كعلم ظهرت في بداية القرن العشرين، إلا أنها موجودة منذ قدم التاريخ فقد تنبأ أفلاطون بالنظام السياسي الناجح في "المدينة الفاضلة"، وتوينبي واشبنغلر في دراساتهم التاريخية تنبئا في سقوط وظهور الحضارات، وهيجل وماركس تنبئا بنهاية التاريخ.

إن الاهتمام بالمستقبل يعتبر شيئا مميزا وسمة بشرية ظهرت منذ فجر التاريخ، فمنذ آلاف السنين فهم الإنسان الدورة الطبيعية لتكون الليل والنهار، الحياة والموت، فابتدعوا النبؤات القديمة والمذاهب والعقائد والأساطير والفنون والعلوم، الأمر الذى يوحى بأن الجنس البشرى كان وما زال مستقبليا بالفطرة ولعل اهتمام كل إنسان بنفسه، ومظهره وأطفاله وأهله وإبداعاته خير شاهد على ذلك (زاهر، 2004، ص25). الإنسان هو كائن مستقبلي، لأنه هو الكائن الوحيد الذي يعي وجودة زمانياً، والوعي الزماني يعني وعى لماضي وحاضر ومستقبل الإنسان، والتاريخ صيرورة خلاقة متجددة، فالماضي والحاضر هما الحركة الموصلة للمستقبل (جمال الدين، 2009، ص203). علم المستقبل في العالم المعاصر هو الشغل الشاغل للناس على مستوى الأفراد والحكومات، يخططون له ويستشرفون آفاقه، لمحاولة الكشف عن مغيباته قبل حدوثها، من خلال العلم لدراسة الظواهر والكشف عن العوامل الفاعلة فيها والتعرف على اتجاه فعلها ونوع تفاعلها مع غيرها، وفي الواقع لا

---

[1] علم المستقبل Futurology: اكتسب معناه الاصطلاحي في أوائل القرن العشرين على يد عالم الاجتماع "س. كولم جيلفان" الذي اقتراح عام 1907 إطلاق اسم "ميلونتولوجي" على حقل الدراسات المستقبلية، هي كلمة ذات أصل يوناني تعني أحداث المستقبل، وفي العام 1949، ابتكر المؤرخ الألماني فليشتايم Flechteim مصطلح "علم المستقبل Futurology"، وقد شرح في كتابه "التاريخ وعلم المستقبل" لهذا المصطلح وتطبيقاته العملية (جمال الدين، 2009، ص204). وقد استخدم فليشتايم مصطلح علم المستقبل: على أنه بحث عن منطق المستقبل بنفس الطريقة التي يكون فيها التاريخ بحثا عن منطق الماضي، وهدف إلى تطبيقه على التخطيط للمشروعات لتشجيع المجتمعات على أن تصبح أكثر توجها نحو المستقبل (زاهر، 2004، ص38).

يتحدد المستقبل بشخوص ودول وحدهم، وذلك لأن "الأنا" لا تتحدد إلا عبر "الآخر" فإن أي مشروع للمستقبل يبنيه الإنسان لابد أن يؤخذ في عين الاعتبار صورة "الآخر" لأن الإنسان اجتماعي بطبعة ومستقبله مثل حاضرة مشترك (الجابري(أ)، 1997، ص90). وقد شهدت ميادين الفكر الحديث في العقود الأخيرة اهتماماً واسعاً بعلم المستقبليات Futurology، الذي - باختصار شديد - يتكهن بما سيكون المستقبل عليه بناء على معطيات حالية وممكنه ذات أبعاد منهجية ومنمطة (توفلر،1990، ص5).

ويرى على جمال الدين بأن منظري الليبرالية، وفق دراساتهم المستقبلية، يعملون على صياغة فرضية، ومن ثم يبدأ في استقراء المؤشرات والتحقق من الفرضية بالطريقة الاستقرائية، ويعتمدون على حكم استنباطي، مفاده: كلما تزايدت المؤشرات باتجاه إيجاب الفرض يصبح من غير الممكن رسم مستقبل عكس ذلك (جمال الدين، 2009، ص204–207). وفي الجهة المقابلة تبلور مصطلح موازي لعلم المستقبل، وهو مصطلح "التكهن Prognosis"، فقد شاع استخدامه في الدول الاشتراكية، وكان المقابل لعلم المستقبل أو الدراسات المستقبلية، فكانت جهود لينين Vladimir Lenin لتأسيس أول خطط حكومية خمسية في العالم لمد خطوط الكهرباء للاتحاد السوفيتي والتي بدأ تطبيقها عام 1928–1931، والتي جعلت التخطيط مفهوماً معترف بأهميته في كل جزء من الشؤون المعاصرة (زاهر، 2004، ص35–39). إن الفكر المحافظ التقليدي يسعى للحافظ على القيم والمعتقدات القديمة، فهل هذه الرؤية الفكرية للمحافظين الجدد اليوم تسعى للحفاظ على القيم والتقاليد القديمة أم المستقبلية؟

يقول ليندرج Lindberg: "إن المحافظين الجدد يسعون لتحقيق السلام الديمقراطي في المستقبل للحفاظ على الليبرالية في الخارج" (Lindberg, 2004, p151). إن تحول المحافظين الجدد من اليسار نحو اليمين، تبعه أيضاً تحول من الاهتمام بالسياسة الداخلية إلى الاهتمام بالسياسة الخارجية، وأتاحت لهم الفرصة بعد أحداث أيلول/ سبتمبر 2001[1] إلى قيادة الولايات المتحدة نحو مشروع الإمبراطورية المنفردة في العالم، وإلى تغيير قواعد العلاقات الدولية من منهاج التوازن إلى

[1] أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001: هي مجموعة من العمليات والهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية لهجوم تفجيري بالطائرات على عدة أماكن وهي: برجي مركز التجارة الدولية في حي "مانهاتن Manhattan"، أشهر أحياء مدينه نيويورك، ومقر وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون Pentagon"، وقد اعترف تنظيم القاعدة بمسؤوليته عن تلك التفجيرات.

العمل بمنهاج الأجندة الخاصة، وبالمصالح الأمريكية كسياسة جديدة لنهج جديد لنظام أحادي القطب (أبو نحل، 2011، ص20).

إن التنظير الفكري للمحافظين الجدد يسعى للحفاظ على المكتسبات القائمة، وقيم الديمقراطية في المستقبل، والأُطروحات الفكرية للمحافظين الجدد تتحدث عن المستقبليات، وتنظر لها من خلال التنبؤات والتوقعات لعالم ما بعد الحرب الباردة، ولعل أُطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ" تتحدث عن مستقبل الإنسانية القادم في النظام العالمي الجديد، والذي يحمل التفاؤل لنهاية البشرية السعيدة مع انتصار الليبرالية. أما أُطروحة هانتنغتون "صدام الحضارات"، والتي تحمل النظرة التشاؤمية لمستقبل النظام العالمي الجديد وتنذر بصراعات جديدة في العالم من خلال التصادم الحضاري. هذه النظرة لمستقبل العالم من قبل المحافظين الجدد تأتي وفق نظرية "الكذب النبيل" والتي يؤمن بها مفكرو المحافظين الجدد الذين استقوها من فلسفة ليو شتراوس. وهذا ما سوف نقوم بتحليله في الفصول القادمة، من خلال البحث في أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون، والكشف عن فرضياتهما الفكرية، ومضمون تلك الطُروحات الفكرية والنظرة المستقبلية للنظام العالمي الجديد.

5.2 الخلاصة

في هذا الفصل تبين لنا بأن الطرح الفكري لـ "نهاية التاريخ" و "صدام الحضارات" لم تكن وليدة أفكار فوكوياما وهانتنغتون، بل كتبت في الغرب عدة نظريات وطُروحات فكرية تتحدث عن فكرة النهايات. ولعل ما قدمه هيجل في فلسفته لنهاية التاريخ هو الأشهر حتى يومنا هذا، وكذلك ما قدمة كارل ماركس في فلسفته لنهاية التاريخ، وهذا لم ينكره فوكوياما، حيث يستند إلى نصوص هيجل وماركس في فرضية "غاية التاريخ ونهايته".

وكذلك كتب المؤرخون الغربيون عن الحضارات وصراعاتها، وقد سبق هانتنغتون في طرح فكرة صراع الحضارات كل من أرنولد توينبي وفرناند بردويل؛ وقدما نماذج فكرية مختلفة تتضمن قوانين وعلل تفسيرية لتاريخ الحضارات. كما حذر برنارد لويس قبل هانتنغتون من التحدي الجديد القادم من الإسلام ضد الحضارة الغربية.

كما أن طُروحتى فوكوياما وهانتنغتون التنظيريتين للنظام العالمي الجديد جاءتا وفقاً لمعتقدات محددة مسبقاً ولم تخرج عن إطارها العام، وهي أيديولوجيا المحافظين الجدد، التي دخل عليها عدة

تحولات سياسية في عهد الجيل الثاني للمحافظين الجدد، ومن أهم تلك التحولات السياسية التدخل في الشؤون الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الثالث

أطروحة "نهاية التاريخ"

المبحث الأول: فرضيات أطروحة نهاية التاريخ

المبحث الثاني: نهاية الأيديولوجيا

المبحث الثالث: فلسفة نهاية التاريخ عند فوكوياما

1.3 تمهيد

بعد سقوط سور برلين في 9 نوفمبر 1989، ونهاية الحرب الباردة. كتب فوكوياما مقالاً في مجلة المصلحة الوطنية[1] The National Interest صيف عام 1989، يتساءل فيه عن نهاية التاريخ؟، وكانت له ضجة كبيرة في الولايات المتحدة وخارجها، ويرصد فيه أهم الأحداث السياسية للقرن العشرين بعد هزيمة الفاشية والنازية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وأخيراً سقوط الشيوعية. مضيفاً إلى ذلك أنه قد تشكل الديمقراطية والليبرالية نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية للنظام السياسي في دول العالم.

ويجيب عن السؤال الرئيس الذي يحمله مقاله "هل هي نهاية التاريخ؟" في أُطروحته "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" في العام 1992، ويعود فوكوياما لتاريخ الأفكار السياسية ونظريات التاريخ عند كل من كانط، وهيجل، وهوبز، وماركس، وغيرهم، لتبرير فرضياته الفكرية في أُطروحته "نهاية التاريخ"، بشكل أوسع وأشمل عن مقاله الذي حمل نفس الفكرة الأساسية لأطروحته. غير أنه صرح بأن كتابه لا صلة له بمقاله الأول، فهو أطروحة كاملة لمستقبل العالم الجديد "ليس كتابي هذا إعادة صياغة لمقالي الأصلي، ولا هو محاولة لاستئناف المناقشة مع النقاد والمعلقين، وهو أبعد ما يكون استهدافاً لشرح نهاية الحرب الباردة، أو أي موضوع ملح آخر من موضوعات السياسة المعاصرة" (فوكوياما(أ)، 1993، ص9). المقال والكتاب يحمل نفس الفكرة، وهي نهاية لتاريخ البشرية، غير أن الكتاب يمثل أُطروحته الفكرية بشكل أشمل وأوسع.

وفي هذا الفصل سيتناول البحث أُطروحة فوكوياما بشرح وتحليل محتوياتها الفكرية، وعرض لأهم الأفكار التي يطرحها فوكوياما لمستقبل العالم في ظل النظام العالمي الجديد، والدولة المنسجمة التي ستظهر في نهاية التاريخ، ويسكنها خاتم البشر؛ الإنسان الأخير.

---

[1] مجلة المصلحة الوطنية The National Interest: مجلة ذات نفوذ كبير في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي يمتلكها المحافظين الجدد، أسسها عرب المحافظين الجدد إرفنغ كرستول Irving kristol وأوين هاريس Owen Harris في العام 1985، وتهتم المجلة في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، للاستزادة راجع موقع المجلة (http://nationalinterest.org)

2.3 المبحث الأول: فرضيات أُطروحة فوكوياما

إن الفكرة الأساسية التي يطرحها فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ" هي الديمقراطية الليبرالية التي تشكل نهاية التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، ويستشهد بهيجل وماركس حيث يقول: كان في اعتقاد هيجل وماركس أن تطور المجتمعات البشرية ليس إلى مالا نهاية، حيث تمثل النهاية عند هيجل بالدولة الليبرالية، وعند ماركس بالمجتمع الشيوعي. ويصرح فوكوياما عن موضوع كتابه "إذا كان من المقبول منا – ونحن نودع القرن العشرين، أن نتحدث مرة أخرى عن تاريخ للبشرية واضح المعالم والأهداف، يتجه بالشطر الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبرالية؟، الإجابة نعم، لسببين: الأول: يتعلق بالاقتصاد، والثاني: يتصل بما يسمى الصراع من أجل نيل التقدير والاحترام" (فوكوياما(أ)، 1993، ص9).

1.2.3 أفضل النظم السياسية

إن إشكالية نهاية التاريخ هي محاولة للإجابة عن سؤال قديم، ربما كان الفكر الديني هو السبَاق في طرحه، لكن نهاية فوكوياما للتاريخ لا يقصد بها الانتهاء المادي، أو الفناء كما ورد في الفكر الديني، بل يقصد بها النهاية الفكرية، التي تمثلها نهاية الأيديولوجيا نتيجة لانتصار الفكر الديمقراطي الليبرالي على الاشتراكية (الصالح، 1997، ص76). إن مسألة "أفضل النظم" هي من أقدم مسائل الفلسفة السياسية، التي أسسها أفلاطون (428–348 ق. م)، فكانت من أهم المواضيع التي عالجها في كتابه "الجمهورية" وقد ظهرت بصور عديدة وتراوحت صراحتها عند جميع من خلفوه، وحملت نظرياتهم إجابات متناقضة لأفضل النظم السياسية (كامبانيّ، 2003، ص16). وبالتالي فإن طرح مسألة "نهاية التاريخ" على الصعيد الأيديولوجي، ليس جديداً، ولكن الجديد في نهاية فوكوياما للتاريخ هي التمام والاكتمال المقترن بتحقيق الغاية، والوصول إلى الهدف، أو المرحلة الأخيرة من تطور البشرية وتلاشي التناقضات (الصالح، 1997، ص43). ويعني فوكوياما بأن الديمقراطية الليبرالية وصلت لحل كافة المشكلات والتناقضات داخل المجتمعات، وبهذا يكون التاريخ وصل إلى نهايته، ولا يستوجب على المفكرين في البحث والسؤال عن المشكلات الإنسانية والعمل على حلها.

2.2.3 سقوط الأيديولوجيات السياسية

انطلق فوكوياما من فرضية أساسية وهي: هزيمة الأيديولوجيات السياسية التي لا تكتسب الصفة العالمية، كالأيديولوجيا الصينية والإسلامية. وقد جادل في أُطروحته سقوط الأيديولوجيا الاشتراكية التي تكتسب الصفة العالمية، وهي محور رئيس في أُطروحته بعد إسقاط كافة الأيديولوجيات الفرعية، والتي لا تحمل الصفة العالمية من وجهة نظره. وعرض في أُطروحته التناقض في أنظمة الحكم عبر تاريخ الإنسانية من الملكيات والارستوقراطيات، إلى الحكومات الدينية الخاضعة لرجال الدين، إلى الدكتاتوريات الفاشية والشيوعية. ويحدد النظام الديمقراطي الليبرالي، كنظام للحكم في نهاية التاريخ الذي بقي ثابتاً حتى نهاية القرن العشرين. إذاً كيف يفسر فوكوياما سقوط الأيديولوجيات السياسية الأخرى؟.

يفسر فوكوياما سقوط الأيديولوجيات السياسية قائلاً: "هناك إجماع في جميع العالم حول شرعية الديمقراطية كنظام للحكم بعد أن لحقت الهزيمة بالأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية في الفترة الأخيرة" (فوكوياما(أ)، 1993، ص8). إن نص فوكوياما يعترف صراحةً بأن الشرعية التي اكتسبتها الديمقراطية الليبرالية على مستوى العالم جاءت نتيجة الهزيمة التي منيت بها الأيديولوجيات المنافسة، أي أن وراء انتصار الديمقراطية الليبرالية القوة وإرادة الهيمنة والحرب، وليس نتيجة للتطور التاريخي والطبيعي للفكر البشري، أو نتيجة للقناعة البشرية بأن التاريخ سينتهى بصورة حتمية، أو قانونية نحو الديمقراطية الليبرالية (فياض ومولود، 2011، ص47). وبالإضافة لعدم قدرة الأيديولوجيات الفرعية لأن تصبح عالمية، ومن خلال شرح فرضيات فوكوياما سوف نشعر بروح الانتصار، وقوة الولايات المتحدة باعتبارها النموذج العالمي للديمقراطية الليبرالية.

يرى فوكوياما الإسلام كأيديولوجيا لا يكاد أن يكون له جاذبية خارج المناطق التي كانت في الأصل إسلامية الحضارة، "وإن كان بوسع الإسلام أن يكسب من جديد ولاء المرتدين عنه، فهو لن يصادف هوى في قلوب شباب برلين، أو طوكيو، أو موسكو، رغم أن بليون نسمة يدينون بدين الإسلام "أي خمس تعداد سكان العالم"، فليس بوسعهم تحدى الديمقراطية الليبرالية في أرضها على المستوى الفكري" (فوكوياما(أ)، 1993، ص56). فالإسلام أمام الثورة الليبرالية التي تلت الحرب الباردة في فكر فوكوياما، هو أيديولوجيا فرعية لا تكاد أن تصحو في مناطقها التي انتشرت بها، بل يرى فوكوياما بأن العالم الإسلامي أشد عرضة للتأثر بالأفكار الليبرالية على المدى الطويل من احتمال

أن يحدث العكس، ويعيد فوكوياما سبب انتشار "الأصولية الإسلامية[1]" إلى الخطر الملموس من جانب القيم الغربية الليبرالية على المجتمعات الإسلامية التقليدية.

3.2.3 كتابة التاريخ العالمي

يلجأ الفيلسوف في فلسفة التاريخ إلى اختصار العلل "الأسباب" الجزئية للأحداث التاريخية إلى علة وأحدة أو علتين على أبعد تقدير، يفسر على ضوئها التاريخ العالمي، ويقتضي منه إعادة تشكيل وقائع التاريخ، وأحداثه لكي يقدم منها صورة عقلية، يستطيع من خلالها كتابة التاريخ العالمي (الشيخ،2000، ص25:24). إن فلسفة هيجل التاريخية تنطلق من حل كافة التناقضات وتحقيق الوعي المطلق، قد اعتبر الحالة الجدلية هي المحرك للتاريخ. أما ماركس فقد نظر لحل كافة الطبقات الاجتماعية، واعتبر الاقتصاد هو المحرك للتاريخ، وأن الاشتراكية هي المرحلة التي سوف توصلنا إلى الشيوعية. لكن فوكوياما حدد" المسار التاريخي الذي يؤدي لدولة نهاية التاريخ كان يدفعه محركان متساويان: الازدهار المستمر في العلوم الطبيعية الحديثة، والسعي إلى نيل الاعتراف" (فوكوياما(أ)، 1993، ص184). وقد أعلن فوكوياما بأن هذين المحركين تم تحقيقهما في دولة الديمقراطية الليبرالية، معلناً عن نهاية التاريخ.

كتب كوندورسية Condorcet (1743–1794) كتاباً بعنوان "تقديم العقل البشري"، وهو أول عمل لتاريخ عالمي مقسم إلى مراحل، والذى يؤمن بنظرية التقدم في التاريخ، فكتب مراحل التقدم البشري عن الماضي وتاريخ المستقبل، وكانت كتاباته مليئة بالتفاؤل عن التاريخ بوصفه تقدماً مطرداً للبشرية نحو الحق والسعادة (النشار، 2011، ص187).

ولعل المقالة التي كتبها كانط Immanuel Kant (1724–1804) عام 1784 "محاولة لكتابة تاريخ عالمي"، أول محاولة جادة في هذا المجال، فبالرغم من عدم تجاوزها الست عشرة صفحة، فقد وضعت الأسس التي قامت عليها فيما بعد محاولات كتابة تاريخ عالمي (الصالح، 1997، ص53). وكانت آراء كانط الفلسفية بصدد غائية أفعال الإنسان في التاريخ. وهذه الأفعال مستندة على حرية الارادة، وهذا يتضمن أنها لا تخضع لقوانين، كقوانين الطبيعة، وحرية الإنسان لا تعني أنه يتصرف بحكمة ولا تصدر أفعاله عن تعقل وإتزان، فالحرب مثلاً تبدو من نسيج الحماقة

[1] يعنى فوكوياما بالأصولية الإسلامية: الإرهاب الديني الذي يصف بعض الحركات الإسلامية المتشددة بالإرهاب.

وصادرة عن شهوة التدمير. إذن غاية التاريخ عند كانط هي الكشف عن النظام الذى يكمن وراء الفوضى (صبحى، 1975، ص199).

حركة التاريخ شغلت الفلاسفة التأمليين. وقد قسم فريد سليمان الفلاسفة إلى ثلاث فرق: "هناك من يقول أن التاريخ يلتزم مسارا مستقيما على طريق التقدم الصاعد أو التدهور. وهناك من يقول أن التاريخ يسير وفي دورات حضارية تمر بها الإنسانية، وهناك من يقول بأن حركة التاريخ لا تلتزم نمطاً معيناً" (سليمان، 2000، ص36). وأنصار الفريق الأول هم من الماركسيين والبرجماتيين، أما أنصار التعاقب الدوري للتاريخ "أبن خلدون، وتوينبي"، يريان بأن الإنسانية تمر بحلقات تنتقل فيها من طور إلى آخر؛ من البداوة إلى التحضر. ويرى اشبنغلر أن كل حضارة تاريخية هي كيان مستقل ومنعزل تمام العزلة عن غيرها من الحضارات، والتشابه بينهم لا يتعدى إلى الجوهر، لأن كل حضارة تاريخية يربطهم مفهوم متقارب للوجود، فينعكس ذلك على مختلف نشاطاتهم الدينية والسياسية والاقتصادية (سليمان، 2000، ص36). فوكوياما تحدث عن التاريخ الغائي الذي يتحرك في مسار مستقيم، ليصل إلى غايته وهي نهاية التاريخ.

1.3.2.3 فوكوياما وغائية التاريخ

يرى فوكوياما بأن التاريخ غائي، وأنه يتطور صوب الديمقراطية الليبرالية. وقبل تحليل غائية التاريخ ومآلها عند فوكوياما، لابد من معرفة ما هي الغائية؟، وكيف يصل فوكوياما إلى غاية التاريخ في أُطروحته؟.

الغائية Teleology - finality: "هي النظرية التي تزعم أن كل ما في الطبيعة وما يجري فيها من عمليات، إنما يتجه لتحقيق غاية معينة، فالغائية هي علم الغايات، إذ ترى أن العلة هي الكامنة وراء أنواع التغيرات كلها، حتى السلوك الإنساني الأكثر عقلانية يفسر بأنه خاضع لتأثير الغاية، والطبيعة أيضاً خاضعة للغاية، إلا أن الغاية فيها مزروعة بطريقة غير واعية، أما الإنسان فيحدد غايته بطريقة واعية" (الموسوعة العربية، 2011، ص772). والغائية في موسوعة لا لاند الفلسفية تعني: "كل مذهب يعزو دوراً مهماً إلى الغائية أو المآلية في تفسير العالم، ومعناها باللاتيني نطاق أو حد، والوقف أو الحد: هي النقطة التي يتوقف عندها" (لا لاند، 2001، ص426:427 م1).

ينطلق فوكوياما لإثبات غاية التاريخ وتطوره في مسار التقدم إلى الديمقراطية الليبرالية، من غائية العلم، "المعرفة هي مفتاح غائية التاريخ، خاصة وأن معارفنا عن الكون الطبيعي التي يمكن

للعلم توفيرها لنا، والمجال الوحيد الذي يُجمع الناس على أنه غائي وتراكمي هي المعرفة أي العلوم الطبيعية الحديثة" (فوكوياما(أ)، 1993، ص77). ويبرهن فوكوياما غائية العلم وإحداث التغيرات التاريخية بواسطته من خلال وسيلتين هما: تطور العلوم الطبيعية، وتطور الاقتصاد. وفيما يلي سوف نعرض وسائل تحقيق غائية التاريخ.

1.1.3.2.3 أولاً: تطور العلوم الطبيعية

يدلل فوكوياما على غائية التاريخ في البداية من خلال العلم ويستبعد منه عدة فروع من العلوم الإنسانية كالفنون والرسم والشعر، فالعلوم الطبيعية تُبنى على إنجازات الماضي، "الحقائق التي كانت غائبة على إسحاق نيوتن معروفة اليوم لدى أي طالب جامعي يدرس الفيزياء لمجرد أنه ولد بعد نيوتن، فالمعرفة العلمية لا هي بالدورية ولا هي بالعفوية" (فوكوياما(أ)، 1993، ص78). من خلال هذه الفرضية يبرهن فوكوياما أن انتشار العلم بين الشعوب والحضارات هي غائية وعالمية في آن واحد. ويضرب مثالاً عن التنافس العسكري في عالم اليوم قائلاً: "الطابع العالمي للعلم يوفر الأساس لتوحيد البشرية كلها بالنظر لانتشار الحروب والصراعات في النظام الدولي، فالعلوم الطبيعية الحديثة اليوم تتيح القوة العسكرية للمجتمعات القادرة على استخدام التكنولوجيا وإنتاجها واستخدامها على أكمل وجه" (فوكوياما(أ)، 1993، ص78). إذن الحرب والتقنية العسكرية عند فوكوياما هي الدافع القوي للدول من أجل تغليب العقلانية في المجتمعات وإلى إقامة بناء اجتماعي متشابه في كافة الدول والحضارات.

ويعني فوكوياما بانتشار العلوم والتكنولوجيا بين الدول والحضارات، بأن الدول تسعى لحماية سيادتها السياسية، وبذلك هي مضطرة إلى تبني تكنولوجيا أعدائها ومنافسيها، وينتج عن ذلك إعادة بناء أنظمة الدولة الاجتماعية بحيث تكون أكثر فاعلية في إنتاج التكنولوجيا واستخدامها، وهذا يخلق جواً للوحدة الوطنية لتستطيع الدولة مجابهة أعدائها، فتعمل على هدم أشكال مختلفة من الروابط الإقليمية والأسرية والدينية التي يمكن أن تعرقل مسار الوحدة، وتنهض الدولة بمستوى التعليم من أجل تخريج صفوة قادرة على استخدام التكنولوجيا، وهي بذلك تمنح حقوقاً للطبقات الفقيرة من أجل التعبئة العامة متى شاءت الدولة (فوكوياما(أ)، 1993، ص79).

ويفرض فوكوياما هذا المسار التاريخي على كافة الدول، ويضرب أمثلة على ذلك من التاريخ، بأن الحروب في القرن السادس والسابع عشر أدت إلى إنهاء الإقطاعيات، وتكوين الإمبراطوريات، فالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي يحدث نتيجة مسايرة التنافس الدولي.

2.1.3.2.3 ثانياً: تطور الاقتصاد

يتزامن التكامل العالمي والسير نحو العولمة مع انتشار نظرية اقتصادية ينصح بها عدد كبير من الخبراء والاستشاريين الاقتصاديين، ويقدمونها للمسؤولين عن إدارة دفة السياسة والاقتصادية على أنها النهج الصحيح: إنها "الليبرالية الجديدة Neoliberalism" والمقولة الأساسية لهذه النظرية هي ببساطة: "ما يفرزه السوق صالح، أما تدخل الدولة فهو طالح". وقد اتخذت في الثمانينيات الغالبية العظمى من الحكومات الغربية هذه الليبرالية منارا تهتدي به في سياساتها، وأعطى انهيار الاتحاد السوفيتي هذه العقيدة دفعة إضافية، ومنحها القدرة لتصبح ذات أبعاد عالمية (بيتر مارتن وشومان، 1998، ص31). التطورات العالمية الجديدة أدت إلى تطور الرأسمالية العالمية التي يجمعها مصطلح "العولمة"، والتي تطورت عبر تاريخ طويل يبدأ منذ القرن السابع عشر في شكل نظريات سياسية على يد توماس هوبز وجون لوك، وانتقلت إلى الاقتصاد الكلاسيكي على يد آدم سميث، ويعاد ظهورها من جديد الآن في شكل ما يسمى بالليبرالية الجديدة (منصور، 2008، ص9). وقد جاءت آراء فوكوياما الاقتصادية وفق هذه النظرية، حيث يرى أن العلوم وتطوراتها الحديثة تنظم اتجاه النمو الاقتصادي، وهذا الاتجاه الذي يصبح فيه التحول التكنولوجي وثيق الصلة بتنظيم العمالة بمرور الوقت، فالتحسينات التكنولوجية في ميادين عدة كالاتصالات ورصف الطرق وتطوير السفن والموانئ واختراع القطارات وغيرها، تعمل على توسيع السوق ووفرة في الانتاج والحجم الكبير، وهذا يؤدي إلى خلق أسواق كبيرة وتقسيم العمل إلى أبعد مدى (فوكوياما، 1993، ص82:81).

وهذا التوسع في الأسواق وفي الإنتاج عند فوكوياما يؤدى إلى تغيرات جوهرية في البناء الاجتماعي للأفضل. إن التنظيم الرشيد للعمل يفرض تغيرات واسعة النطاق في البناء الاجتماعي، وذلك أن المجتمعات الصناعية لابد أن تكون حضرية الطابع. ويذهب فوكوياما أبعد من ذلك في تحديث البنية الاجتماعية في المجتمع فيقول إن: "النمو الاقتصادي وسوق العمالة يعمل على زعزعة كيان الطوائف الاجتماعية التقليدية كالقبائل والعشائر والعائلات الكبيرة، فتنحسر بسبب

افتقار تنظيمها إلى المبادئ العقلانية للكفاءة الاقتصادية، وتفسح المجال أمام الأشكال التنظيمية الراهنة" (فوكوياما(أ)، 1993، ص82). وهذا من الناحية العملية صحيح، حيث تسمح الليبرالية الجديدة بحرية التنقل والحركة للعمالة، وتعلم تكنولوجيا العمل الجديدة، إلا أن الأشكال التنظيمية الراهنة في المجتمع لم تتغير، بل زادت الفجوة بين الطبقات، أي هناك البرجوازية والعمال وفي أحسن أحوال الليبرالية، وقد يكون هناك طبقة متوسطة إلا أنها الأكثر عرضة لتهديد الأزمات المالية في الغرب.

ويقدم هانس بيتر مارتن Hans - Peter Martin وهارالد شومان Harald Schumann نقداً عملياً لهذه النظرية الاقتصادية والتي يؤمن بأفكارها فوكوياما قائلين: إن الرأسمالية النفاثة التي تبدو الآن كما لو كان انتصارها على المستوى العالمي قد صار أمراً حتميا، إنما هي في طريقها لهدم الأساس الذي يضمن وجودها، وهي الدولة المتماسكة والاستقرار الديمقراطي. فالتغير وإعادة توزيع السلطة والثروة يقضيان على الفئات الاجتماعية، وأخذت البلدان التي تعتبر بلدان رفاهية تستهلك رأسمالها الاجتماعي، فو بحثنا في الولايات المتحدة عن الطبقات الاجتماعية، سوف نجد بأن معدلات الجريمة اتخذت أبعاداً بحيث صارت وباء واسع الانتشار. ففي ولاية كاليفورنيا– فاق الانفاق على السجون المجموع الكلي لميزانية التعليم (بيتر مارتن وشومان، 1998، ص32:31). وهذا يوضح العلاقة العكسية بين الطبقات الاجتماعية في البلدان الليبرالية، فكلما زات التنمية الاقتصادية من قبل البرجوازية، تزداد قوة الرأسمالية في الدولة، وتستهلك رأسمالها الاجتماعي في نفس الوقت. فالتغيرات التي تطرأ على أصحاب رؤوس الأموال وشركاتهم تؤثر على الطبقات الاجتماعية الأخرى، فمثلاً التقدم التكنولوجي يؤدي إلى الاستغناء عن العمال، وكذلك الأزمات الاقتصادية تؤدى إلى وقف مصانع أو تخفيض العمل.

وعن قوة وهيمنة الشركات متعددة الجنسيات، يقول فوكوياما: "قد أثبت خطأ القول بأن التنمية الصناعية تعني بالضرورة قيام بيروقراطيات متزايدة الحجم أو اتحادات عملاقة من الشركات متعددة الجنسيات" (فوكوياما(أ)، 1993، ص83). فالإنتاج الكبير يؤدي إلى عدم الوفرة الناجم عن الاقتصاد الكبير وبالتالي تصبح كفاءة الشركات الأصغر أو المتوسطة أفضل في انتاجها. وهذا غير صحيح حيث إن في العشرين عاماً الأخيرة تزايدت هيمنة الشركات العملاقة العابرة للقارات، وهذه الهيمنة لم تكن فقط في الجانب الاقتصادي، بل وصلت هيمنتها إلى الجانب السياسي أيضاً.

يرفض جان جاك روسو (1712-1778) في كتابه "مقال في العلوم والفنون عام 1750" التقدم العلمي، ويعتبره مفسدة للنفس، ويزعم بأن العلوم والآداب والفنون تكمل ظاهر الإنسان فقط، ولا تكمل باطنه، بل كلما تقدمت أمعنت في إفساده، وهي تولد الرذيلة لأنها تطيل الفراغ وتدفع إلى الترف والتنمية، وهذا الترف والثراء المفرط عند البعض يقابله الفقر المدقع عند البعض الآخر، فأصبح لدينا علماء وفنانون من كل نوع، ولم يبق لدينا مواطنون، فكان من جراء ذلك تفاوت مشئوم بين الناس(كرم،2012، ص212). ويشكك روسو في التقدم العلمي والتكنولوجيا ويخرج من هذا الشك من خلال الفضيلة، حيث يقول: "أيها الفضيلة! أنتِ العلم السامي للنفوس الساذجة، أهنالك حاجة لكل هذا العناء وهذه الأدوات لكي نعرفك؟ أليست مبادئك مطبوعة في جميع القلوب؟ أوليس يكفي لتعليم قوانينك أن نخلو إلى أنفسنا ونستمع إلى صوت الضمير في صمت الأهواء؟ تلك هي الفلسفة الحقة، فلنتعلم ما نقنع بها" (كرم، 2012، ص212). وينتقد فوكوياما رأي روسو الذي يعتبره المصدر الرئيس لمعظم النظريات المعادية للتكنولوجيا، حيث أن روسو يرى بأن التقدم الصناعي يعني إضرار البيئة الطبيعية للإنسان، والأهم هو ما يراه روسو بأن الفساد في استخدام التكنولوجيا سيؤدي إلى نهاية المجتمع المثالي الذي ينظر له فوكوياما. غير أن فوكوياما يرى بأنه من الصعوبة العودة إلى الطبيعة الأولى التي ينظر لها روسو، وترك التكنولوجيا والنمو الاقتصادي الراهن.

ويضيف فوكوياما طرحاً آخر وهو فرض خيار التخلي عن التكنولوجيا كرهاً لا طوعاً، من خلال حرب تدميرية أو انهيار بيئي شامل، ورجوع الحضارة إلى ما قبل العلم، فهو أيضاً يستبعد ذلك فلا يوجد برابرة جاهلون بقوة التكنولوجيا والأسلحة النووية. بعد عرضة لوسائل التاريخ يتوصل فوكوياما بأن التاريخ غائي يتقدم من خلال مسار العلم والتكنولوجيا فيقول: "من غير الممكن أن نتصور تاريخاً دورياً حقيقياً، إلا لو افترضنا إمكان أن تختفي حضارة معينة بصورة كاملة دون أن تترك أي أثر في الحضارة التي تليها... وبهذا يصبح التاريخ غائي بكل ما تحمله من عواقب اقتصادية واجتماعية وسياسية" (فوكوياما(أ)، 1993، ص91).

إن تطور العلوم يسفر عن تاريخ غائي وتحولات اجتماعية متجانسة الطابع في مختلف الأمم والحضارات، حيث يرى فوكوياما بأن التكنولوجيا والتنظيم للعمل هما من الشروط اللازمة للتصنيع، وكذلك توسيع المدن وتطورها، وبالتالي أدى إلى ارتفاع مستوي التعليم، إلا أنه لم ينكر الدول التي

تطورت اقتصاديا غير أنها لا هي بالرأسمالية ولا بالديمقراطية كالاتحاد السوفيتي السابق، فقد عرف نمو اقتصادي في ثلاثينيات القرن الماضي في عهد ستالين[1] الذي حول البلاد من زراعية إلى صناعية.

غير أن التخطيط المركزي غير فعال فالابتكار التكنولوجي ينطلق في جو من الحرية ويسمح للناس بالتفكير والاتصال، والمكافئة على الابتكارات والصناعات الجديدة غير أن الاتحاد السوفيتي لم يهتم سوى في علماء السلاح النووي ولم يهتم بالصناعات الأخرى كالتلفزيون والتسويق وغيرها، إن الاشتراكية لاقت هزيمتها الكبرى في عالم الاقتصاد وخاصة عالم الصناعة الديناميكي شديد التعقيد (فوكوياما(أ)،1993،ص92-107). وهذا يعني أن الاقتصاد المركزي ونجاحاته غير دائمة وانكشف أمرها مع مرور الزمن وأثبتت فشلها في ظل التطورات الهائلة في الصناعة والتكنولوجيا الصناعية، إلا أن رأي فوكوياما هذا جانبه الصواب في توقعاته للقرن الواحد والعشرين، فالصين اليوم تعتبر من أقوى الدول الصناعية والاقتصادية التي تعتمد على التخطيط المركزي الذي طورته، وأخذت بسياسة الأسواق المفتوحة.

2.3.2.3 العلوم الحديثة والديمقراطية

يجزم فوكوياما بأن العلوم الطبيعية تخلق ميلاً إلى الرأسمالية واقتصاديات السوق، وهناك علاقة وثيقة بين التنمية الاقتصادية ومستوى التعليم والديمقراطية، "العلاقة بين التنمية الاقتصادية والديمقراطية هي أبعد ما تكون مصادفة" (فوكوياما، 1993، ص108). بعد وسائل فوكوياما التي أثبت بأن التاريخ العلمي غائي ومتطور، قد أسقط تطور العلوم الطبيعية على تطور النظام البشري بأكمله من اجتماع واقتصاد ونظم سياسية.

إن الدول التي تتبني إصلاحات اقتصادية، يطرأ تغيرات على التركيبة الاجتماعية فيها، من خلال التحول من الزراعة إلى الصناعة، وبذلك سوف تتسع المدن وتزداد نسبة التعليم وترتفع الدخول الفردية، ويضرب فوكوياما أمثلة لبلدان العالم التي أدت التنمية الاقتصادية إلى الديمقراطية.

---

[1] جوزيف ستالين (1879-1953): الاسم الكامل "جوزيف فيساريو نوفيتش ستالين دجوغاشفيلى" ولد في مدينة"جورجى" في جمهورية جورجيا، ستالين الرئيس الثاني للاتحاد السوفيتي خلفاً للينين في العام 1923، وقد لجأ إلى العنف والقسوة لتحقيق الأهداف السياسية (فوكوغونوف، 1995، ص27-40).

إسبانيا بعد حكم فرانكو[1] عملت على الاصلاحات الاقتصادية مما أدي إلى تغيرات اجتماعية وديمقراطية فيها، وعرفت الأحزاب والحرية الفردية، وبلد كاليابان التي فرضت عليها الديمقراطية بالقوة، فقد تجاوزت الديمقراطية الحد الذي يمكن أن توصف بأنها فرضت بالقوة عليها، وكذلك الحال مع كوريا الجنوبية وتايوان.

هذا، ويربط فوكوياما بين التقدم التاريخي وإرساء دعائم الديمقراطية في العالم قائلاً: لو ألقينا نظرة على العالم من حولنا للاحظنا أنه لا تزال ثمة علاقة متبادلة بالغة القوة بين التحديث الاجتماعي والاقتصادي الزاحف وبين بزوغ الديمقراطيات الجديدة (فوكوياما(أ)، 1993، ص110). فيما يؤكد فوكوياما على فرضياته في حوار أجراه مع عبد العزيز قاسم[2]، بأن الاقتصاد والتنمية مرتبط بالديمقراطية المستقرة في الدول، فهناك القليل من الدول الغنية التي ليس بها ديمقراطية ليبرالية، وإن كانت بعض الدول الفقيرة كالهند وكوستاريكا تقدم نموذجاً ناجحاً للديمقراطية، لكن أغلب الدول التي لا تصنف ضمن الدول الغنية هي دول غير ديمقراطية (قاسم، 2007، ص58:59). ويطرح فوكوياما ثلاث حجج للتدليل على أن التصنيع المتقدم يؤدي إلى الديمقراطية وهي:

1. **وظيفة الديمقراطية:** الديمقراطية وحدها هي القادرة على التوفيق بين المصالح المتعارضة الناجمة عن طبيعة الاقتصاد، في حالة التصنيع تظهر الطبقات العاملة في مختلف تخصصاتها الصناعية والحرفية، والإداريين وأصحاب رؤوس الأموال، والمهاجرين الذين يسعون للاستفادة من سوق العمل، وهنا تأتي وظيفة الديمقراطية وتثبت كفاءتها لأنها مرنه تسمح للجميع بالتعبير عن نفسة، إلا أن فوكوياما لا ينكر دور الدكتاتوريات بأنها قد تكون قراراتها الاقتصادية أسرع من الديمقراطية، إلا انها لا تستمر طويلاً وخاصة في الدكتاتوريات التي تعمل دون وعي كامل بالمصلحة الاقتصادية للبلاد. أي التي تعمل من أجل النخبة الحاكمة.
2. **الاقتصاد والتحول الديمقراطي:** النمو الاقتصادي يؤدي إلى الديمقراطية، فالدكتاتوريات أو نظام الحزب الواحد حينما تحكم شعب متقدم علمياً وتكنولوجياً بمرور الزمن تتحول تلك الدكتاتوريات،

---

[1] فرانسيسكو فرانكو (1892–1975): الدكتاتور الاسباني، والوصي على المملكة الاسبانية من العام 1947 حتى وفاته.

[2] حوار مع فوكوياما على هامش ندوة مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، بمدينة الدار البيضاء بالمملكة المغربية. وعقدت الندوة في 8–9 إبريل 2005، تحت عنوان "وجهة التاريخ: العقل وشروط الوجود الإنساني"، وقدم فوكوياما ورقة عمل لهذه الندوة بعنوان "نهاية التاريخ... بعد مرور 16 سنة على إعلانها".

فالثورة تأتي بزعامة ملهمة تحاول تحقيق كل شيء، غير أنه باختفاء المؤسسيين من الوجود، تتحول تلك الدكتاتوريات أو الحزب الحاكم إلى الصراع على السلطة، وبالتالي تنهار تلك الدكتاتوريات أمام حركة الشعب وتطلعاته الاقتصادية. وقد تحقق الديمقراطية بتحويل نظام الحكم سلمياً أو من خلال انهيار النظام القائم.

3. **التقدم الاقتصادي والتحول الليبرالي:** التصنيع الناجح والتقدم الاقتصادي يتيح للطبقة الوسطي بالمساهمة في الحياة السياسية وبالمساواة في الحقوق لكل الطبقات بالرغم من التفاوت الكبير بالدخول الفردية، لأن التقدم الاقتصادي يتطلب عمالة كبيرة ومتعلمة، وهذا بدوره يؤدي إلى مطالبة هذه الطبقة بحقوقها والمشاركة في الحياة السياسية.

خلص فوكوياما إلى أن التاريخ غائي وعالمي وليس مقتصراً على الحضارة الغربية وحدها، كما في العصور الوسطي، ففي العصر الحالي تعتبر التجارب الإنسانية ملكاً لكل العالم، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك حينما يطبق التقدم العلمي والتجارب الانسانية على الاقتصاد حيث يعتبر العالم حضارة واحدة تتمثل في الاقتصاد المعولم.

وفي هذا الإطار يقول فوكوياما: "ثمة حضارة عالمية حقيقية قد بزغت خلال القرون القليلة الماضية، محورها النمو الاقتصادي القائم على التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية الرأسمالية اللازمة لتحقيق هذا النمو والحفاظ عليه" (فوكوياما(أ)،1993، ص122). وهذا يعني أن التقدم العلمي والنشاط الاقتصادي الناتج عنه، جعل العالم قرية صغيرة، دون النظر إلى توافق هذا التقدم مع كافة المجتمعات وقبولها للعولمة الاقتصادية.

3.3 المبحث الثاني: نهاية الأيديولوجيا

يتساءل فوكوياما إذا ما كان بوسع مسار التاريخ الإنساني أن يستمر إلى الأبد، أم أنه وصل إلى غايته؟ وهل هناك أي تناقضات في النظام الاجتماعي الديمقراطي الليبرالي المعاصر؟ أم أن التاريخ وصل إلى نهايته في النظام الديمقراطي الليبرالي الحالي؟. يجيب فوكوياما عن هذه التساؤلات من خلال العودة لتاريخ الفكر السياسي، وخاصة عند أعلام فلسفة التاريخ هيجل وماركس وتحليل رؤيتهم لمسار التاريخ.

1.3.3 نهاية التاريخ وحل التناقضات

إن شكل التنظيم السياسي والاجتماعي في حضارة ما يحتوى على تناقضات داخلية تؤدى بمرور الوقت إلى زعزعة هذا التنظيم وإقامة تنظيم آخر أكثر نجاحاً، يحتوى هو الآخر على تناقضات، هذه هي الديالكتيكية الهيجليه. ويبحث فوكوياما في الديالكتيكية متسائلاً هل انتهت هذه التناقضات ووصل التاريخ إلى نهايته؟. يؤكد فوكوياما بأن النظام الديمقراطي الليبرالي وصل إلى نهايته بحل كافة التناقضات في المجتمعات الديمقراطية.

إن التناقض الداخلي في المجتمع عند فوكوياما يعني بأن هناك سخطاً اجتماعياً يتسبب بانهيار النظام الديمقراطي القائم، ويستبعد المشكلات الرئيسية في المجتمعات الديمقراطية، مثل التضخم والجريمة والمخدرات، فهذه المشاكل لا تتحول إلى تناقض إلاً إذا كان من الخطورة حلها في إطار النظام القائم، فالتناقض يعني زعزعة شرعية النظام القائم الذي لا يمكن حل هذا التناقض في إطارة الحالي (فوكوياما(أ)، 1993، ص130). ويختلف فوكوياما مع ماركس في تحليله للطبقات، حيث يرى ماركس بأن فقر البروليتاريا المطرد هو تناقض قائم، حيث إنه يؤدي إلى وضع ثوري يعصف ببناء المجتمع الرأسمالي كله ويحل محله بناء آخر. أما فوكوياما يرى العكس من ذلك حيث ينظر لفقر البروليتاريا على أنه مشكلة وليس تناقضاً بل يذهب إلى أن التاريخ وصل إلى نهايته، حيث إن شكل التنظيم السياسي والاجتماعي الراهن مرضياً لكافة البشر. أي أن مشكلة الفقر عند البروليتاريا قد حُلت وأصبحت طبقة العمال راضية عن وضعها الاجتماعي القائم في ظل النظام الديمقراطي الليبرالي.

ويبرهن فوكوياما على صحة ادعائه بنهاية التناقضات في المجتمع الغربي من خلال محورين، الأول: مسار التاريخ الفعلي للتطور التاريخي، يوضح تفوق شكل معين من المجتمع على الأشكال الأخرى، وهنا ينظر إلى التاريخ الإنساني على أنه حوار وتنافس بين أنظمة أو أشكال مختلفة للتنظيم الاجتماعي، "إن التطورات التاريخية عبر القرون كانت تتجه صوب شكل مفرد من أشكال التنظيم السياسي والاجتماعي "الديمقراطية الليبرالية" ولم تكن هناك بدائل صالحة أخرى للديمقراطية الليبرالية، ولم تعبر الشعوب التي تعيش في ظل الديمقراطيات عن سخط قوي على حياتها، يمكننا إذن القول بأن الحوار وصل إلى خاتمة حاسمة، وسيكون على الفيلسوف التاريخي أن يقبل مزاعم الديمقراطية الليبرالية بأنها الأفضل والغاية النهائية" (فوكوياما(أ)، 1993، ص130). أما الثاني: النهج

الذي يتخذ مفهوم الطبيعة أساساً له، ويعني ذلك بأن نحكم على كفاءة الديمقراطية الليبرالية الراهنة من منطلق مفهوم عن الإنسان الذي تجاوز التاريخ، وهذا يعني عند فوكوياما البحث عن الطبيعة البشرية وخصائص الإنسان الدائمة بحكم أنه إنسان، ومن ثم يمكن الحكم على كفاءة الديمقراطية الليبرالية الراهنة على هذا الأساس (فوكوياما(أ)، 1993، 131). بمعنى آخر الديمقراطية الليبرالية هي الأيديولوجيا الوحيدة القادرة على فهم الإنسان في المجتمع وتطلعاته ومتطلباته.

2.3.3 الصراع من أجل نيل الاعتراف والتقدير

تحدثنا فيما سبق عن رؤية فوكوياما حول التقدم العلمي الذي يؤدي إلى التنمية الاقتصادية وبالتالي تركيبة المجتمع في ظل التنمية الاقتصادية ومستوى تعليم عالٍ تتطلب بيئة ديمقراطية، إلا أنه في هذا الجزء يقر بأن الاقتصاد وحده لا يوصل إلى الديمقراطية، بل إن هناك دولاً وصلت إلى الرخاء الاقتصادي دون حرية، وأيضاً الثورات الليبرالية الأمريكية والفرنسية في القرن الثامن عشر لم يكن الهدف منها اقتصادي محض (فوكوياما(أ)، 1993، ص135:136). التطور العلمي والتقدم الاقتصادي ليسا كافيان لتفسير مسار التاريخ، لذا يذهب فوكوياما ليؤكد على الحكم الحر الذي يرغب به المجتمع من خلال "نيل الاعتراف والتقدير"، وذلك بالعودة إلى العقل عند هيجل لتفسير التقدم التاريخي، بدلاً من التفسير المادي الذي اعتمد عليه في تفسير التقدم العلمي والاقتصادي.

ويرى مطاع الصفدي بأن أُطروحة فوكوياما كان يمكن أن تمر مروراً عابراً دون أن تخلف أثراً، في قائمة البيانات الأيديولوجية والجدل السياسي اليومي، غير أنه قام بقفزة نوعية من مستوي الحدث إلى أوسع المفاهيم الفلسفية، فهو يغير العادة المتبعة في عملية البحث، فبدلاً من اعتماد تراث الواقعية النفعية كما هو عند مؤسسيه جون لوك John Locke وجيرمي بنثام Jeremy Bentham وجون إستيورت ميل John Stuart Mill، فإنه يبحث عن المصادر الأوروبية، وبالذات يرجع إلى الفكر الألماني عند أحد أعلامه هيجل، ولم يتوقف عنده بل يمضي قدماً إلى عمق الفكر الإغريقي، ليصل إلى التحليل الأفلاطوني للذات والمدينة والعالم (فوكوياما(ب)، 1993، ص5:6). إذن ما هو الاعتراف والتقدير؟

يشرح فوكوياما مفهومه عن الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير من خلال العودة لتاريخه وأصله الاغريقي عند أفلاطون فيقول:

"الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير مفهوم غربي، خاصة وإن هي وصفت بأنها المحرك الأول للتاريخ البشري، غير أننا لا ننظر إلى الحياة السياسية عادة على أنها صراع من أجل نيل الاعتراف، ففي حديثنا عن السياسية نميل إلى اعتبارها منافسة على السلطة وصراعا على الثروة وغيرها، ولم يكن هيجل هو الذي اخترع المفهوم بل هو قديم قدم الفلسفة الغربية نفسها، وهو يشير إلى جانب مألوف جداً في الشخصية الإنسانية، غير أنه لم يكن ثمة كلمة واحدة لآلاف السنين تستخدم للإشارة إلى ظاهرة الرغبة السيكلوجية في نيل الاعتراف. فقد تحدث أفلاطون عن الثيموس، وتحدث ميكافيلي عن تعطش الانسان إلى المجد، وتحدث هوبز عن كبرياء الانسان، وتحدث روسو عن أنانيته..." (فوكوياما(أ)، 1993، ص150)

"الثيموس" كلمة إغريقية الأصل تفيد مركز الانفعالات والتقلب والرغبة ويمكن أن تعني أيضاً هبوب الحياة ونفس الحياة وقد ترجمت هذه الكلمة بالروح أحياناً أو بالنفس أحياناً أخرى، وإذا بحثنا عن الثيموس في جمهورية أفلاطون في الكتاب الرابع نجده يتحدث عن عدة أنواع لهذه الرغبة، ويعني الثيموس عند أفلاطون: القلب الشجاع (عروسي، 2002، ص107). ويؤكد فوكوياما بأن هذه الصفات تشير إلى الإنسان الذي يشعر بالحاجة إلى إسباغ قيمة على الأشياء، والرغبة في الاعتراف هي الجانب السياسي من شخصية الإنسان، لأنها تدفع الناس إلى الحاجة إلى تأكيد أنفسهم في مواجهة الآخرين.

ويحلل مطاع الصفدي مفهوم نيل الاعتراف والتقدير عند فوكوياما قائلاً: "لقد انتزع فوكوياما من الأفلاطونية الترسيمة التبسيطية التي أتى بها مؤسس العقلانية أفلاطون، ليصور من خلالها صراع الميول والقيم في ذات الفرد الإنساني، واختار جانب الميول، أو ما أطلق عليه أفلاطون اسم "الثيموس" "Thimos"، وهو الجزء الراغب من النفس والطامح إلى تأكيد الذات، وانتزاع اعتراف الآخرين بها"(فوكوياما(ب)، 1993، ص8). وأوضح فوكوياما معنى "الصراع من أجل نيل الاعتراف والتقدير"، من خلال عودته لتفسيرات هيجل عن حياة الإنسان الأول واستناده عليها، فقد وصف هيجل الإنسان الأول البدائي في كتابه "فينومينولوجيا[1] العقل"، على أنه إنسان يعيش في بداية التاريخ، ويشترك الإنسان الأول عند هيجل مع الحيوان في حاجاته الأساسية، كالطعام والنوم والمأوى، وفوق كل شيء الحفاظ على حياته، غير أنه مختلف اختلافاً جوهرياً عن الحيوان في أنه

[1] فنومينولوجيا: هي كلمة تحولت إلى مصطلح فلسفي، وتعني دراسة الظواهر. ويراها فيشته "فقه الظاهرة والظاهر" (هيجل، 2006، ص19) وللاستزادة راجع كتاب هيجل "فنومينولوجيا الروح، الصفحات 19-40".

لا يشتهي أشياء ملموسة فقط، وإنما يشتهي أشياء غير مادية تماماً، فهو يرغب فوق كل شيء في رغبة الآخرين له، أي في نيل الاعتراف والتقدير (فوكوياما(أ)، 1993، ص137:138).

ويعتبر فوكوياما أن فشل التفسير الاقتصادي يعيدنا إلى هيجل، وليس إلى ماركس، لأن هيجل يتناول العملية التاريخية بشكل غير اقتصادي تماماً، كما يعتمد فوكوياما هنا على تفسير الكسندر كوجيف لفلسفة هيجل عن الإنسان الأول، حيث يفسر كوجيف فلسفة هيجل قائلاً: "يمنحنا هيجل فرصة لإعادة التفكير بالديمقراطية الليبرالية الحديثة بتعابير مختلفة عن التعابير المعتادة في الوسط الأنجلوساكسوني[1] المنبثق عن "هوبز، ولوك"، إن هيجل على خلاف هذين الأخيرين يعطينا مفهوماً للمجتمع الليبرالي مرتكزاً على الجانب غير الأناني في الشخصية الإنسانية" (بوسهولي، يوليو/ تموز 2011). ويرى فوكوياما أن الاختلاف الجوهري بين هيجل وماركس يتجلى في اختلاف موقفهما من الإنسان الأول، حيث رأى ماركس أن هذا المجتمع ينقسم بدوره إلى طبقات، على أساس العامل الاقتصادي، فهناك المالك والمزارع، إلا أن هيجل يقسم المجتمع الأول على أساس الموقف من الموت والمخاطرة بالحياة لأجل نيل الاعتراف (الصالح، 1997، ص67). ويؤكد فوكوياما أن الإنسان في تطوره التاريخي كان يبحث عن نيل الاعتراف والتقدير، وأن المحرك الأول للتاريخ البشرى هو الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير.

"ينقسم المجتمع عند هيجل وماركس إلى طبقات اجتماعية. غير أن هيجل عكس ماركس- كان يرى أن أهم الفوارق الطبقية لا يقوم على أساس اقتصادي... وإنما يقوم على اساس موقف الانسان من الموت العنيف، فالمجتمع ينقسم إلى سادة على استعداد للمخاطرة بحياتهم، وعبيد على غير استعداد للمخاطرة. وربما كان فهم هيجل للنظام الطبقي المبكر أصح تاريخياً من فهم ماركس له، فالكثير من المجتمعات الارستقراطية التقليدية قام أصلاً على أساس من "أخلاقيات المحاربين"... وذلك بسبب تفوقها من حيث الشراسة والقسوة والشجاعة. وقد استقر مقام الاجيال اللاحقة من السادة بعد الغزو الأول، إلى اقامة علاقات اقتصادية بين الملاك والفلاحين "العبيد" وبقى الإحساس بالتفوق نتيجة للاستعداد بالمخاطرة بالحياة" (فوكوياما(أ)، 1993، ص139:138).

يبحث هيجل في كتابه "فينومينولوجيا الروح" أول حقائق الوعي بالذات وهى "أن الوعي بالذات إنما يتوصل إلى الإشباع في وعي آخر بالذات" (الشيخ، 2008، ص166). ويرى هيجل: "أن أهم

[1] الأنحلوسكسونيون Anglo-Saxons: هم القبائل الجرمانية التي سكنت بريطانيا في القرنين الخامس والسادس. وهذه القبائل هي "الأنجل، والسكسون". راجع الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

ميزة تميز الإنسان عن الحيوان، هي رغبته في أن يعترف به إنسان، ذلك أن ما يشكل هويته، هو قدرته على المخاطرة بحياته، لذا فإن لقاء الإنسان الأول بغيره من البشر يؤدي إلى صراع عنيف، يسعى كل متنافس فيه إلى إجبار الآخرين على الاعتراف به من خلال المخاطرة بحياته (هيجل، (بدون) كما ورد في الصالح، 1997، ص68). وحتى يستطيع الإنسان أن يحصل على اعتراف الآخرين به، عليه أن يخاطر بحياته حتى يظهر أنه ليس مجرد كائن حي حيوان غافل، وإنما لديه وعي بذاته، وإنسان معترف به مقر له بإنسانيته من الغير، ويثبت هيجل بأن "بغير المجازفة بالحياة لا سبيل إلى الحفاظ على الحرية" (الشيخ،2008، ص 169).

ولقد استطلع كوجيف من خلال قراءته "للفينومينولوجيا" أن يجعل من "الرغبة" مفهوماً رئيسياً، بل كان نواة لبلورة نظرية فلسفية حول الرغبة، إن الإنسان حسب كوجيف هو وعي بالذات، وعي بكرامته الإنسانية، وتستهدف الرغبة تحقيق القيمة، وإذا كانت القيمة المرغوبة لدي الحيوان هي الحفاظ على حياته، فإن الإنسان لا تتحقق قيمته إلاَ من خلال تعريض حياته للخطر بهدف الاعتراف به، والإنسان يتحقق إنسانياً بتعريض حياته للخطر من أجل أن يرضي رغبته الإنسانية، من أجل أن يعتبر كقيمة معترف بها (بومسهولي، يوليو/ تموز2011). يستخدم فوكوياما فكرة هيجل وكوجيف حول الرغبة في نيل الاعتراف، ويذهب إلى أن هذه الطبيعة لا تقتصر على إنسان هيجل بل هي أيضاً طبيعة الإنسان المعاصر، وأحداث التاريخ تثبت أن: "الصراع من أجل نيل الاعتراف والتقدير" واضحة في كل مكان من حولنا (الصالح، 1997، ص66).

ويسوق فوكوياما أمثلة لحالة الثيموس في الدول الاشتراكية فيقول: "لعبت الرغبة في الاعتراف دوراً حاسماً في إحداث الزلزال المناهض للشيوعية، ومن المؤكد أن الكثيرين في أوروبا الشرقية أرادوا وضع نهاية للنظام الشيوعي لا لاعتبارات اقتصادية سامية، صحيح أن للإصلاحات الاقتصادية في روسيا والصين دوراً إلى حد ما. غير أن الرغبة في الرخاء صحبها مطالبة بالحقوق الديمقراطية والمشاركة السياسية باعتبارها أهدافاً إلى حد ما (فوكوياما(أ)، 1993، ص161). كان الإنسان يخاطر بحياته ويدخل الحرب من أجل الاعتراف به كإنسان حر، هذه العلاقة بين السيد والعبد عند فوكوياما كانت هي نقطة نهاية المرحلة الأولي من تاريخ الإنسانية، "حالة الحرب التي سادت بين السيد والعبد، ولم تكن هذه الحالة مُرضية للسيد وللعبد، بالنظر إلى أنه لا السيد ولا

العبد رأيا فيها إشباع لرغبتهما، ويمثل هذا الافتقار إلى "تناقض المجتمع" والذي انتهى بدوره بتقدم البشرية والحصول على الاعتراف، وحل التناقضات" (فوكوياما(أ)، 1993، ص173).

يؤكد فوكوياما بأن الديمقراطية الليبرالية الحديثة، جعلت الاعتراف أساساً عاماً لكل المواطنين، بحيث يتعرف الجميع بكرامة كل امرئٍ باعتباره إنساناً حراً ومستقلاً، "تعترف الدولة الليبرالية بكافة المواطنين وتمنحهم الحقوق، فأي طفل يولد في الولايات المتحدة أو فرنسا أو أي من الدول الليبرالية الأخرى، يولد وله حقوق معينة في المواطنة، سواء أكان فقيراً أم غنياً، أسود أو أبيض، ويكون للطفل بمضي الوقت حق الملكية، وسيكون له حق الخيارات الثيموسية "أي اعتناق الافكار والآراء الخاصة بالقيمة والقدر الذي يرغبه"، وحين يبلغ سن الرشد له الحق في المشاركة بالعملية الانتخابية، أو المشاركة في العملية السياسية وترشيح نفسه" (فوكوياما(أ)، 1993، ص182).

تقدير الذات لدى الإنسان هو شعوره بالعدالة حينما يحظى بالقبول والاحترام، وحينما يشعر الإنسان بأن له قيمة، فيما يرى الآخرون بأن قيمته أدنى منهم، يشعر بالغضب ويبحث عن منزلته والاعتراف به، ويرفض الانسان هذا الواقع المعاش، ويثور عليه لينهى حالة التناقض القائمة في المجتمع من خلال التمرد والثورات.

3.3.3 نيل الاعتراف في نهاية التاريخ

عرض فوكوياما حياة الإنسان الأول، وشرح حالة الصراع لهذا الإنسان كما عرضها "هيجل–كوجيف"، وهذا الصراع جاء لنيل العبد الاعتراف بكرامته من قبل السيد، أما حياة الإنسان الأخير في نهاية التاريخ، فيقر فوكوياما بأنها عندما يشعر الإنسان بقيمته كإنسان، ويحصل على اعتراف الآخرين به، "مسألة نهاية التاريخ هي مسألة مستقبل الثيموس" (فوكوياما(أ)، 1993، ص252). ويستند على تفسيرات "هيجل – كوجيف" في نهاية التاريخ، ويعتبرها مرجعاً رئيسياً في أُطروحته ليبرهن على نهاية التاريخ وظهور الإنسان الأخير، ويصور فوكوياما الإنسان الأخير بأنه الذي يعيش في المجتمعات الديمقراطية الليبرالية، والذي حصل على الاعتراف العام من قبل الدولة.

يقر فوكوياما أن هناك تحديات تواجه الديمقراطية الليبرالية تقوم على أساس صور أخرى للثيموس من الممكن أن تؤدى لحالة عدم المساواة "إن الديمقراطية الليبرالية في المدى البعيد قد

تفسد داخلياً إما بسبب الإفراط في "الميجالوثيميا[1]" أو الإفراط في "الإيسوثيميا[2]" (فوكوياما،1993، ص274).

إن الفرد يسعى للحصول على الاعتراف الذي يوصلنا إلى الإنسان الأخير، أما المجتمع الذي يسعى للرغبة في الاعتراف المتكافئ "الإيسوثيميا" سوف يسقط هذا المجتمع لأن هذه الرغبة الجامحة في الاعتراف سوف تصطدم بحدود الطبيعة، وقد يطمح الفرد في المجتمع للاعتراف بالتفوق على الآخرين "الميجالوثيميا" في ظل الديمقراطية الليبرالية.

وهنا نطرح سؤالاً في ظل وجود هذه الرغبات لدى الأفراد، هل وصل التاريخ لنهايته؟ وظهر خاتم البشر فعلاً؟، يناقش فوكوياما هذه القضايا شارحاً كيف يتجاوزها المجتمع في نهاية التاريخ، سوف نطرح هذه المسألة من خلال عرضها بنقطتين، الأولى: الرغبة في الاعتراف المتكافئ، والثانية: الرعبة بالتفوق على الآخرين.

1.3.3.3 الرغبة في الاعتراف المتكافئ "الإيسوثيميا"

ينتقد اليسار فكرة الاعتراف العام في المجتمع الليبرالي، ويطرح مفكرو اليسار بأن الديمقراطية الحقيقية غير محققة وأن الاعتراف العام في ظل وجود البرجوازية لا معنى له. ولا يخشى فوكوياما نقد اليساريين للديمقراطية، "سيقول النقاد اليساريون إن الوعد بتوفير الاعتراف العام والمتبادل في المجتمعات الليبرالية غير محقق، بسبب عدم المساواة الاقتصادية الناجم عن الرأسمالية الذي يعني بضرورة اعتراف غير متكافئ" (فوكوياما(أ)، 1993، ص253). ولكنه يخشي من انتقاد اليمين، "النقاد اليمينيون يذهبون إلى أن مشكلة المجتمع الليبرالي لا تكمن في افتقار الاعتراف إلى العمومية، وإنما إلى هدف الاعتراف نفسه، حيث إن البشر بطبيعتهم غير متساوين، ومعاملة البشر على أنهم متساوون لا تؤكد إنسانيتهم بل تنفيها" (فوكوياما(أ)، 1993، ص253).

---

[1] الميجالوثيميا: كلمة ذات أصل إغريقي، تعني القوة الغضبية العارمة، ترغب في نزع الاعتراف بالقوة. وتعتبر الميجالوثيميا نوع من "جنون العظمة" (بوعرفه، مايو/ أيار 2013).

[2] الإيسوثيميا: كلمة ذات أصل إغريقي، تعني نزع الاعتراف بالتساوي والندية، وهذه النزعة مطلباً في خطابات الثورات، وغالباً ما تتخذ قيماً أخلاقية، كالكرامة، والاحترام، والمساواة، والعدالة، ويرى فريدريش نيتشه (1844–1900)، هذه القيم بالجوفاء التي صنعها الضعفاء ليحدو من قوة الأسياد (بوعرفه، مايو/ أيار 2013).

إن العوائق الطبيعية أمام المساواة تبدأ بالتوزيع غير المتكافئ للقدرات بين الأفراد، "ليس باستطاعة كل شخص أن يكون عازف بيانو... وليس كل الناس لديهم القدرة على جمع الثروة"(فوكوياما(أ)، 1993، ص253). وهذا يمنع من الوصول إلى الاعتراف المتكافئ لدى الأفراد في المجتمع، إلا أن فوكوياما يطرح بأن المجتمع الحقيقي يعمل على استئصال هذه العوائق، مؤكداً على الأنموذج الأمريكي الذي يمثل مجتمع نهاية التاريخ، ولابد من أمركة[1] العالم كي يصل هذا العالم إلى السعادة البشرية في نهاية التاريخ.

كان من المألوف في الماضي أن ينظر المجتمع إلى المعوقين على أساس أن الطبيعة ظلمتهم، وهم يعيشون مع عاهاتهم لوحدهم، وليس لديهم اعتراف متكافئ بإنسان سويٍ. ويرى فوكوياما المجتمع الأمريكي المعاصر يعمل على حصول المعوقين بالاعتراف وشعورهم بالكرامة، من خلال تعديلات على الحافلات العامة ليتمكنوا من استخدامها، وتخصيص مداخل لهم في المباني العامة، ولم يكن المقصود بكل هذه النفقات من أجل المعوقين لتخفيف من معاناتهم فقط، وإنما المقصود تجنب الإساءة بكرامتهم، وحماية "الثيموس" عندهم من خلال التغلب على عوائق الطبيعة (فوكوياما(أ)، 1993، ص257). أن وصف فوكوياما للمعوقين وحماية حقوقهم الإنسانية داخل المجتمعات الغربية يأتي ضمن حماية "الثيموس" وهذا جيد، إلا أن المجتمعات الغربية تطحن وتمتهن كرامة الإنسان غير المعوق، وقد تصنع له الإعاقة بنفسها من خلال حروبها للشعوب الأخرى، وحتى في داخل تلك المجتمعات لم ينته قضية التميز العنصري سوى من عقود قليلة، وكذلك الفروق الشاسعة بين طبقة المالكين وعامة الشعب.

2.3.3.3 الرغبة بالتفوق على الآخرين "الميجالوثيميا"

حينما يسعى المجتمع إلى الإيسوثيميا من أجل إلغاء كافة الفوارق، سوف تصطدم مع مرور الوقت بنفسها، فلا يمكن إلغاء الفوارق بين القبيح والجميل والتساوي جسمانياً بين إنسان مبتور ساقه وآخر سوي. حيث يقول فوكوياما: "الطبيعة هي حليف لنا، فإن حاولنا أن نخرجها قسراً من الباب فستعود إلى الدخول إلينا من النافذة" (فوكوياما(أ)، 1993، ص273). تحليل فوكوياما للطبيعة يريد أن

---

[1] أمرك Americanize: تعبير أطلقه الشاعر والكاتب الفرنسي بودلير Baudelaire ، وقد طبق الرئيس الثاني والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt هذا المصطلح، والذي كان يريد لأمريكا أن تسود العالم.

يقول لنا بأن السعي وراء الاعتراف المتكافئ يقابله السعي من أجل التفوق على الآخرين، والتوازن في هذه الحالة يمثله الاعتراف العام.

فوكوياما يؤيد وجود أفراد تطلب الميجالوثيميا ويؤيد بذلك فكرة نيتشه1 (1844–1900)، بأن الميجالوثيميا شرط ضروري للحياة ذاتها. ويرى بأن الحضارة التي لا يوجد بها فرد يرغب بنيل الاعتراف بتفوقه على الآخرين، ولا تؤيد مثل هذه الرغبة، لن يكون بها غير القليل من الفنون والآداب والموسيقى والحياة الفكرية، وكذلك سوف ينعكس على السياسة والاقتصاد، وسوف تكون هذه الحضارة عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد الحضارات التي تعرف قدراً أكبر من الميجالوثيميا (فوكوياما،1993، ص274). إن فكرة نيتشه عن الميجالوثيميا تأتى من خلال تحليله للصراع من أجل المنزلة الخالصة للعبد الظافر، يرى بأن الصراع يقوم بين السادة وقيمهم مقابل العبيد وقيمهم، ورغم كثرتهم إلا أن الصراع يؤدي إلى نصرة القلة "الحكام" السادة وقيمهم أمام الكثرة "المحكومين"، وفي نهاية الصراع يظهر العبد الظافر والذي يطلق عليه الإنسان السامي "سوبرمان" (الجابري، 2013).

يؤكد فوكوياما بأن الرغبة بالتفوق ضروري في الديمقراطية الليبرالية، رغم غموضها أخلاقياً فقد ينبع منها الشر أو الخير في آن واحد. "الديمقراطية الليبرالية تحتاج إلى الميجالوثيميا ولن تقوم لها قائمة على أساس من الاعتراف العام والمتكافئ وحده"، إن سلامة واستقرار الديمقراطية يعتمد على نوعية الميجالوثيميا المتوفرة لدى المواطنين في الدولة (فوكوياما(أ)، 1993، ص275). يحاول فوكوياما أن يتجاوز الأُطروحات السابقة لكي يصالح بين مبدأي الثيموس "الميجالوثيميا والإيسوثيميا"، وأن التاريخ في رأيه لا يعرف غايته ولا نهايته إلا بتصالحهما، إذ يصبح الاعتراف بالتساوي مساوياً للاعتراف بالتفوق، عندما يسود العالم نظام أمثل، يتجلى في النظام الديمقراطي الليبرالي؛ كنظام سياسي في الحكم (بوعرفه، مايو/ أيار2013). يناقش فوكوياما مسألة نزع الاعتراف المتكافئ، ونزع الاعتراف بالتفوق، ويسقط هذه النزعات على الحياة العامة في الديمقراطية الليبرالية، ولم يعطِ اهتمام للاعتراف المتكافئ، بل وأولى اهتمامه بالاعتراف بالتفوق، وجعل منه مبدأ ضرورياً في النظام

---

[1] فريدريش نيتشه Friedrich Nietzsche (1844-1900): فيلسوف ألماني من أشهر فلاسفة القرن التاسع عشر، حول نيتشه الفكر الحديث من ميتافيزيقا العقل بعد موت هيجل إلى ميتافيزيقا الجسد والإرادة والدوافع، فأثر على تيارات عديدة في فلسفة الحياة "فلسفة الوجود، علم النفس الوجودي، الأنثروبولوجيا الفلسفية، التحليل النفسي" وأردا أن يجعل من علم النفس طريقاً لحل المشكلات الأساسية الكبرى في العالم. وله العديد من المؤلفات وأهمها: "هكذا تكلم زرادشت"، و"حياة المسيح"، و"فيما وراء الخير والشر"، و"أصل نشأة الأخلاق" (جعفر، 1999، 15–28).

الديمقراطي الليبرالي الذي ينظر له. ويضرب لنا فوكوياما أمثله عن نوعية التفوق المطلوبة من الأفراد الطامحين لها، حيث يمكن رؤية صور التفوق في كل النشاطات العامة دون النظر للمجال الاقتصادي أو السياسي"، الرياضة، وتسلق الجبال، وسباق السيارات، وما شابه، فالتنافس الرياضي لا معنى له ولا هدف إن لم يفوز البعض ويخسر البعض" (فوكوياما(أ)، 1993، ص277).

من خلال عودته للنموذج الأمريكي، وكيفية تعامله مع الميجالوثيميا، يؤكد على دور الاعتراف بالتفوق للسياسيين، وأن هذا الاعتراف محكوم بقوانين تنظيمية وقيود على سلطة السياسيين بموجب الدستور. "الحضارة التي ليس بها فرد يريد نيل الاعتراف بتفوقه على الآخرين، والتي لا تؤكد بصورة أو بأخرى صحة مثل هذه الرغبة وفضلها، لن يكون بها غير القليل من الفنون والآداب والموسيقى والحياة الفكرية، وسوف يكون حكامها خالين من الكفاءة... ولن تكون قادرة عن الدفاع عن نفسها ضد الحضارات التي تعرف قدراً أكبر من الميجالوثيميا" (فوكوياما(أ)، 1993، ص274). إن التأكيد على تفوق النظام الديمقراطي الليبرالي كأفضل النظم السياسية الذي يمثل نهاية التاريخ، متمثلاً في النموذج الأمريكي، ينظر فوكوياما على أن تكون أمريكا متفوقة اقتصادياً وسياسياً، كإمبراطورية عالمية في النظام العالمي الجديد.

4.3 المبحث الثالث: فلسفة التاريخ عند فوكوياما

تنبأ فوكوياما بنهاية التاريخ وسقوط الايديولوجيات السياسية، وعدم حاجة الانسان لصياغة أفكار سياسية جديدة لحياته في ظل وجود الديمقراطية الليبرالية، وقد حدد فوكوياما طبيعة الإنسان وأسلوب حياته في نهاية التاريخ، وهى اجتياز الدول الليبرالية للتاريخ ووصولها لما بعد التاريخ، واضعاً تصوراً لهذه الحياة التي يعيشها الانسان، بعد عرض فرضياته، أعلن بأن المجتمع الليبرالي استطاع حل كافة التناقضات بين الطبقات، وحصول الفرد على الاعتراف وتقدير الذات في المجتمع، من خلال نظام الحكم الديمقراطي ومؤسساته السياسية، وقد حدد فوكوياما معالم حياة الإنسان في نهاية التاريخ، من خلال حياته في الدولة العامة والمتجانسة وكذلك العلاقات بين الدول، وحرية الإنسان التي وصل إليها في دولة نهاية التاريخ.

1.4.3 العقل وفلسفة التاريخ

هناك اختلافات فكرية بين أفلاطون وهيجل وماركس من جانب، وفوكوياما من جانب آخر، ولا نستطيع في سطور مناقشة كافة الاختلافات الفكرية لديهم بشكل عام، وإنما نبحث في عقل الإنسان الأخير، من خلال أُطروحة فوكوياما وكيف فلسف العقل والوعي في نهاية التاريخ.

إن أفلاطون كان يعني بالوظيفة الثالثة للثيموس "الغضب" بجانب "الميجالوثيميا والإيسوثيميا"، والغضب كان له دور عند أفلاطون، ليتمكن من الفضيلة والأخلاق ويساعد العقل على مواجهة صعوبة الحياة. يقول أفلاطون: "ألا يوجد في النفس قسم ثالث هو الغضب يساعد بالطبع العقل عندما لم يكن قد فسد بتربية غير صالحة" (عروسي، 2002، ص107). أي أن يغضب الإنسان لنفسه ولوعيه كي يكون إنساناً صالحاً ذا عقل واعٍ. كرس هيجل فلسفته التاريخية على فكرتي "المعقولية والغائية" في كتابه "العقل في التاريخ" فغائية التاريخ هي دراسته من خلال الفكر. فالعقل هو الذي يميز الإنسان عن سائر المخلوقات، والعقل هو الذي يسيطر على العالم، وأن تاريخ العالم يتمثل أمامنا بوصفه مساراً عقلياً (سليمان، 2000، ص11).

إن فكر هيجل ليس مبسط ينظر إلى الأشياء متفرقة وفي تتابع يخل بعلاقاتها ووحدتها، فهو على حد تعبير ألكسندر هرتزن[1] Alexander Herzen (1812–1870)، "كان آخر النجوم اللامعة بين المفكرين"، إن ذهن هيجل يستطيع أن يلتقط الأشياء في ترابطها وتعانقها وتشابكها وتعقدها، ويستطيع في الوقت نفسه أن يحافظ في عرضه على الترابطية والمعانقة والتشابكية والتعقيد، كان يفكر دائما ولديه حس بالأضداد شأنه شأن هيرقليطس[2] Heraclitus (مجاهد، 1985، ص15). وقد أنطلق هيجل في فلسفته من الواقع الألماني، أما فوكوياما فقدم تحليلات جزئية محاولاً ربط هذه التحليلات ليكون نظرية فكرية جوهرها نهاية الفكر السياسي، وقد أنطلق في تحليلاته وفقاً لمعتقدات الآخر "الاشتراكية" ولم ينطلق من قضايا مجتمعه وتصوراته لمجتمع عالمي.

---

[1] ألكسندر هرتزن Alexander Herzen: ديمقراطي ثوري روسي ومفكر مادي، مؤسس الحركة الشعبية "نارودنيك" في روسيا، قام ببحث هام في التفسير لجدل هيجل، سمي فيما بعد "جبر الثورة"، وقد اعترف لنين أن هرتزن "وصل دفعة واحدة إلى المادية الجدلية" (القاضي، 2004، ص222).

[2] هيرقليطس Heraclitus (535–475 ق.م): فيلسوف يوناني، قبل سقراط، كان من الأسرة الحاكمة "الارستقراطية".

لقد تبني هيجل "الثيموس"، ولكن ليس معزولاً عن بقية قوى النفس وخاصة منها الوعي، ولم يرَ فوكوياما في العملية الجدلية عند هيجل سوى صورتها البسيطة التي استعارها هيجل من أفلاطون، كما أن هيجل استخدم العقل بجانب الثيموس (عروسي، 2002، ص107). ويرى عبد الحميد الصالح "فكرة نهاية التاريخ، تناقض الأفكار التي سبق أن طرحها هيجل، حين ربط التاريخ بين التاريخ والعقل؛ فالعقل لا يجد مجاله إلا في التاريخ، وخروج العقل من التاريخ يعني موت العقل، كما أن نهاية التاريخ هي الأخرى تمثل نهاية العقل وموته ذلك أن العقل يسعى دائما إلى الكمال... التاريخ يقود للفكرة المطلقة من خلال الصراع الجدلي بين الأفكار والمتناقضات" (الصالح، 1997، ص77).

تمحورت فلسفة التاريخ عند كل من هيجل وماركس في الصراع التاريخي من أجل نيل الاعتراف بالإنسان ونيل حقوقه الإجتماعية والسياسية، فكان هناك اختلافا في التفسير والتقاء في الغاية. حيث يرى هيجل أن المجتمع يقوم على صراع الأفكار بين الطبقات الإجتماعية المتناقضة، والتي ينتج عنها حالة جدلية تنهار الطبقة الأضعف وتنتصر الأقوى، مكونة حالة جدلية أخرى يكون فيها تناقضاتها الفكرية والتي تنتقل هي الأخرى لحالة جديدة "الديالكتيك الهيجلي"، بمعني آخر الصراع الفكري في المجتمع يؤدى إلى حل التناقض القديم وقيام طبقات اجتماعية جديدة فيها تناقضاتها، وينتهى التاريخ عند هيجل بحل كافة التناقضات. وقد أوضح هيجل فلسفته للتاريخ حينما تحدث عن تاريخ الحضارات، فقد نظر بدءً من الحضارات الأولي حينما كان المجتمع مكون من ملك وعبيد "الملك الإله والناس عبيد"، ثم انتقل المجتمع إلى "الملك مفوض بالسلطة وسادة وعبيد"، إلى أن وصل المجتمع إلى "ملك وإقطاع وعامة الناس" وهكذا. وكانت عناية هيجل بالتاريخ محور فلسفته السياسية والاجتماعية فدرس تاريخ الحضارة الغربية وتاريخ الأديان وتاريخ الفلسفة وتاريخ القانون، والذي أكدته فلسفه هيجل هو المنهج التاريخي حين أصبح التاريخ على يديه منهجاً لدراسة كل هذه النظم الفكرية. فقد افترض هيجل أن تاريخ الإنسانية قد تطور من الصور الناقصة للحرية إلى الصور الأكثر اكتمالاً وتقدما "صراع الأفكار" (مطر، 1995، ص84-88). وفلسفة التاريخ عند هيجل لا تفهم إلا على أساس هذا التطور الديناميكي للحرية، ففي العالم الشرقي القديم لم تتحقق حرية واعية لدى الأفراد، وفي العالم اليوناني والروماني تحققت صورة أكمل من الحرية لدى عدد أكبر من الأفراد، ولكن في العالم الجرماني تحققت أكمل صور الحرية (مطر، 1995، ص88).

أما فلسفه التاريخ عند كارل ماركس ارتكزت على "المادية الجدلية"، حيث يرى ماركس أن المجتمع يقوم على الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية. إن التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الإنساني، وهذه القوانين حتمية، أي أنها تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه، وهذه القوانين ليست مثل قوانين العلوم البحتة وإنما هي حقائق متعلقة بطبيعة العمل والإنتاج وطريقة توزيع الثروة بين المواطنين، فإن الثروة تنتج عن العمل، والعمل يقوم به من يعملون بأيديهم فلابد أن تعود ثمرته حتماً إلى أولئك العاملين أنفسهم، فإذا استولت عليه البرجوازية اختل توازن المجتمع (فهد، 2010، ص38). الاقتصاد عند ماركس هو الذي يحدد طبيعة المجتمع ونظامه السياسي وطبيعة عقيدته الدينية والفنية والفكرية، فقد أرجع كل الأسباب والعلل في المجتمع إلى العامل الإقتصادي.

إن فلسفة ماركس للتاريخ تتبع نظرية الصراع، الذي رفض نموذج التوازن في المجتمع باعتباره أساساً لفهم المجتمع المعاصر (الفرا، 2004، ص29). وكذلك هيجل رفض التوازن في المجتمع واعتبر نهاية التناقض هي نهاية التاريخ. أما فوكوياما الذى أنهى التاريخ بحصول الفرد على الاعتراف الكامل بإنسانيته، وبالتالي رضا كافة الطبقات الإجتماعية بمكانتها وحصولها على حقوقها الاجتماعية والسياسية، وأن الفكر الإنساني لن ينتج أي أفكار أفضل من الليبرالية الديمقراطية، وكذلك أقر فوكوياما بوجود حالة من التوازن في المجتمع بين الاعتراف المتكافئ والاعتراف بالتفوق، وبذلك وصل التاريخ إلى نهايته بحل كافة التناقضات في المجتمع وأعلن عن نهايته. وبهذا تكون فلسفة التاريخ عند فوكوياما مختلفة في جوهرها عن تفسير وفلسفة هيجل وماركس للتاريخ.

فيما يفسر عبد القادر بوعرفه الفرق بين فلسفة التاريخ عند أفلاطون وهيجل وماركس من جانب، وفلسفة التاريخ عند فوكوياما من جانب آخر قائلاً: "إن فكرة النهاية عند فوكوياما مبنية على الفكر الأسطوري وليست على الفكر العقلاني، فهي فكرة تغييب العقل والوعي، وهي تسعى لجعل غاية التاريخ مرتبطة بتحقيق شهوة عقيمة تمليها الميجالوثيميا "الاعتراف بالتفوق"، إن محاولة تهيئة العالم لقبول فكرة انتصار الغرب، لا يخرج عن محاولة للإنسان الغربي من أجل انتزاع التفوق الوهمي من الآخر (بوعرفه، مايو/ أيار2013). أما مطاع الصفدي فيرى أن فوكوياما استخدم الفلسفات السابقة متماشياً مع أطروحته تاركاً سواها، "براهين فوكوياما المتعلقة بالثيموس، تحتوي على تناقضات

صارخة، في الوقت الذي يؤكد فيه على الثيموس عند الإنسان، يصرف النظر عن القبول والرفض لهذا الثيموس المتمثل بالعقل، ويعتبر الثيموس وحدة هو محرك التاريخ وليس العقل، ويؤكد فوكوياما بأن مبدأ الصراع الفردي والجماعي يتمثل في الاعتراف وتأكيد الذات، لكنه في نفس الوقت يكون سبباً للصراع والاقتتال" (فوكوياما(ب)،1993، ص8). لم يكن العقل والوعي المطلق بالتاريخ هو محور أطروحة فوكوياما، بل الثيموس ومبادئه، التي نظر لها، وكانت متمثلة في الولايات المتحدة، كدولة فوقية معترفٍ بتفوقها.

2.4.3 الحرية والمساواة في نهاية التاريخ

إن التاريخ في مساره وتحولاته يحمل التقدم المستمر، وقد تساءل فوكوياما "هل يمكن كتابة تاريخ عالمي؟"، وأجاب بنعم، وذلك لأن التاريخ غائي وتحولاته أخذت البشرية إلى التقدم، وهذا التقدم يأخذ بشكل أو بآخر نحو الديمقراطية. وذلك بفضل مبادئ وخصائص الديمقراطية الليبرالية التي تقوم عليها كالحرية والمساواة.

وكتب فوكوياما التاريخ العالمي من خلال مسارين تاريخيين متوازيين، الأول: تطور العلوم الطبيعية الحديثة "الرغبة"، والثاني: الصراع من أجل نيل الاعتراف "الثيموس". ويؤكد على نهاية التاريخ قائلاً "لقد كانت نهاية المسارين واحدة لحسن الحظ، ألا وهي الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية" (فوكوياما(أ)، 1993، ص252). المساواة السياسية في المجتمعات الغربية تضمنها وتكفلها الدساتير، وكذلك من خلال الممارسة العملية للديمقراطية، أما المساواة الاقتصادية فهي من القضايا الشائكة في تلك المجتمعات بسبب توحش رءوس الأموال والشركات المتعددة الجنسيات.

ويحاول فوكوياما من تهميش معضلة المساواة الاقتصادية قائلاً: "دينامية الاقتصاديات الرأسمالية تميل إلى الإطاحة بالكثير من العوائق التقليدية والثقافية في سبيل المساواة بفضل التغير الدائب في طلبها للأيدي العاملة" (فوكوياما(أ)،1993،ص254). ولو كان ما يطرحه فوكوياما صحيحاً، لماذا توجد نسب بطالة عالية في الدول الليبرالية في الوقت الراهن؟، ولو كانت المساواة الاقتصادية متساوية في المجتمعات الليبرالية لما كانت نسب بطالة عالية ومختلفة في تلك المجتمعات، وخاصة في ظل الأزمة المالية العالمية.

وعلى ضوء تحليلاته للمساواة الاجتماعية، يقر فوكوياما بأن المجتمعات الليبرالية، تحمل في آثارها الاجتماعية مساواة عالية لكل أفرادها من خلال الأنشطة الاجتماعية المختلفة، فهي تقدر المواهب لا الامتيازات، والمجتمعات الديمقراطية تنظم النشاط التجاري والصناعي، لتعيد توزيع الدخل بين الغني والفقير. ويؤكد فوكوياما على النموذج الأمريكي لما يقدمه للشعب من الضمان الاجتماعي والصحي. وإن محصلة المساواة الاجتماعية صنعت ما يسمى بمجتمعات الطبقة المتوسطة. "لم يعد هناك اليوم غير القليلين من نقاد المجتمعات الليبرالية المستعدين للمطالبة بالتخلي الكامل عن المبادئ الليبرالية، سواء في حقل السياسة أو الحقل الاقتصادي... من أجل التغلب على عدم المساواة القائم في مجال الاقتصاد" (فوكوياما(أ)، 1993، ص256).

ويعطي فوكوياما دليلاً آخر للمساواة في المجتمعات الليبرالية قائلاً: حب المساواة في الدول الديمقراطية عاطفة أعمق وأثبت من حب الحرية، إذ يمكن نيل الحرية دون ديمقراطية، أما المساواة هي الخاصة المميزة للعصور الديمقراطية (فوكوياما(أ)، 1993، ص257). لا ينتقص فوكوياما من حرية الفرد، إلا أنه يدلل هنا على قبول المجتمع للمساواة رغم عدمها في الجانب الاقتصادي، وإن الطبقات في المجتمع الليبرالي راغبة بمبادئ الديمقراطية بكافة صورها وأشكالها.

3.4.3 الدولة والعلاقات الدولية في نهاية التاريخ

يطرح فوكوياما في نهاية أطروحته شكل الدولة ونظام الحكم الذي توصل إليه عبر تطور التاريخ الغائي، ومن ثم يطرح شكل العلاقات الدولية بين الدول في نهاية التاريخ، ويضع تصوراً لتلك العلاقة بين الدول بعد تحديد العلاقة بين الأفراد في الدولة وحصولهم على الاعتراف المتبادل.

1.3.4.3 الدولة في نهاية التاريخ

يصف هيجل الدولة العامة المتجانسة فيقول: "الدولة هي المعقول في ذاته ولذاته، من حيث أنها الحقيقة الواقعية للإرادة الجوهرية، تلك الحقيقة التي هي تملكها في الوعي الذاتي الخاص مرفوعة إلى كليتها. وهذه الوحدة الجوهرية هدف في حد ذاته، مطلق، ثابت، فيه تصل الحرية إلى حقها الأسمى، كما أن هذا الهدف يملك الحق الأسمى تجاه الأفراد الذين من واجبهم الأسمى هو أن يكونوا أعضاء في الدولة" (بدوى، 1996، ص165). يؤكد هيجل على أن الدولة مهمتها الحفاظ على

الأفراد، وتأمين حماية الملكية الخاصة والحرية الشخصية، لذلك فإن مصلحة الفرد أن يكون عضواً في الدولة.

الدولة العامة عند هيجل هي الدولة المتجانسة التي تحقق التسوية التامة للتناقض القائم في العلاقة بين السيد والعبد، وهذه الدولة تجعل العبد السابق سيد نفسه، ولن يعود السيد معترفاً به من كائنات أقل منه درجة، وسوف يكون كل فرد حر (فوكوياما(أ)، 1993، ص262). فوكوياما يستند على فلسفة هيجل ليؤكد على الدولة في نهاية التاريخ ويختلف مع ماركس ونيتشه حول تصورهم لنهاية التاريخ، ففي فلسفة النهاية عند ماركس وهيجل سوف يكون هناك اعتراف عام لدى الأفراد، إلا أن ماركس يرى بأن هذا الاعتراف العام لا يمكن أن يتحقق في ظل وجود الطبقات الاجتماعية.

ماركس يتفق مع هيجل بإمكانية انتهاء التاريخ مع اختلافهما في نوع المجتمع الذي يؤول إليه التاريخ فالدولة بالنسبة لماركس فشلت في حل الصراع الطبقي بين البرجوازية والبروليتارية مؤكداً على أن الدولة الليبرالية لا تمثل شمول الحرية بل انتصارها لطبقة البرجوازية، إن الدولة التي نظر لها ماركس هي الدولة غير السياسية (العلوي، 2005، ص73). وينتقد فوكوياما فلسفة نيتشه ويعتبرها عدواً صريحاً للديمقراطية، وللاعتراف العام الذي تقوم عليها، ونظر نيتشه إلى أخلاق جديدة تنتصر الأقوياء على الضعفاء، وتزيد اللامساواة الاجتماعية، ويرى نيتشه بأن نوعية الاعتراف أهم من عموميته، وجوهر خاتم البشر عند نيتشه هو العبد الظافر (فوكوياما، 1993، ص263-266). فلسفة نيتشه تبحث في التاريخ من خلال الأخلاق، فالتاريخ كله عند هذا الفيلسوف يسير مدفوعا بإرادة الظفر خلال قوة لا تعرف الرحمة، سعى نيتشه من وراء ذلك إلى ممارسة عملية الهدم ليتسنى له البناء، فجاء ملخص رأيه في العبارة التالية: "قيمة الأشياء ليست في ذاتها، وإنما الإنسان هو الذي يصنع القيم للأشياء، فخالق القيم إذن هو الإنسان" (الجابري، 2013).

إن فلسفة هيجل تحققت عبر سياستين كبيرتين ومتعارضتين تمام التعارض في القرن العشرين، سياسة الدولة الشمولية، وسياسة الدولة الديمقراطية الغربية من ناحية أخرى. السياسة الهيجلية أصبحت واقعاً تاريخياً من خلال الستالينية، فالستالينية كمنظومة عملية أثبتت حقيقة فلسفة هيجل ولم تثبت نظرية ماركس حول دور الدولة، فهيجل مسئول عن قيام الدولة الشمولية الستالينية في القرن العشرين (غالى، 2002، ص256). واليوم يسعى فوكوياما بتحقيق فلسفة هيجل سياسياً في أطروحته، مستنداً على فلسفته المتماشية مع نهاية التاريخ التي يرغب فيها فوكوياما، وليس كما

يطرح هيجل، وكذلك لم يعود إلى هيجل مباشرة، لقد استند على "هيجل – كوجيف" لإعطاء الأطروحة طابعاً فلسفياً.

ينظر فوكوياما إلى الدولة بأنها: "الدولة العامة والمتجانسة التي ستظهر في نهاية التاريخ باعتبارها قائمة على أساسين: الاقتصاد والاعتراف" (فوكوياما(أ)، 1993، ص184)، والتي تستند على النظام السياسي الليبرالي، والتي صمدت عبر تاريخها على غيرها من النظريات السياسية. فيما يرى مطاع الصفدي إن فكرة كمال التاريخ وعلى النطاق العالمي عبر الحكومة الشمولية المنسجمة، تقبلها في منطق هيجل وتطور التاريخ عبر حل كافة التناقضات، لكنها تظل الشعار الذي يستخدمه فوكوياما، لجعل التاريخ ينتهي عند أمريكا، وهنا يظهر "الفخ الأيديولوجي" (فوكوياما(ب)، 1993، ص10). هذا بالإضافة إلى أن الانتصار الذي يتحدث عنه فوكوياما قائما على صمود الأيديولوجيا الرأسمالية أمام الاشتراكية، فيما لو قامت الاشتراكية من جديد أو أيديولوجيا أخرى. هل سوف يبقى هذا الانتصار والنهاية؟، إن نجاح الرأسمالية لابد وأن يكون من الداخل، والتجانس في الدولة بين الطبقات بالاعتراف العام والرضى العام.

2.3.4.3 العلاقات الدولية في نهاية التاريخ

تؤكد فلسفة فوكوياما بأن التاريخ غائي وتطوره النهائي أوصلنا إلى الدولة الديمقراطية ومؤسساتها السياسية والاجتماعية، وهذه الدولة المتجانسة التي يحصل كل أفرادها على الاعتراف العام والمتبادل، سوف تنعكس نتائجها على العلاقات بين الدول في النظام العالمي، "فلو كان تحقيق الدولة العامة والمتجانسة يعني ترسيخ الاعتراف العقلاني على مستوى الأفراد في مجتمع معين... فإن انتشار هذا النوع من الدولة في النظام العالمي للدول سيعني انتهاء علاقات السيد بالعبد بين الدول أيضاً، أي نهاية الإمبريالية، وسيقلل احتمال نشوب الحروب بسبب الامبريالية" (فوكوياما(أ)، 1993، ص217).

وينتقد فوكوياما النظرية الواقعية[1]، والتي تعتبر الإطار الغالب لفهم العلاقات الدولية المعاصرة، ويرفض النظرية، لأن العالم يتمتع بازدواجية من وجهة نظره فيقول: "تتمثل الازدواجية في انتصار

---

[1] الواقعية Realism: هي مقاربة الواقع كما هو عليه، بموضوعية دون تدخل الذات، من حيث أن جهاز إدراك الواقع ورؤيته متحقق في نفس الذات، فإن الذات هي التي ترى الواقع في النهاية. ومن حيث الممارسة العملية أي التدخل في حيثيات الواقع وتغييره، فإن الواقعية تعنى الانطلاق في اتخاذ القرار السياسي، يوصف بالمتغير والأقل تطرفاً، أي يتجنب الاصطدام بالواقع، والاحتيال على هذا الواقع

الدولة العامة مع استمرار اختلاف الشعوب، فمن ناحية نلمس تجانس البشرية الناجم عن الاقتصاديات الحديثة والتكنولوجيا، وانتشار فكرة الاعتراف العقلاني باعتبارها الأساس الوحيد للحكم في العالم، غير أننا نلمس من ناحية أخرى مقاومة في كل مكان لهذا التجانس، والتأكيد على الهويات الثقافية المختلفة مما يعزز الحواجز المختلفة بين الأمم والشعوب" (فوكوياما(أ)، 1993، ص216). الليبرالية تسعى لتعميم مبادئها وقيمها على العالم، ويأتي فوكوياما ويؤكد على ذلك من خلال أطروحته لنموذج الدولة الأمريكية وتعميمه في دول العالم، وحينما تعمم هذه الدولة سوف تصبح كافة دول العالم هي دول عقلانية متجانسة، فهو يدعو لنشر قيم ومبادئ الديمقراطية الليبرالية في العالم.

ويفرق أحمد أبو زيد بين المدرسة "الواقعية" و"المدرسة الليبرالية"، من خلال دراسة وتفسير الدولة وتأثيرها في العلاقات الدولية. المدرسة الواقعية ترى: "الدول تتحرك في الأساس من أجل توفير الأمن، الذي يعرف لديهم في إطار القوة المادية والمصالح والمكانة الدولية، وأساس اهتمامها هو الأمن والاستقرار الداخلي"، بينما المدرسة الليبرالية ترى: "أن الدول يحركها إيمانها بالعمل لضمان الحرية والقيم الانسانية، وتهتم في الأساس بتصدير نموذجها السياسي، وقيمها ومبادئها "الأيديولوجيا" إلى المحيط الخارجي" (أبو زيد، 2012، ص60:61).

ويرد الفيلسوف جاك ديريدا (1930-2004)[1] على طرح فوكوياما من خلال الواقع الفعلي للسياسة في أوروبا مع بداية القرن الحادي والعشرين، بعدم الوصول للدولة العامة والمتجانسة قائلاً: "كل الشهادات التي تظهر بكثافة أنه لا الولايات المتحدة ولا المجموعة الأوروبية لم يصلوا إلى كمال الدولة العالمية أو إلى الديمقراطية الليبرالية، وأنهم لم يقتربوا منها ولو من بعيد، إذا جاز لنا قول ذلك. وكيف نتجاهل الحرب الاقتصادية التي تحرق الأخضر واليابس بين هاتين الكتلتين في

والانسجام مع الظروف الراهنة بما لا ينعكس سلباً على الذات (قبيسي، 2008، ص71). وتشدد المدرسة الواقعية على أن الدول القومية هي الفاعل الرئيسي في السياسة الدولية، في ظل وجودها في نظام دولي فوضوي تنافسي، تحكمه الصراعات والتنافس بي وحداته، ولا توجد سلطة عليا تمارس ضغوطا على الحكومات الوطنية وإرغامها على تبني سياسات بعينها، ولا تهم الدول سوى بتحقيق وضمان أمنها من خلال حيازتها على القوة المادية (أبو زيد، 2012، ص49).

[1] جاك ديريدا Jacques Derrida (1930-2004): فيلسوف فرنسي من مواليد الجزائر، وصاحب نظرية التفكيك، وكان من أشد المعارضين لأطروحة فوكوياما، ورد على أُطروحة فوكوياما في كتاب بعنوان "أطياف ماركس"..

داخل المجموعة الأوروبية؟ وكيف نقلل من شأن صراعات الأقمار الصناعية، وكذلك الحرب الاقتصادية بين الولايات المتحدة واليابان" (ديريدا، 2006، ص125).

هناك عدة دراسات ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة بشكل لافت للنظر، وهذه الدراسات تحدثت عن الشكل الذي سوف يقوم عليه النظام الدولي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، وانتصار الولايات المتحدة الأمريكية، مما جعلها المهيمن على النظام الدولي، ومنها طروحات فوكوياما وهانتنغتون. ويرى خليل حسن بأن هذه الدراسات منقسمة إلى قسمين، الأول: يرى بأن الولايات المتحدة لابد أن تقوم بدور "الإمبراطورية الطيبة Benevolent Empire"، بعد تقلدها لمنصب القطب الواحد على الساحة الدولية، أما القسم الثاني: يرى بأن الولايات المتحدة جزءً لا يتجزأ من نظام عالمي يقوم على الاعتماد المتبادل وبخاصة في المجال الاقتصادي، باعتبار أن عناصر القوة التي تتميز بها الولايات المتحدة الامريكية ليست دائمة (حسين، 2011، ص635). فوكوياما في أطروحته جعل من الإمبراطورية الأمريكية النموذج العالمي الذى لابد لدول العالم أن تطبقه، أي أن تأخذ النظام الديمقراطي الليبرالي بكل مبادئه. بينما يرى ريتشارد هاس[1] Richard N. Haass بأنه لابد من بلورة نظام دولي يتصف بالتعددية، والتي بالرغم من أنها تحد من نفوذ الولايات المتحدة، إلا انها سوف تؤدي إلى تحقيق مصالح الولايات المتحدة بشكل أفضل (حسين، 2011، ص635).

3.3.4.3 فوكوياما وتقسيمات العالم

قسم فوكوياما العالم إلى قسمين، الأول: عالم ما بعد التاريخ، وهي الدول التي تعتمد النظام السياسي الديمقراطي الليبرالي، أما الثاني: دول التاريخ، وهي الدول التي لم تتجاوز نهاية التاريخ، والتي لا تطبق النظام السياسي الديمقراطي الليبرالي. ويرى فوكوياما بأن الديمقراطية الليبرالية هي قمة الصعود إلى نهاية التاريخ، فهي خالية من التناقضات التي أدت إلى فشل النظم الأخرى، ولذلك هي غير مؤهلة للسقوط كسابقاتها من الأيديولوجيات (العلوي، 2005، ص80)."لا تزال سياسة القوة هي السائدة بين الدول التي لا تأخذ بالديمقراطية الليبرالية، وسيؤدى التأخر النسبي في وصول

[1] ريتشارد هاس Richard N. Haass: هو رئيس مجلس العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة الامريكية، وشغل هذا المنصب في 2003، وعمل مستشاراً أول لوزير الخارجية "كولن باول"، وقد عمل في عدة مناصب حكومية، من أبرزها أنه كان مساعد خاص للرئيس جورج بوش في الفترة ما بين(1989–1993)، وله عدة مؤلفات من أهمها "حرب الضرورة، وحرب الاختيار: مذكرات حربين عراقيتين". للاستزادة راجع موقع مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

التصنيع والقومية في دول العالم الثالث، إلى اختلاف حاد بين سلوك الكثير من دول العالم الثالث من جهة، وبين سلوك الديمقراطيات الصناعية من جهة أخرى. وسينقسم العالم في المستقبل المرئي إلى شطر قد تخطى التاريخ، وشطر لا يزال غارقاً في التاريخ" (فوكوياما(أ)،1993،ص242). فوكوياما يريد أن يؤكد بأن الصراعات والحروب سوف تكون مقترنه بالعالم الثالث، لأن هذا العالم مازال يتخبط في التاريخ، وسوف يكون التنافس اقتصادي بين الدول الأوروبية التي تخطت التاريخ، ولكن منطق السلم هو الذي سيطبع العلاقات بين الدول الديمقراطية الليبرالية (محمود، 1992، ص135).

يحاول فوكوياما فلسفة انهيار الكتلة الاشتراكية وانتهاء الحرب الباردة تاريخياً، وإعلان انتصار الديمقراطية الليبرالية بأنها نهاية التاريخ، وأن سيادة الغرب الديمقراطي الليبرالي باتت نهائية ولا مجال لتغييرات جذرية عميقة في التاريخ القادم للإنسان، ولن تعدو التغيرات القائمة أن تكون إلا تفاصيل أو فرصة للشعوب الأخرى للاستجابة والتمثل للنموذج النهائي (عطوان، 2009، ص32). وكان ذلك بمثابة التأسيس الأيديولوجي للنظام العالمي الجديد، كما نظر له فوكوياما في نهاية التاريخ.

يؤكد فوكوياما الفصل بين العالمين، "هذا الخط الفاصل ما بين العالم التاريخي والعالم ما بعد التاريخي، يتغير بسرعة فإنه من الصعب تحديده، فالاتحاد السوفيتي يتنقل من معسكر إلى معسكر آخر، وسيؤدي تقسيمة إلى دول تنجح في الانتقال إلى الديمقراطية الليبرالية، ويفشل بعضها الآخر"(فوكوياما(أ)، 1993، ص242). فوكوياما وبجزمه التقسيمي، يعبر عن نزعة تحقيريه للآخر، إن هذه الحتمية التي فرضها لدول التاريخ وما بعد التاريخ، تؤكد قيادة الشمال وطليعته وتقدمه، وتترسخ في المقابل تبعية الجنوب، وتجبره على المرور بمراحل الغرب التاريخية، فهي مضطرة إلى ذلك كي تصل لذروة التقدم التي وصلها الغرب، ما دام العالم سيغدو عالمين (عروسي، 2002، ص120). ويؤكد فوكوياما بأن العالمين قائمان جنباً إلى جنب، ولكنهما منفصلان. وقد يكون بينهما تفاعل ولكن هذا التفاعل في حدود ضيقة، وأهم هذه المحاور التي قد يشترك بها العالمان، هو النفط، لأنه لا يزال مركزا في العالم التاريخي، أما القضية الثانية التي يشترك بها العالمان الهجرة السكانية (فوكوياما(أ)، 1993، ص243). النفط يعتبر نقطة أساسية في الاقتصاد الليبرالي الذي نظر له

فوكوياما، فالاقتصاد سوف يكون محور التنافس لا السياسة في العالم ما بعد التاريخي، فهو يؤكد على اقتصاد السوق والعولمة[1].

وأخيراً يعطي فوكوياما صورة للنظام العالمي الجديد وللبشرية أثناء تطورها التاريخي، "لن تكون البشرية عندئذ ألف زهرة تتفتح في صور وأشكال متباينة"، بمعنى آخر لن يكون هناك أنظمة حكم مختلفة بل نظام واحد، وتتمثل رؤيته لنهاية التاريخ في العبارة التالية:

"البشرية ستكون بمثابة قافلة طويلة من عربات متشابهة. قد يتجه بعض العربات صوب المدينة في حركة حادة ومفاجئة، وقد يعود بعضها إلى الصحراء، وقد تتعطل عجلات بعضها أثناء صعودها الجبال.... وقد تتعب عربة أو عربتان من الرحلة فيقرر ركابها الإقامة الدائمة في معسكرات على الطريق. وقد يجد آخرون طرقاً بديلة إلى الطريق الرئيس، رغم أنهم سيكتشفون أنهم من أجل اجتياز السلسلة الأخيرة من الجبال عليهم أن يستخدموا نفس النفق الذي سيستخدمه غيرهم. غير أن الغالبية العظمي من العربات ستمضى في رحلتها البطيئة إلى المدينة، وسيصل معظمها إليها" (فوكوياما(أ)،1993، ص293:294).

هذه المدينة التي سوف تصل إليها البشرية، هي الدولة العامة المتجانسة التي تتمثل بدولة نهاية التاريخ، وأن غالبية الدول بالرغم من تخلفها سوف تسير إلى المدينة، وأنه لا يوجد سوى طريق واحد، بمعنى آخر نظام سياسي واحد وهو الذي يمثل أفضل النظم السياسية "النظام الديمقراطي الليبرالي"، الذي أوصلنا إلى نهاية التاريخ. بهذه العبارة ختم فوكوياما أُطروحته نهاية التاريخ. وعلى الدول أن تسير وفقها كي تصل إلى نهاية التاريخ، وسيظهر الإنسان الأخير الذي يعيش في هذه الدولة. بالرغم من وصول الدول الأوروبية إلى النهاية، فإن العالم التاريخي سوف يتحرك نحو المدينة بالرغم من تأخر الكثير من الدول، لكن سوف تصل غالبيتها إلى نهاية التاريخ.

---

[1] العولمة Globalization: مصطلح يعني تسارع وتكثيف آليات وعمليات ونشاطات ، تعمل على تعزيز التبعية العالمية المتبادلة، وهو مفهوم ثوري يتضمن إزالة الإقليمية عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وتتضمن العولمة إدراكا متزايداً لكون العالم مكاناً واحداً. وينعكس هذا الأمر في جمل مثل "القرية العالمية" و"الاقتصاد العالمي". راجع (غريفيتش وأوكالاهان، 2008، ص316).

5.3 الخلاصة

أنهى فوكوياما عمل الأيديولوجيا السياسية من التاريخ الإنساني، وحدد شكل المجتمع ونظامه السياسي بالليبرالية الديمقراطية واعتبرها أفضل النظم السياسية التي شكلت نهاية تطور الفكر الإنساني، معلناً عن نهاية تاريخ الفكر السياسي والأيديولوجي في المستقبل، وقد أختلف فوكوياما في تفسير التاريخ مع هيجل وماركس اللذان تمحورت فلسفتهما السياسية حول الحالة الجدلية الصراعية، أما فوكوياما فقد أنهى الحالة الصراعية في المجتمع وأكد على أن الفرد حظى بالاعتراف العام ونيل حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وقد بحث الفرضيات والمسلمات التي يطرحها في أُطروحته مع أعلام فلسفة التاريخ "هيجل وماركس" التي أثبتها، وبالتالي أصبح الحديث عن نظرية سياسية تفسيرية للنظام العالمي الجديد من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية. كما فسر فوكوياما مسار التاريخ من خلال سببين، أعتبرهما محركين للتاريخ البشري وهم: التطور المستمر في العلوم الطبيعية والسعي لنيل الإعتراف، وبالتالي التاريخ وصل إلى نهايته من خلال الوصول إلى حل هذه العلل. وبذلك تختلف نهاية التاريخ عند فوكوياما مع هيجل الذي بشر بالنهاية عندما تنتهى كافة التناقضات في المجتمع ولم يصل لها، والذي فسر التاريخ من خلال سبب واحد وهو صراع الأفكار. أما ماركس والذي يدحض فوكوياما رؤيته الفكرية لأنها تنفى بقاء الرأسمالية، بشر هو الآخر بالنهاية، مفسراً التاريخ من خلال علة واحدة، وهي الصراع الاقتصادي.

وأكد فوكوياما بأن الولايات المتحدة الأمريكية تجسد اليوم أفضل النظم السياسية، وجعل منها النموذج الذي لابد لكافة دول العالم من تطبيقه، وحث على نشر الديمقراطية الأمريكية في العالم، فيما يرى بأن دول العالم قاطبة سوف تتحول تدريجياً وتدخل في عالم ما بعد التاريخ من خلال تحول أنظمة حكمها إلى الديمقراطية الليبرالية.

الفصل الرابع

أُطروحة "صدام الحضارات"

المبحث الأول: فرضيات أطروحة هانتنغتون

المبحث الثاني: نهاية الأيديولوجيا

المبحث الثالث: فلسفة صدام الحضارات عند هانتنغتون

1.4 تمهيد

أنهى سقوط الاتحاد السوفيتي السابق الحرب الباردة وأوجد نظاماً عالمياً جديداً، وبدأت التنظيرات الفكرية لهذا النظام بأُطروحة "نهاية التاريخ" لفوكوياما التي ناقشناها في الفصل السابق، ثم تبعتها أُطروحة "صدام الحضارات" لهانتنغتون. إن أُطروحة هانتنغتون تحمل بناءً شاملاً يشرح نزاع الحاضر والمستقبل، وكذلك الملامح الرئيسية للنظام العالمي الجديد، كما أنه يتنبأ بمستقبل العالم والسياسات الدولية في القرن الحادي والعشرين، مركزاً على الحضارات بوصفها وحدة التحليل الأساسية (حسين، 2011، ص259). وتعود أُطروحة "صدام الحضارات" إلى مقاله هانتنغتون التي نشرت في مجلة الشؤون الخارجية[1] Foreign Affairs في العام 1993، وبعد ثلاثة أعوام ألف كتاباً يحمل العنوان ذاته. فقد ناقش مضامين مقالته من خلال أُطروحته التي تحمل شرحاً واسعاً، وكذلك تفاصيل ومضامين فكرية لما بعد الحرب الباردة.

فالمقالة التي كان عنوانها "صدام الحضارات؟" جاءت على صيغة سؤال، ويجيب هانتنغتون في أُطروحته عن هذا السؤال قائلاً: "الغرض من هذا الكتاب هو تقديم إجابة أشمل وأعمق عن سؤال المقال. وهنا أحاول أن أفصل وأنقح وأضيف، واصفاً أحياناً الأفكار التي جاءت بالمقال، كما طور أفكاراً أخرى كثيرة وأغطي موضوعات عدة لم يتناولها المقال أو ربما تناولها على نحو سريع" (هانتنغتون، 1999، ص29). وهذا الفصل سوف يتناول أُطروحة هانتنغتون بشرح وتحليل محتوياتها الفكرية، وعرض لأهم الأفكار التي يطرحها هانتنغتون لمستقبل العالم في ظل النظام العالمي الجديد، والصراع الحضاري الذي يتمحور حول الثقافة.

---

[1] مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs: هذه المجلة ذات نفوذ كبير تهتم بالمصالح الخارجية للولايات المتحدة كما تراها نخبة صانعي السياسة الأمريكية، وهي منبر مفتوح لكبار الدبلوماسيين للتعبير عن وجهات نظرهم فيما يخص السياسة الخارجية الأمريكية، وكذلك هي مقربه من مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية (محمود وزيدان، 2013، ص317).

2.4 المبحث الأول: فرضيات أُطروحة هانتنغتون

قبل البدء في تحليل أُطروحة "صدام الحضارات"، لابد لنا من معرفة جذور الصراع الحضاري في العالم. يقول سايمون ميردين Simon Murden: "التجربة الإنسانية هي تجربة ثقافات، والفروق الثقافية هي صلب السلوكيات الإنسانية على مدى تاريخ السياسة الدولية، ومع نهاية القرن العشرين شهد تجديد التأكيد على أهمية الثقافة من حيث إعادة النظر في النظام العالمي، وكان ذلك نتيجة انتهاء الحرب الباردة" (ميردين، 2004، ص783). ويرى الكثير من مفكري الغرب أن الصراع ظاهرة طبيعية في حياة الإنسان، وفي حياة المؤسسات جميعاً، فبدءً من الأسرة مروراً بالقبيلة والأمة والدولة ، فإن قانون الصراع هو من يحكم هذه المؤسسات، وقد يكون هذا الصراع ناعماً وقد يصل إلى حد الحروب والصدام (زناتى، 2006، ص18). ظاهرة الصراع بين الأمم والحضارات موجودة منذ فجر التاريخ، ولكن الصراع متعدد الأبعاد والعوامل، ولا يشمل البعد الثقافي فقط.

إن الفكر السياسي عند الفلاسفة والمفكرين أكد على أهمية الصراع الاجتماعي، فقد كان فكر توماس هوبز T. Hobbes (1588–1679) يقول: "بأن المجتمع البشري هو في حالة صراع وتنافس مستمر، وذلك لأن كل إنسان لا تحركه سوى اعتباراته الذاتية المتعلقة بأمنه وقوته، إن النتيجة التي تترتب على ذلك هي الحرب الدائمة" (الطعان، 1992، ص112). وفي الفصل الثاني تحدثنا عن فلسفة التاريخ عند كل من هيجل وماركس والتي تمحورت حول الصراع، حيث تقوم فلسفة هيجل للتاريخ على صراع المتناقضات في المجتمع، بمعنى آخر الحالة الجدلية في المجتمع هي صراع بين الأفكار المختلفة "الديالكتيك الهيجلي". وأخذ كارل ماركس الديالكتيك الهيجلي الذى وصفه بالمثالي، وأستند عليه في تفسير مسار التاريخ، والذي كان في جوهره صراعاً طبقياً "الديالكتيك المادي"، وهذا يوضح لنا مدى أهمية الصراع في الفكر السياسي عند الفلاسفة والمفكرين قبل طرح فلسفة صدام الحضارات عند هانتنغتون.

وخلال العقدين السابقين وخاصة بعد نهاية الحرب الباردة، برز البعد القيمي في العلاقات الدولية من ناحية، وصعود الأبعاد الثقافية الحضارية في سياسات وأيديولوجيا العولمة من ناحية أخرى، لذا تجدد الاهتمام بموضوعات "الدين، الثقافة، الحضارة" وتأثيراتها على العلاقات الدولية، ويرجع السبب إلى انتهاء الصراع الأيديولوجي، وصعود دور الأديان، وتهاوي الحدود بين الداخلي

والخارجي، وبعد تحقق الهيمنة الغربية في مجالات الاقتصاد والجيش، فلم يتبق إلاّ اكتمال الهيمنة على الصعيد الثقافي (مصطفي، 2006، ص1).

لم يكن هانتنغتون أول من كتب عن فلسفة "الصدام الحضاري". فقد تنبأ أرنولد توينبي في مقالة بعنوان "الصراع بين الحضارات"، المنشور في مجلة هاربر بعددها الصادر في إبريل 1947، والتي نشرت فيما بعد مع عدة مقالات أخرى في كتابه "الحضارة في الميزان" (توينبي، 2006، ص8). ويتنبأ توينبي بأن الأمر الذي سوف يشغل مؤرخي المستقبل هو "صدام الحضارة الغربية بسائر الحضارات الأخرى". كما وأن المؤرخ برنارد لويس Bernard Lewis تحدث عن الصدام الحضاري بين الغرب والعالم الإسلامي في مقالته "جذور السخط الإسلامي"، واصفاً العالم الإسلامي بالرجعي والغوغائي "ينبغي أن يكون من الواضح أمامنا أن الحركة الكونية تتجاوز بكثير مستوي القضايا والسياسات والحكومات، هذا ليس أقل من صراع حضارات" (Lewis, 1990, p8). توينبي يرى صدام الحضارات يحدث بين الحضارة الغربية وأي حضارة أخرى، وربما يكون الصدام بين عدة حضارات، وليس فقط بين حضارتين. أما برنارد لويس فيرى الصدام أنه صدام بين حضارتين: الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية (راهي، 2012، ص259). إن فكر برنارد لويس متحامل على الحضارة الاسلامية، ويصورها بأنها تحمل في قيمها صفة العداء نحو الغرب الكافر.

ويؤكد إدوارد سعيد بأن أُطروحة هانتنغتون "صدام الحضارات" مستمدة من برنارد لويس في مقالته المذكورة سابقاً (سعيد، 1997، ص50). إن كان هانتنغتون استلهم فكرة صدام الحضارات من لويس أو من توينبي، فقد كانت فكرتة الرئيسية في أُطروحته للنظام العالمي الجديد هي الاختلافات الثقافية بين الحضارات العالمية، التي تؤدى إلى الصدام الحتمي بين الحضارات.

1.2.4 هانتنغتون والحضارات العالمية

ينطلق هانتنغتون في أُطروحته من فرضية رئيسية وهي: الثقافة والهويات الثقافية، التي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة (هانتنغتون، 1999، ص37). وقبل أن يعرف هانتنغتون الحضارة، يعرض تعريفات عدة لمفكري وعلماء التاريخ الذين كتبوا في تاريخ الحضارات الإنسانية، من بينهم ماكس فيبر، وإميل دوركهايم، وأرنولد توينبي، وفرناند بردويل وغيرهم.

ويُعرف هانتنغتون الحضارة بأنها: "الكيان الثقافي الأوسع، القرى والمناطق والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية... كلها لديها ثقافات محددة وعلى مستويات مختلفة من التمايز الثقافي" (هانتنغتون، 1999، ص71). وبإختصار شديد يعرف هانتنغتون الحضارة في خاتمة أُطروحته بأنها: "مقابل للبربرية" (هانتنغتون، 1999، ص519:520). ويضرب مثالاً "ثقافة قرية في جنوب إيطاليا قد تختلف عن ثقافة قرية في شمالها، ولكنهما تشتركان في ثقافة إيطالية عامة تميزهما عن القرى الألمانية، والمجتمعات الأوروبية، بالتالي ستشترك في ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات الصينية أو الهندية" (هانتنغتون، 1999، ص71).

ويضيف قائلاً: الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يُميز الإنسان عن الأنواع الأخرى. والحضارة تعرف: "بكل العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي للناس" (هانتنغتون، 1999، ص71). من خلال تعريف هانتنغتون للحضارة يقر بفرضية "أن لكل حضارة حدود جغرافية معروفة المعالم جيداً، وهي من وجهة نظر هانتنغتون حدود الصدام الحضاري" (أبو صوي، 2001، ص10). إن تعريف هانتنغتون للحضارة ينبع من الحدود الجغرافية في الأساس، ثم تابع تعريفه من التعريفات الموضوعية للحضارة. إلا أنه يعتمد على التعريف الجغرافي، ليكون منسجماً مع أُطروحته.

ويقسم هانتنغتون حضارات العالم إلى سبع حضارات رئيسية، بالإضافة إلى احتمال قيام الثامنة وهي: الروسية الأرثوذوكسية، الصينية، اليابانية، الهندية، الإسلامية، الغربية، الأمريكية اللاتينية، الإفريقية "احتمال". واستند هانتنغتون إلى "الثقافات" كأساس في تقسيم العالم إلى أنماط حضارية، والتي بدورها تقود إلى حتمية صدام الحضارات، واختار "الدين" كأساس للمجموع الحضاري، في حين أن الفضاء الديني لم يحدد نوع الثقافة، لأن هناك فضاء الدولة الوطنية، وفضاء الاقاليم المتجانسة اقتصادية وفضاء الانظمة السياسية (حسن، 2008، ص19).

ويصنف على ليلة أُطروحة هانتنغتون ضمن نظريات الصراع في علم الاجتماع، والتي ترى أن الصراع يعتبر من العلميات الاجتماعية التي تعلب دوراً محورياً في بناء المجتمع، إما لفض التناقضات الاجتماعية كما هي الحال عند كارل ماركس، أو لأن الصراع بين الوحدات الخارجية، أياً كان مستواها، يؤدي بطبيعته إلى تأكيد التماسك الداخلي للجماعة، وفي هذه الحالة فإن أُطروحة

هانتنغتون إلى جانب أنها تستهدف إعادة بناء العلاقات الدولية، فهي تصور الصراع الذي يؤدي وظيفة بناء الولايات المتحدة من الداخل (ليلة، 2006، ص79).

2.2.4 هانتنغتون والنظام العالمي الجديد

يعتمد هانتنغتون في أُطروحته على "الصراع" أو "الصدام" أسساً جديدة للصراع في المستقبل مبنية على الإختلاف الثقافي والديني لعالم ما بعد الحرب الباردة، والذي تفردت الولايات المتحدة الأمريكية فيه بالهيمنة العالمية، وبذلك يستبدل هانتنغتون الحدود السياسية للدول القومية في قضايا الصراع بحدود امتداد الحضارات (أبو صوي، 2011، ص8). ويصف هانتنغتون النظام العالمي بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بأنه متعدد الأقطاب، "في عالم ما بعد الحرب الباردة ولأول مرة في التاريخ أصبحت السياسة الكونية متعددة الأقطاب متعددة الحضارات" (هانتنغتون، 1999، ص38). وكان النظام العالمي أثناء الحرب الباردة مقسم إلى ثلاث أجزاء، وهي: الكتلة الشرقية، الكتلة الغربية، ودول عدم الانحياز.

ويعارض هانتنغتون الطروحات الفكرية السائدة لتفسير النظام العالمي الجديد، وأهم تلك الطروحات هي أُطروحة فوكوياما "نهاية التاريخ، ويعتبرها غير قادرة على تفسير النظام العالمي الجديد. ويستشهد هانتنغتون بفكر توماس كون Tomas Kohn في كتابه "بنية الثورات العلمية"، حيث يؤكد توماس بأن التقدم الفكري والعلمي يؤديان إلى حذف نموذج قديم وإحلال نموذج أكثر قدرة على تفسير العلاقات الدولية بطريقة أكثر مقبولية (هانتنغتون، 1999، ص49). ويرى كون أن التقدم التاريخي في كافة العلوم يؤدى إلى تطور العلوم "إن التنافس بين قطاعات المجتمع العلمي هو العملية التاريخية الوحيدة التي تفضي عملياً، دائماً وأبداً، إلى رفض نظرية كانت موضوع قبول وتسليم في الماضي وإقرار نظرية أخرى" (كون، 1992، ص37).

وانتقد هانتنغتون أربع أُطروحات فكرية تمحورت أفكارها لتفسير النظام العالمي الجديد وهي:

1. **أطروحة نهاية التاريخ:** ينتقد هانتنغتون أُطروحة فوكوياما الذى انتابه الشعور بالفرح بعد نهاية الحرب الباردة، وتصور وجود عالم منسجم خالي من الصراعات الكونية، وخطأ أُطروحة فوكوياما كما يراها هانتنغتون: "وهم التوافق سرعان ما تبدد بسبب تضاعف الصراعات العرقية، وبروز أشكال جديدة من التحالفات والصراعات في العالم" (هانتنغتون، 1999، ص53).

2. **أطروحة عالمان "نحن" و "هم"**: وهي موجودة قبل نهاية الحرب الباردة وهي منذ القدم في التاريخ الإنساني. إن الباحثين يقسمون أنفسهم على أساس: شرق وغرب، وشمال وجنوب، المركز والمحيط، والمسلمون يقسمون العالم إلى دار السلام ودار الحرب. وينتقد هانتنغتون هذه الأطروحة كونها لا تعكس الواقع بشكل مطلق، حيث يعتبرها تحمل القصور في النظام العالمي الجديد، لأن العالم كان مقسم من منظور أيديولوجي إلي شرق وغرب، إلا أنه لا يوجد منظور ثقافي وحيد. هانتنغتون حسب تقسيماته للحضارات، يؤكد بأنه يوجد في العالم ثمان ثقافات "من الملائم أن نتكلم عن "الغرب والأخرين" (هانتنغتون، 1999، ص55).

3. **الواقعية**: وهى التي تعتمد على الدولة كلاعب رئيسى في العلاقات الدولية، وهذه الدولة تسعى لامتلاك القوة من أجل تحقيق مصالحها. يبدي هانتنغتون إعجابه بفكر الواقعية "هذه الصورة الواقعية للعالم هي نقطة بداية مفيدة لدرجة كبيرة من أجل تحليل الشئون الدولية، كما أنها تفسر سلوك الدولة" (هانتنغتون، 1999، ص56).

هانتنغتون لا يدحض الواقعية في تحليل النظام العالمي الجديد كما فعل فوكوياما في أُطروحته "نموذج الدولة في النظرية الواقعية يقدم لنا في السياسة الكونية أكثر مما يقدمه نموذج عالم الواحد "نهاية التاريخ" أو عالمين" (هانتنغتون، 1999، ص56). بالرغم من انتقاد هانتنغتون لها، فهي تفترض إدراك جميع الدول لمصلحتها بنفس الدرجة، بالإضافة إلى فقدان السيادة الكاملة لدى الدولة في ظل المؤسسات الدولية، والتدخل الدولي في الشؤن الداخلية للدول.

4. **الفوضى**: ضعف الدول وظهور "الدولة الواهنة"، يسهم في رسم صورة رابعة لعالم غارق في الفوضى، وصاحب هذه النظرة إلى العالم هو زبيجينيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski[1] والتي تؤكد على انهيار السلطة الحكومية وتفكك الدول يعني اتساع نطاق الصراعات القبلية والعرقية والدنية (هانتنغتون، 1999، ص58). هانتنغتون يؤيد نصف الفكرة ويرفض النصف الآخر، حيث يعتبر أن العالم قد يغرق في فوضي وصراعات، لكن هذه الصراعات لا تكون

[1] زبيجينيو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski: مفكر استراتيجي أمريكي، عمل مستشاراً للأمن القومي الأمريكي في عهد الرئيس السابق جيمي كارتر، وهو من الأوائل الذين أنذروا بحدوث فوضي عالمية في كتابه "عالم خارج عن السيطرة" (جريدة الشرق الأوسط، http://www.aawsat.com)

شاملة العالم "قد يكون العالم في حالة فوضى لكنه ليس دون نظام بالكلية" (هانتنغتون، 1999، ص59).

بعد عرض الأطروحات الفكرية لتفسير النظام العالمي، التي ذكرها هانتنغتون ورأيه فيها، يعرض أُطروحته التي تفسر الأحداث الكونية بشكل أفضل من كافة الأطروحات السابقة، ويتكامل معها من أجل التفسير الدقيق للأحداث العالمية في النظام العالمي الجديد، بل أُطروحة "صدام الحضارات" مبنية على الطُروحات الفكرية السابقة.

> "إن النظر إلى العالم باعتباره سبع حضارات أو ثمانية، يجعلنا نتجنب الكثير من الصعاب، ولا يضحي بالحقيقة لحساب الاقتصاد الشديد كما هي الحال في نموذج عالم واحد أو عالمين، إلا أنه كذلك لا يضحي بالاقتصاد الشديد من أجل الحقيقة كما هي الحال في نموذج الدولة أو نموذج الفوضى. إنه يقدم لنا إطار عمل مفهوم وسهل الاستيعاب لفهم العالم، وتمييز المهم من غير المهم بين الصراعات الكثيرة، ويتنبأ بالصراعات المستقبلية، ويقدم الخطوط العادية لصانعي السياسة، كما أنه يبنى على النماذج الأخرى ويتكامل معها، وهو أكثر تناغماً معها أكثر مما هي مع بعضها الآخر" (هانتنغتون، 1999، ص60).

اقتصر هانتنغتون على هذه الأطروحات دون سواها، فهناك عدة نظريات في العلاقات الدولية ما زالت تعمل بها السياسة الأمريكية، كسياسة الاحتواء. كما أنه ظهرت أُطروحات جديدة بعد هذا التاريخ، مثل أُطروحة بول كينيدي[1] Paul Kennedy وإريك هوبزباوم[2] Eric Hobsbawm، وهي أُطروحات تسعى إلى تفحص الأوضاع الدولية على مشارف الألفية الثالثة، بشكل أكثر دقة ومسئولية، وذلك في إطار محاولة للبحث عن سبل لتجنب إمكانات الصراعات المستقبلية في الألفية الثالثة (سعيد، 1997، ص48). وإن كان مفيداً لأطروحة هانتنغتون إلقاء نظرة لأول مرة على

---

[1] بول كينيدي Paul Kennedy: مؤرخ أمريكي، يدرس التاريخ في الجامعات الأمريكية. وقد تنبأ بسقوط الإمبراطورية الأمريكية نتيجة عوامل بنيوية داخلية، ونظرا لصعود قوى عظمي منافسة مثل الصين، في كتابه "سقوط وصعود القوى العظمى" في العام 1987، والذي بحث فيه عن الإمبراطوريات من عام 500 إلى عام 2000 (يسين، 2010، ص29).

[2] إريك هوبزباوم Eric Hobsbawm (1917–2012): مؤرخ بريطاني من أصل يهودي، صدر له عدة مؤلفات وأهمها "عصر التطرفات" والذي تنبأ فيه بأن الشرق الأوسط منطقة مزعزعة من الوجهة الاجتماعية، ومشكلات الشرق الاوسط لا يمكن حلها أو السيطرة عليها حتى من قبل الولايات المتحدة، وإن أراد مفكري الولايات المتحدة لوضع بداية لهيمنة أمريكا على العالم، فأنهم سيفكرون في الحرب على العراق، وأن قدر لمشكلات الشرق الأوسط أن تحل فلن يتم ذلك على أيدي قوى خارجية، وإنما عن طريق القوى الداخلية للمنطقة (هوبزباوم، 2011، ص24).

قضية الثقافة على المستوى الدولي، فإنه من المعيب أن يقدم نقداً لأطروحات سابقة، كان لها قوة تفسيرية في عصور سابقة، فمن السهل ذكر أمثله دون وجود حجة مقنعة لنقد الأطروحات الأخرى (fox,2002, p418:419).

3.2.4 العلاقات بين الحضارات في النظام العالمي الجديد

العلاقات بين البشر وجدت منذ أن خلق الله الإنسان، وذلك لأنه إنسان اجتماعي بطبعه، ومن الصعب عليه أن يعيش وحيداً، وتطورت العلاقات الدولية بتطور نظم الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية (طشطوش، 2010، ص10:9). وبتطورها ظهرت الدبلوماسية والتنظيم الدولي، من أجل تنظيم العلاقات بين الدول. والمقصود باصطلاح العلاقات الدولية: تلك العلاقات القائمة بين الدول المختلفة، وتنقسم بدورها إلى قسمين: علاقات سلم، وعلاقات حرب. ففي حالة الحرب تكون العلاقات بين الدول هي علاقة عداء، أما في أوقات السلم فقد تظهر العلاقات السياسية والدبلوماسية (عمر وحجر، 2004، ص9).

يستعرض هانتنغتون مراحل الصراع الحضاري في تاريخ العلاقات بين الحضارات، والتي مرت عبر تاريخها بثلاث مراحل: "مرت العلاقات بين الحضارات في مرحلتين، وهي الآن في الثالثة" (هانتنغتون، 1999، ص80). ففي المرحلة الأولي: كانت العلاقات غير موجودة أو محدودة، وذلك بسبب المسافات التي كانت تقيد من العلاقات بين الحضارات. أما المرحلة الثانية: فبدأت بظهور العالم الغربي في القرن الخامس، وكانت الصراعات تقوم بين الأمراء والأباطرة لبسط النفوذ والسيطرة على مساحات جديدة من الأراضي، وفي القرن الثامن بدأت حروب الشعوب مثل الثورة الروسية 1917، بالإضافة إلى الصراع الأيديولوجي، أما المرحلة الثالثة: التي أتت بعد الحرب الباردة فهي الصراعات الحضارية (هانتنغتون، 1999، ص86-90). إذن كيف يرى هانتنغتون العلاقات الدولية في النظام العالمي الجديد؟

إن أُطروحة صدام الحضارات لـ هانتنغتون، لم تناقش سوى الصراعات الدولية والتنبؤ بها في المستقبل، وصورة هذه العلاقات بين الحضارات الثمانية، التي تعد هي الأقطاب الرئيسية في النظام العالمي الجديد "لن تكون الصراعات المهمة والملحة بين الطبقات الاجتماعية، أو بين الغني والفقير، أو بين أي جماعات أخرى محددة اقتصادياً، الصراعات ستكون بين شعوب تنتمي إلى كيانات ثقافية مختلفة" (هانتنغتون، 1999، ص46). ويتجه هانتنغتون إلى بلورة فكرة معينة ومضمونها

أن الحضارات تركيبات خاصة، تشترط رد فعل الجماعات البشرية التي تتبناها، وأن العلاقة بين هذه الحضارات هي علاقات صراع أو تنافس، وبذلك يصبح المضمون الحقيقي للفترة التاريخية التي نعيشها هو "التصادم" بين الجماعات المنتمية إلى حضارات مختلفة (محمود وزيدان، 2013، ص318). ويؤكد هانتنغتون في أُطروحته على تقسيم العالم إلى حضارات، وهذه الحضارات في علاقاتها وتفاعلاتها تكون علاقات صراعية وليست حوارية، ويتنبأ بمستقبل صراعي بين الغرب وبقية الحضارات وخاصة الحضارة الإسلامية.

ويرى إدوارد سعيد بأن أُطروحة هانتنغتون تتميز بميزة واحدة وهي أهمية العنصر الثقافي في دراسة العلاقات الدولية: "تبقى لمقولة هانتنغتون ميزة واحدة وهي أنها تؤكد على أهمية العنصر الثقافي في صياغة العلاقات الدولية بين الدول والتقاليد والشعوب المختلفة" (سعيد، 1997، ص49). إن البعد الحضاري والثقافي في دراسة العلاقات الدولية، يعنى الاتجاه نحو الأبعاد المتصلة بآثار اختلاف الثقافات والحضارات في العالم، والذي يؤدي إلى اختلاف الرؤى والقيم وقواعد السلوك والأخلاق، وبالتالي تؤثر مباشرة في العلاقات الدولية مثل التفاعلات الدولية، وكذلك يقدم عنصراً تفسيرياً أو تبريرياً للتحالفات الدولية والتي تكوَن موازين القوة (مصطفى، 2006، ص1).

3.4 المبحث الثاني: نهاية الأيديولوجيا

أنهى هانتنغتون الأيديولوجيا السياسية ولم ينه التاريخ، فإن التاريخ سوف يستمر، وتنبأ بنهاية الصراع الأيديولوجي وبداية الصراع الثقافي بين الحضارات، "في عالم ما بعد الحرب الباردة، الثقافة قوة مفرقة ومجمعة في الوقت نفسة، الشعوب التي تفصل بينها الأيديولوجيا، تجمع بينها الثقافة وتقرب بينها، كما فعلت الألمانيتان والكوريتان" (هانتنغتون، 1999، ص47).

"في أواخر الثمانينيات انهار العالم الشيوعي، وأصبح نظام الحرب الباردة العالمي في ذمة التاريخ. وفي عالم ما بعد الحرب الباردة لم تعد الفروق المائزة بين الشعوب، أيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية.. وإنما هي فروق ثقافية" (هانتنغتون، 1999، ص39). إن نقطة الانطلاق في تحليل أُطروحة هانتنغتون هي سقوط جدار برلين، ففي ظل الحرب الباردة كانت السياسة الدولية واضحة، هناك قوتان دوليتان "نظام ثنائي القطبية"، فيما تصطف باقي الدول على مسافة تبعد أو تقترب من القوتين، وبنهاية هذه الحقبة الزمنية وظهور النظام العالمي الجديد، يشخص هانتنغتون هذه الحقبة بأنه لم يعد هناك كتل ايديولوجية أو سياسية تتواجه، وإنما مناطق ثقافية (تودوروف، 2009، ص92).

ويؤكد هانتنغتون على نهاية الأيديولوجيا على مستوى العالم، فكان العالم مقسماً أيديولوجياً إلى ليبرالي غربي، واشتراكي شرقي "المجتمعات التي اتحدت عن طريق الأيديولوجيا ولكنها مقسمة بسبب الحضارات، إما أنها تفتت كما حدث للاتحاد السوفيتي، أو تتعرض لتوتر شديد كما هو الحال في أوكرانيا، فالدول التي بينها صلات قربى ثقافية تتعاون اقتصادياً وسياسياً، المنظمات الدولية التي تعتمد على دول بينها عناصر ثقافية مشتركة، مثل الاتحاد الأوروبي، أكثر نجاحاً من تلك التي تحاول أن تتجاوز الثقافة" (هانتنغتون، 1999، ص47). وهذا يعني بأن العالم اليوم عند هانتنغتون بعد نهاية الأيديولوجيا ظهرت فيه العوامل الثقافية والحضارية، والتي بدورها تحدد التحالفات الثقافية على مستوى الدول والحضارات، وبالتالي تتحدد نوعية العلاقة بين هذه الحضارات، والتي تنبأ هانتنغتون بأنها سوف تكون علاقات تنافس وصراع.

1.3.4 الثقافات الحضارية والنظام العالمي الجديد

يصرح هانتنغتون بأن العالم اليوم يتم إعادة تشكيله وفقاً لاعتبارات الثقافة في السياسة الكونية "السياسة الكونية يُعاد تشكليها الآن على امتداد الخطوط الثقافية، مدفوعة بعملية التحديث. الشعوب والدول ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد، الانحيازيات التي تعتمد على الأيديولوجيا والعلاقات مع القوى الكبرى تفسح الطريق لتلك التي تعتمد على الثقافة والحضارة" (هانتنغتون، 1999، ص203). وبالتالي يتم إعادة رسم الأحلاف الدولية في ظل النظام العالمي الجديد وذلك من خلال التقسيم الحضاري الذي وضعة هانتنغتون "المجتمعات الثقافية تحل محل تكتلات الحرب الباردة" (هانتنغتون، 1999، ص203). والحدود الفاصلة بين الحضارات هي خطوط الصراعات الحضارية في النظام العالمي الجديد.

ويوضح هانتنغتون صورة التكوين الثقافي التي تشكل السياسة الكونية الحالية، من خلال العودة للحرب الباردة، حيث كان الخيار لدول العالم، كانت دول العالم إما أنها تدور في فلك الأيديولوجيا الليبرالية تحت قيادة الولايات المتحدة، أو تدور في فلك الأيديولوجيا الاشتراكية تحت قيادة الاتحاد السوفيتي سابقاً، وهناك مجموعة من الدول كانت تشكل مجموعة دول عدم الانحياز. حيث كان يحدث ذلك على ضوء إدراك المصلحة العليا للدولة، بالإضافة إلى خياراتهم الأيديولوجية. أما اليوم، وفي ظل النظام العالمي الجديد، يؤكد هانتنغتون بأن الهوية الثقافية هي العامل الرئيسى في

تحديد صداقات دولة ما أو عداوتها، بينما كان بمقدور الدولة أن تتجنب ذلك أثناء الحرب الباردة وتنحاز حسب خياراتها الأيديولوجية بدون أن تفقد هويتها (هانتنغتون، 1999، ص203).

لقد شهدت حقبة التسعينيات انفجار أزمة هوية في عدة بلدان، وراود الناس سؤال "من نحن؟"، و"لمن ننتمي؟"، وكان ذلك لعامة الدول بعد الحرب الباردة التي أرادت إنشاء دول قومية جديدة كما في يوغوسلافيا السابقة (هانتنغتون، 1999، ص204). إن الثقافة لها دوران، على مستوى السياسة في عالم ما بعد الحرب الباردة، الدور الأول: الضم والاندماج؛ والذي يجمع الدول التي تنتمي لثقافة حضارية واحدة، فقد كانت السويد تمثل أكبر وأهم دولة في مجموعة دول عدم الانحياز "النمسا وفنلندة والسويد، الذين هم ثقافياً جزء من الغرب، حيث أنهم كانوا محايدين في الحرب الباردة، والآن يستطيعون الالتحاق بعشيرتهم الثقافية في الاتحاد الأوروبي" (هانتنغتون، 1999، ص204).

أما الدور الثاني للثقافة: التباعد والاختلاف، الدول المختلفة ثقافياً ودينياً تتباعد وتنضم لمن هم يحملون نفس العقيدة والثقافة "الدول الأوروبية يظهرون صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية مثل "تركيا" في الاتحاد الأوروبي، ولا يسعدهم أن تكون دولة إسلامية أخرى مثل "البوسنة" في القارة الأوروبية" (هانتنغتون، 1999،ص204). وبهذه الفرضية يؤكد هانتنغتون أن الحضارات الرئيسية في العالم قد تتصادم بسبب الاختلافات الثقافية. ويحدد عدة أسباب تنمى هذه الاختلافات التي تؤدي إلى الصراعات وهي:

1. إن لكل فرد هويات متعددة قد تتنافس مع بعضها، وقد تقوي من بعضها البعض. الفرد قد يتوحد ثقافياً مع قريته، جنسيته، دينه، حضارته. الانتماء للهوية الثقافية الدنيا يعزز الانتماء للهوية الثقافية العليا "الحضارة" إن الاتساع في التميز حسب الثقافة الحضارية يؤدى إلى تزايد أهميتها، فالحضارات هي الكيانات الثقافية الأوسع، والصراعات بين جماعات من حضارات مختلفة تصبح مركزية في السياسة الكونية (هانتنغتون، 1999، ص208:209).
2. البروز المتزايد للهوية الثقافية: إن عملية التحديث في العالم تتطلب هويات أكثر معني (هانتنغتون، 1999، ص209). إن العالم يتطور باستمرار وهذا التطور قد يعصف بالهوية الوطنية، إن تطور الاقتصاد العالمي وجعل العالم قرية واحدة "العولمة" يؤثر سلباً على اقتصاديات الدول النامية.

3. الهوية على أي مستوى، "شخصي، قبلى، عرقى، حضاري" يمكن أن تعرف فقط من خلال علاقتها بـ "الآخر" (هانتنغتون، 1999، ص209). جدلية "الأنا" و"الآخر" في الحضارة تعرف هويتها من خلال معاملتها مع الحضارات الأخرى، ومن خلال سلوكها الموجه للآخر.

4. مصادر الصراع بين الدول والجماعات التي تنتمي لحضارات مختلفة. الصراعات بين الجماعات لها عدة مسببات وقد تتضمن قضايا ثقافية (هانتنغتون، 1999، ص210).

5. كلية وجود الصراع، الكره شيء إنساني، دائماً تتولد الصراعات والكشف عن أعداء جدد، وهذه النزعة تسمي الـ "نحن" والـ "هم" (هانتنغتون، 1999، ص211).

لا تقتصر النزعة الثقافية عند هانتنغتون على الجوانب السياسية والدينية والجغرافية في الحضارات، وإنما الثقافة لها أهميتها في الجانب الاقتصادي، قد يكون دور الثقافة مسبباً للانفصال، والاختلاف في التعاون الاقتصادي بين الحضارات، وقد يكون العكس.

في بداية التسعينيات، كان اصطلاح الإقليمية يتردد على الساحة الدولية، وإن الصراعات الإقليمية حلت محل الصراع الكوني على جدول أعمال مجلس الأمن الدولي، إن الدول الرئيسية مثل "روسيا والولايات المتحدة" بالإضافة إلى القوى الثانوية مثل "السويد وتركيا" أعادت تعريف مصالحها على أساس اقليمي واضح (هانتنغتون، 1999، ص212).

إن القرب المكاني للأقاليم إذا كان بعيداً عن الثقافة لا ينتج عوامل مشتركة، التحالفات العسكرية والارتباطات الاقتصادية تتطلب تعاونا بين الاعضاء، والتعاون يعتمد على الثقة، والثقة تنبع بسهولة من القيم والثقافة المشتركة (هانتنغتون، 1999، ص212). إن المنظمات ذات الحضارات الواحدة تحقق الأهداف أكثر من المنظمات المكونة من عدة ثقافات حضارية. ويرصد هانتنغتون بعناية عمل المنظمات الاقليمية. حيث يرى المنظمات التي تقوم على حضارة واحدة هي منظمات ناجحة وفاعلة، مثل حلف "الناتو" فهي منظمة الدول الاوروبية ذات القيم والافتراضات الفلسفية المشتركة. فيما ينظر هانتنغتون إلى منظمة آسيان[1] "ASEAN" كنموذج للمنظمة ذات الثقافات المتعددة

---

[1] منظمة أسيان ASEAN: نجحت الدول الآسيوية في تطوير ونمو اقتصادياتها في العام 1967، حيث انطلق نجاحها بأربع دول متمثلة في: تايوان وهونغ كونغ وكوريا الجنوبية وسنغافورة. وأطلق عليها مصطلح النمور الآسيوية، والأن هي اتحاد لدول جنوب شرق أسيا المعروف بآسيان اختصاراً لـ "The Association of Southeast Asian Nations"، وزادت عضوية الأسيان إلى عشر دول بالإضافة إلى توقيع اتفاق عام 2004 يخص التجارة الحرة مع الصين، هذا وتحضر دول غير اعضاء قمم المنظمة وقد يزداد العدد مستقبلاً. تعتبر

والفاعلة في نفس الوقت، غير أن الاعضاء يتعاملون فيما بينهم بشكل ثنائي وخاصة في الجانب العسكري. كل دولة عضو تسعي لبناء قواتها العسكرية، دون أن يكون هناك قوات مشتركة؛ مثل القوات الموجودة في الاتحاد الاوروبي ذات الحضارة الواحدة (هانتنغتون، 1999، ص214:215).

يقر هانتنغتون في أكثر من موقع، في كتابه بأن الثقافة الحضارية هي التجمع الأكبر والانتماء الفكري الجديد على مستوى الدول في النظام العالمي الجديد، وهذا يعني أن دور الدولة في نظام الحضارات الناشئ ضعيف مقارنة بدور الحضارة في السياسة الكونية.

لم ينكر هانتنغتون بأن الدول القومية لها دور في شئون العالم، إلا أن الدول تشكل حضارة بانحيازاتها الثقافية وبما هو مشترك بينها، وعلى الرغم من أن للدولة دوراً في السياسة الكونية إلا أنه يقر "بأن الحضارات السبعة أو الثمانية هي أهم التجمعات" (هانتنغتون، 1999، ص39). إن الهوية الوطنية على مستوى الدول تتوحد في الهوية الحضارية "الفرد يتوحد ثقافياً مع قبيلته، جماعته، جنسيته، دينية، حضارته. البروز المتزايد للهوية الوطنية "الدول" في المستويات الدنيا، يعزز ويقوي "الحضارة" على المستويات العليا" (هانتنغتون، 1999، ص208). إن تقليل هانتنغتون من دور الدولة في السياسة العالمية نابع من تعاظم دور الحضارات من وجهة نظره. وفي هذا يقول فؤاد عجمي[1] "إن هانتنغتون يرى أن الدول ستحارب من أجل الروابط والولاءات الحضارية، في حين أنها تتدافع من أجل حصتها في السوق وتتعلم كيف تنافس في اقتصاد عالمي لا يعرف الرحمة.... فقد مل الناس من الطوباوية وأصبحوا أكثر نفوراً من الحملات التي تستند إلى المبادئ والمعتقدات الأيديولوجية" (راهي، 2012، ص260). ويصف إيف لاكوست Yves Lacoste أُطروحة هانتنغتون بأنها مبنية على اعتقاد أن كل الحضارات تشكل كتلة متجانسة في مواجهة كتلة متجانسة أخرى. وقد شبه الأطروحة بنظرية "تشكُل بنية الأرض" حيث قال: "كأن الحضارات شبيهة بالصفائح الجيولوجية التي تؤلف القشرة الأرضية والتي تتحرك قطعة واحدة تحت تأثير القوى الموجودة في الأعماق. بعض هذه الصفائح تتراكب مع صفائح أخرى فتندفع بها إلى الأعماق حيث تختفي

من أهم التكتلات الاقتصادية في العالم وأهمها في القارة الآسيوية تهدف إلى تحقيق تكامل أمتن بما يتماشى مع متطلبات وتحديات القرن الواحد والعشرين (خالقى وعبد الوهاب، 29، 84-88).

[1] فؤاد عجمى: أمريكي من أصول لبنانية، وهو محاضر وباحث في معهد الدراسات الدولية في جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins، وهو من الاصوات التي ساندت المحافظين الجدد في غزو العراق عام 2003 (عطا الله، 2013).

تدريجياً، وبعضها في المقابل يبتعد بهدوء عن الصفائح الأخرى.... ليس هانتنغتون صاحب هذه الملاحظات الجيولوجية التي تجعل من صراع الحضارات ظاهرة طبيعية" (لاكوست، 2010، ص46).

ليست الثقافة وحدها هي التي تجعل الدول تجتمع تحت راية الحضارة، فالمعتقدات والأيديولوجيا المشتركة تجعل من أسلوب الحياة في الدول التي تنتمى لحضارة واحدة موحداً كالسياسة والاقتصاد والحقوق وغيرها. مشاركة الدول العربية في حرب الخليج الثانية "عاصفة الصحراء" عام1991، والغزو الأمريكي للعراق عام2003، ومبيعات الأسلحة الصينية أو الكورية لإيران وسوريا، ليس له علاقة بالحضارات بقدر ما هو مصلحة الدول، الدول تتحالف مع أي حضارة أو دولة مادام ذلك يحقق مصلحتها، وهذا ما يتجاهله هانتنغتون (راهي، 2012، ص261). والآن تجري التحالفات العربية مع الدول الغربية من أجل تغير الأنظمة العربية، وهذا ما جرى في ليبيا عام 2011.

الدول تعمل وفق سياسات المصلحة، ولو كانت تعمل وفق مصلحة حضارتها فلماذا تختلط الحضارة الغربية بالحضارات الأخرى؟ فهي ليست بحاجة للحضارات الأخرى على الصعيد الأيديولوجي أو الثقافي. ينكر هانتنغتون دور الدولة في السياسة العالمية، وفي الوقت نفسة يشيد بأهمية دورها لكن في إطار الحضارة التي تنتمي إليها، والهدف من ذلك هو تأكيد دور الحضارات في السياسة العالمية (راهي، 2012، ص261:262). ولم ينكر هانتنغتون سياسات المصلحة "الغرب هو الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى، ولها القدرة على التأثير على سياسة وأمن واقتصاد كل حضارة أو منطقة أخرى" (هانتنغتون، 1999، ص133). هل يقصد هانتنغتون كافة الدول في الحضارة الغربية؟ أم أنه يقصد الدول الغربية الكبرى التي تؤثر في النظام العالمي الجديد وخاصة "الإمبراطورية الأمريكية".

2.3.4 تركيبة الحضارات في النظام العالمي الجديد

يعرض هانتنغتون بنية النظام العالمي أثناء الحرب الباردة، حيث كانت علاقة الدول بالقوتين العظميين على النحو التالي: إما حلفاء، أو توابع، أو عملاء، أو محايدون، أو غير منحازين. أما

في النظام العالمي الجديد يصف هانتنغتون بنية الحضارات بأنها: إما دول أعضاء، أو دول مركز[1]، ، أو دول مصدوعة[2]، أو دول ممزقة[3]. أو دول وحيدة[4].

ويصنف هانتنغتون هذه الدول داخل الحضارات "الحضارة يمكن أن تضم أُناساً يشتركون في نفس الثقافة ويتوحدون بها، ولكنهم يعيشون في دول يسيطر عليها أناس من حضارة أخرى، والحضارات لها مكان يراه أعضاؤها المصدر الرئيسى لثقافة تلك الحضارات. هذه المصادر غالباً ما تكون موجودة في داخل دولة المركز في تلك الحضارة... ويختلف دور وعدد دول المركز من حضارة إلى أخرى، وقد يتغير بتغير الزمن" (هانتنغتون، 1999، ص220). ويعطي أمثله لبنية الحضارات من الداخل، الحضارة اليابانية متطابقة مع الدولة المركزية الوحيدة، الحضارات الصينية والأرثوذوكسية والهندوسية، لكل منها دور مركز ودول أعضاء. وأناس مرتبطون بحضارتهم في دول يسيطر عليها أُناس من حضارات أخرى، والغرب تاريخياً كان له دول مركز عديدة، والآن الولايات المتحدة وألمانيا (هانتنغتون، 1999، ص221). أما ما تبقى من الحضارات، كالإسلام وأمريكا اللاتينية وإفريقيا، فلا يوجد لهذه الحضارات دول مركز، ويرجح هانتنغتون السبب إلى استعمار القوى الغربية لهذه الحضارات.

---

[1] دول المركز: وهي الدولة المركزية في حضارة معينة، والتي يكون لها توابع وهي الدول الأعضاء في هذه الحضارة، والتي تمتلك القوة العسكرية والثروة الاقتصادية، دول المركز كالولايات المتحدة في الغرب، والصين للحضارة الكونفوشية. أما الدول الأعضاء فهي الدول التابعة لدولة المركز، كفلسطين التي هي جزء من الحضارة الإسلامية.

[2] دول مصدوعة: وهي الدول التي ينتمى أفرادها لحضارات مختلفة، وتعتبر دول الصدع هي الدول الحدودية بين الحضارات، بمعني آخر مناطق التماس بين الحضارات، وهذه الدول تواجه مشكلات خاصة للحفاظ على وحدتها (هانتنغتون، 1999، ص224).

[3] دول ممزقة: وهي الدولة المفككة والتي لا تمتلك مؤسسات دولة، مع نهاية الحرب الباردة أصبحت روسيا مرة أخرى دولة ممزقة، إذ إن روسيا ليس لديها مؤسسات تستطيع من خلالها توظيف السوق وليس لديها نظام ضرائب (راهي، 2012، ص263). فقد كانت تركيا لعدة عقود دولة ممزقة إلى أن جاء أتاتورك وأسس أنظمة حكم ومؤسسات علمانية جديدة، غير التي كانت موجودة أثناء الإمبراطورية العثمانية.

[4] دول وحيدة: وهى الدول التي تفتقر إلى التماثل أو التجانس الثقافي مع مجتمعات أخرى، فتبقى منفردة في الإقليم أو المنطقة، أثيوبيا على سبيل المثال هي دولة وحيدة معزولة ثقافيا بلغتها الأمهرية والديانة الأرثوذوكسية القبطية، تاريخها الاستعماري، يفصلها عن الشعوب المسلمة الكبيرة المحيطة بها (راهي، 2012، ص263).

1.2.3.4 المركز والمحيط في النظام العالمي الجديد

قسم هانتنغتون العالم إلى قسمين، بينهما علاقات استعارها أو نقلها من "نظرية التبعية"، وهي العلاقات التي تصورها هذه النظرية بين دول المركز والمحيط، حيث يعتبرها هانتنغتون تلك العلاقات التي تقوم بين الحضارة الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، والحضارات الأخرى (ليله،2006، ص79). ويتوصل هانتنغتون في أطروحته إلى تصنيف جديد للعالم يؤكد فيه تفوق الغرب وسيادته، بعدما رأى أن تصنيفات الدول في عالم الحرب الباردة فقدت معناها، وبالتالي عرض تصنيفاً جديداً لفهم النظام العالمي الجديد، وقد قسم العالم إلى مراكز وأطراف. والمركز: هو كتله من الاقتصاديات الرأسمالية المسيطرة على العالم. أما الأطراف: فهي مجموعة الدول الأضعف من النواحي الصناعية والمالية والسياسية تتحرك ضمن نمط من العلاقات يشكلها المركز في المقام الأول (محمود وزيدان، 2013، ص318:319).

ويعرض هانتنغتون التحولات في السياسة الكونية للعالم الجديد: "تحل دول المركز في الحضارات الرئيسية محل القوى الكبرى في الحرب الباردة، وتصبح هي أقطاب الجذب والطرد بالنسبة للدول الأخرى" (هانتنغتون، 1999، ص253). وبالتالي يصبح هناك تجمعات حضارية تضم دول مركز ودول أعضاء. ويرى هانتنغتون أن التكتلات الحضارية هذه تتشكل حسب العوامل الثقافية، حيث الشعوب في الدول المجاورة تتحد وتكون دوائر متحدة المركز حول دولة أو دول المركز، ويحدد هانتنغتون وظيفة دولة المركز في النظام العالمي الجديد: "دول المركز تجذب أولئك الذين يشبهونها ثقافياً وتطرد المختلفين عنها" (هانتنغتون، 1999، ص253). إن وسيلتي "الجذب والطرد" التي تقوم بها دولة المركز، تؤدي إلى تقسيم العالم ثقافياً، وبالتالي إلى حضارات متصارعة، بسبب الثقافة والوعي المشترك بين الدول ودولة المركز في كل حضارة. إذن ما هي مكانه دولة المركز في النظام العالمي الجديد؟.

بالإضافة لوظيفة دولة المركز في ظل السياسة الكونية الجديدة "الجذب والطرد" يعتبر هانتنغتون "دول المركز في الحضارات هي مصادر النظام" (هانتنغتون، 1999،ص254). حيث تلعب دوراً داخل الحضارة ثم بين الحضارات الأخرى، عن طريق التفاوض مع دول المركز في كافة الحضارات.

3.3.4 حدود الحضارات ودول المركز

أثناء الحرب الباردة كانت غالبية دول العالم موزعة على الكتلتين[1] "الغربية والشرقية". تقود الولايات المتحدة "العالم الحر" الكتلة الغربية، أما الاتحاد السوفيتي "العالم الاشتراكي" فيقود الكتلة الشرقية. وكانت الدول موزعة على هاتين التكتلين دون النظر للثقافة، أي أن الكتلة الواحدة كانت تقام على عدة دول من حضارات مختلفة.

ويرى هانتنغتون أن تلك التكتلات تفتت بنهاية الحرب الباردة، والعالم يتم إعادة تشكيله وفق الاعتبارات الثقافية "ذوبان الاتحاد السوفيتي، وبخاصة حلف وارسو، تم بشكل درامي، "العالم الحر" المتعدد الحضارات، والذي كان موجوداً أثناء الحرب الباردة، يتم إعادة تشكيلة بطريقة مشابهة، وإن كان ببطء، في تجمع جديد ممتد مع الحضارة الأوروبية تقريباً" (هانتنغتون، 1999، ص256). ويحدد هانتنغتون حدود الحضارات ودول المركز، كي يوضح النظام الناشئ الذي يتكون من الحضارات ودول المركز. وقد جاء تعيين حدود الحضارات ودول المركز عند هانتنغتون كالآتي:

أولاً: الحضارة الغربية: في ظل وجود الاشتراكية كأيديولوجيا كانت حدود الحضارة الغربية غير واضحة، وذلك لوجود عدة دول في أوروبا تعمل وفق الأيديولوجيا الاشتراكية وتدور في فلك الاتحاد السوفيتي السابق، والسؤال الذي يطرحه هانتنغتون: ما هي أوروبا؟ وقد أجاب بأن حدود أوروبا الشمالية والغربية والجنوبية، هي الماء فهي واضحة وثابته. ولكن تكمن مشكلة في الخط الفاصل، فالحضارة الغربية و الحضارة الروسية والإسلامية هي الحدود الشرقية، ويجيب هانتنغتون عن هذا التساؤل من خلال الدين، حيث تنتهي الحضارة الغربية، حيث ينتهى الدين المسيحي ويبدأ الاسلام والأرثوذوكسية (هانتنغتون، 1999، ص258).

ثانياً: الحضارة الأرثوذوكسية (روسيا): كتلة حضارية تشبه في جوانب كثيرة منها كتلة الغرب في أوروبا وهي التي خلفت الإمبراطورية القيصرية والاشتراكية، ومركز هذه الحضارة هي روسيا (هانتنغتون، 1999، ص266). وتضم روسيا دولتين ذات الأغلبية الارثوذوكسية وهي: بيلاروسيا "روسيا البيضاء" ومالدافيا، وكذلك عدة دول لها امتداد أرثودوكسي وثقافي لروسيا مثل: كازاخستان

---

[1] الكتلة الغربية كانت تضم أثناء الحرب الباردة الدول الغربية بالإضافة إلى دول متنوعة مثل: تركيا واليونان واليابان وكوريا والفلبين وإسرائيل، وإلى حد ما دولاً أخرى مثل تايوان وتايلاند وباكستان. وكذلك الكتلة الشرقية كانت تضم أيضاً دول متنوعة مثل: البلاد الأرثوذكسية باستثناء اليونان وعديد من الدول التي كانت غربية تاريخياً، فيتنام وكوبا (هانتنغتون، 1999، ص256)

التي يبلغ نسبة الروس فيها 40%، وأرمينيا الحليف التاريخي لروسيا، هذا بالإضافة إلى علاقاتها العميقة مع الدول الأرثوذوكسية في أسيا (هانتنغتون، 1999،ص266).

إن خط التقسيم الحضاري[1] يمر في دولة أوكرانيا التي يعتبرها هانتنغتون دولة مصدوعة "في الماضي كانت أوكرانيا الغربية جزءً من بولندة أو ليتوانيا أو الإمبراطورية النمساوية – المجرية، كقطاع كبير من سكانها يتبعون الكنيسة الشرقية التي تمارس الشعائر الأرثوذكسية، ولكنها تعترف بسلطة البابا" (هانتنغتون، 1999، ص270). دولة أوكرانيا تدين بالمسيحية البرستانتينة والأرثوذوكسية فالشعب يحمل الثقافة الغربية والشرقية في آن واحد، لذا هي دولة صدع.

ثالثاً: الحضارة الصينية: يصف هانتنغتون الحضارة الصينية من خلال نموذجين، الأول تاريخي: كانت الصين تاريخياً تضم منطقة صينية كبيرة تشمل كوبا وفيتنام وجزر ليوشيو وأحياناً اليابان، بالإضافة الى المناطق الداخلية في آسيا مثل المغول والأيغور والأتراك وسكان التبت. أما الثاني حضاري: وهي الحضارة الصينية المعاصرة والتي أصبحت تتكون من الصين والأقاليم البعيدة، والتي هي جزء من الصين رغم أنها تتبع لحضارات مختلفة، كالتبت وجين جيانج، وبكين التي قد تكون جزءً من الصين، وكذلك هناك دول تشترك مع الصين في الثقافة كتايلاند وفيتنام وماليزيا وإندونيسيا والفلبين وكوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، هذه الدول تشترك مع الصين في الثقافة الكونفوشية (هانتنغتون، 1999، ص273:274). يؤكد هانتنغتون بأن الهوية الصينية تتحد على أساس جنسي، بمعنى آخر الصينيون هم من نفس الجنس والدم والثقافة. يمكن القول بأن الحضارة الصينية وفقاً لمعيار هانتنغتون تتحدد وفق الجنس وليس الدين كما في الحضارة الغربية والحضارة الشرقية.

رابعاً: الحضارة الإسلامية: إن الحضارة الإسلامية عكس الحضارة الغربية من وجهة نظر هانتنغتون، حيث إن قمة الولاء السياسي في الحضارة الغربية هي الدولة القومية، أما في الحضارة الإسلامية هي القبيلة والعشيرة. يرى هانتنغتون الدول العربية الحالية هي دول اعتباطية لأن حدودها لا تتطابق مع حدود الجماعات الأثنية مثل البربر والأكراد، وجاءت هذه الحدود نتيجة الاستعمار

1 خطوط التقسيم الحضاري: وهو الخط الفاصل بين دول الجوار المنتمية إلى حضارات مختلفة، أو بين جماعات ثقافية تنتمي لحضارات مختلفة داخل دولة ما، وكذلك بين جماعات تحاول إقامة دول جديدة، كما حدث للاتحاد السوفيتي السابق بعد تفككه، ويوغسلافيا السابقة (هانتنغتون، 1999، ص336)

بعد نهاية الامبراطورية العثمانية التي تركت الحضارة العربية دون دولة مركز "غياب دولة مركز إسلامية عامل مساعد وأساسى على الصراعات الخارجية والداخلية المستمرة التي تميز الاسلام، وعلى الوعي دون تماسك، كما أنه مصدر ضعف بالنسبة للإسلام ومصدر تهديد للحضارات الأخرى" (هانتنغتون، 1999، ص289). لم تكن الحضارة الإسلامية دون دولة مركز عبر تاريخها فقد كانت تحت قيادة الخليفة، أما في العالم المعاصر فكانت تحت قيادة الإمبراطورية العثمانية، وبعد تفكك الخلافة العثمانية، واستعمار الغرب للدول العربية، بقيت دون دولة مركز. وتجاهل هانتنغتون عرض دور الحضارات الباقية في النظام العالمي الجديد التي ذكرها في بداية أطروحته وهي: اليابانية، الهندية، أمريكا اللاتينية، إفريقيا. وقد ركز على الحضارات التي قد تؤثر على الحضارة الغربية في المستقبل.

إن رؤية هانتنغتون للحضارات وصدامها مقروناً بعلاقتها مع الغرب، حيث إنه لا يرى أي تأثير لليابان، فاليابانيون وإن كان لهم حضارة متميزة إلا أنهم أصبحوا جزءً من الغرب، أما الحضارة الروسية فالكثير من الدول التي استقلت، تعتبر جزء من الغرب، وكذلك الحال بالنسبة لأمريكا اللاتينية، أما الحضارة الهندية فهي تعاني من تمزق داخلي بسبب الطوائف والأقليات، والحضارة الإفريقية ليس في حسابات هانتنغتون، وتبقي الحضارة الصينية والإسلامية التي سوف تتواجه مع الغرب (محمود وزيدان، 2013، ص320).

وينتقد جونثان فوكس Jonathan Fox تقسيم الحضارات في أطروحة هانتنغتون، حيث ينص في عدة أجزاء من أطروحته، وبشكل واضح، أن هناك حضارة بوذية، وفي تقسيماته للحضارات نجد أنه ينفى وجود البوذية كحضارة (fox, 2002, p421).

إن ما يلفت الانتباه في تصنيف هانتنغتون للحضارات هو عدم التزام مقياس واحد للتصنيف: فالحضارة الغربية نسبة للغرب وهو من جهة جغرافية، والحضارة الكونفوشية نسبة إلى الفيلسوف كونفوشيوس، والحضارة اليابانية نسبة للبلد، والحضارة الإسلامية نسبة إلى الدين، والحضارة السلافية الأورثوذكسية نسبة إلى عرق ودين في آن واحد، أما الحضارة اللاتينية والإفريقية نسبة إلى قارة وعرق (الجابري(أ)، 1997، ص103). وهذا يعتبر إخلالاً في المنهجية العلمية، حيث إن "المنهجية العلمية تتطلب تحديد المعايير والمفاهيم، وبالتالي كان على هانتنغتون أن يصنف جميع

الحضارات باستخدام معيار واحد فقط" (زناتى، 2006، ص233). التنوع في المعايير عند هانتنغتون يتماشى مع أطروحته، وذلك لإبراز دول المركز والدول التابعة لها.

4.4 المبحث الثالث: فلسفة صدام الحضارات عند هانتنغتون

تصنيف الحضارات ودول مراكزها الذي ذكره هانتنغتون، يتنبأ من خلاله بأن الحضارات سوف تتصادم في النظام العالمي الجديد. في هذا المبحث سوف نتناول هذه الصراعات الناشئة بين الحضارات وخطوط التقسيم بينها، وكيفية حدوث هذه الصراعات في النظام العالمي الجديد، وفقاً لرؤية هانتنغتون. ومن ثم تحليل هذه الرؤية التي جاءت للبحث عن أعداء جدد للإمبراطورية الأمريكية. فقد قسم العداء للحضارة الغربية والإمبراطورية الأمريكية إلى ثلاث مستويات وهي: حضارات التحدي، ومدى تطبيق حقوق الإنسان والديمقراطية، والهجرة إلى الحضارات الغربية. فيقول هانتنغتون واصفاً العالم الناشئ:

> "في العالم الناشئ، لن تكون العلاقات بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة علاقات وثيقة، بل غالباً ما ستكون عدائية، يبد أن هناك علاقات أكثر عرضة للصراع من غيرها، فعلى المستوى الأصغر، فإن أشد خطوط التقسيم الحضاري عنفاً هي تلك الموجودة بين الإسلام وجيرانه الأرثوذوكس والأفارقة والمسيحيين الغربيين. وعلى المستوى الأكبر، فإن التقسيم السائد هو بين الغرب والآخرين، مع أشد الصراعات القائمة بين المجتمعات الإسلامية وبعضها من جهة، والمجتمعات الإسلامية والغرب من جهة أخرى. ومن المرجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي والتوكيد الصيني" (هانتنغتون، 1999، ص293).

يعود هانتنغتون للعلاقات الدولية، مستخدماً مستوياتها لتقسيم الحضارات، فالمستوى الأصغر لديه هو العلاقات الإقليمية، أما المستوى الأكبر فهي العلاقات الدولية في النظام العالمي. والتكتلات القادمة في النظام العالمي نابعة من الحضارات، الدول التي من نفس الثقافة سوف تكون بينها علاقات جيدة لأنها من حضارة واحدة "كتلة واحدة"، أما الحضارات الأخرى فسوف تكون العلاقات عدائية لأنها ستكون من تكتلات مختلفة. فيما يعرض أشد الحضارات عدائية بالنسبة للغرب هي الحضارة الإسلامية والصينية ضد الحضارة الغربية، وهذا ما سوف نتعرف عليه في عرضنا للحضارات وعلاقاتها الناشئة.

1.4.4 الحضارة الغربية والحضارات الأخرى

يرى هانتنغتون أن الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة التي كان لها تأثير على جميع الحضارات وأحياناً مدمر نتيجة التوسع الاستعماري وتبعياته الثقافية والفكرية. العلاقة بين قوة وثقافة الغرب وقوة وثقافة الحضارات الأخرى هي السمة البارزة لصدام الحضارات، لأن الحضارات الأخرى تزداد ثقة الشعوب بثقافتها الأصلية. والمشكلة الرئيسية بين الغرب والباقي، وبالتالي هذا التنافر بين جهود الغرب في نشر الثقافة الغربية، كثقافة عالمية، وانخفاض قدرته على تحقيق ذلك (هانتنغتون، 1999، ص293).

وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي يعتقد بعض مفكري الغرب وعلى رأسهم فوكوياما بأن الثقافة والفكر الغربي سوف ينتشر، على خلاف تنبؤ هانتنغتون الذي أوجد نظام الحضارات. إن فرض الحضارة عن طريق القوة سيجعل الحضارات الأخرى رهينة لهذه الحضارة، رافضين كل تجلياتها، فما بالنا إذا كانت هذه الحضارة ليست سوى تكنولوجيا، والروح التي تعتمد عليها الحضارة الغربية "الأمريكية" هي الروح السيادية والفوقية (الباش، 2005، ص32). ويؤكد هانتنغتون على قوة الحضارة الغربية: "الغرب الآن مسيطر بشكل طاغ وسيظل رقم واحد من ناحية القوة والنفوذ في القرن الواحد والعشرين" (هانتنغتون، 1999، ص135). ويعتقد أن الحضارة الغربية بدأت تنهار مقارنة بالحضارات الأخرى، التي نصيبها من القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية في هبوط بالنسبة لنصيب الحضارات الأخرى (هانتنغتون، 1999،ص134). إلا أنه يطرح بأن هذا الانهيار لا يسير في خط مستقيم، لأن الحضارة الغربية لديها إمكانيات عظيمة للتجدد. ويحدد مصادر التجدد والقوة في الحضارة الغربية بالبحث العلمي والإبداع التكنولوجي في كافة المجالات.

ومن خلال عرضه للحضارات العالمية وعلاقتها بالحضارة الغربية، يكون قد حدد هانتنغتون هدف أطروحته، وهو البحث عن الحضارة التي تتحدى الحضارة الغربية، وتسعى لمنافستها في السياسة الكونية الجديدة لما بعد الحرب الباردة، وقد أوجد هذا العدو من خلال تحليلاته للحضارات العالمية ومدى تأثيرها على الحضارة الغربية، والحقيقة التي يؤكدها هانتنغتون أن ضعف المسلمين وتفككهم هو الذي يؤدي إلى العنف، ويستبعد بشكل قاطع أن يكون الغرب سبباً لغضب المسلمين، ويظهر الحضارة الغربية بمظهر العم الطيب.

1.1.4.4 الغرب وحضارات التحدي

يؤكد هانتنغتون في أُطروحته بأن الحضارات التي تتحدى الحضارة الغربية هي: الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية "علاقات الغرب بالإسلام والصين متوترة على نحو ثابت، وعدائية جداً في معظم الأحوال" (هانتنغتون، 1999، ص295). يرى هانتنغتون أن علاقة أمريكا اللاتينية وإفريقيا هما أضعف من مجابهة الغرب ومعتمدتان عليه، فيما يرى بأن علاقات روسيا واليابان والهند بالغرب من المرجح أن تكون وسطاً بين العلاقات من المجموعتين السابقتين، والذي يطلق عليهم حضارات "التأرجح".

تحليل هانتنغتون وتأكيده على خطوط نزاع سياسية محددة، أضعف أطروحته، إذ يرى فيما وراء النطاق العربي حدثين مهمين: أحداهما "شهادة إثبات آسيوية" بمعنى الصعود الاقتصادي والسياسي لشرق وجنوب شرق آسيا شكلا معاً محور جاذبية جديد للسياسة العالمية. والثاني النهضة الإسلامية، بمعنى إحياء الإسلام كقوة سياسية، ويقيم هانتنغتون علاقة تواطؤ تضم "الكونفوشية والإسلام" تجمع قوى الحضارتين في نزاعتهما مع الغرب (سنغاس، 2008، ص137).

يحصر هانتنغتون الصدام الحضاري ليكون ثنائي الأطراف، الغرب من جهة والاسلام والصين من جهة أخرى، بالرغم من الاختلافات الثقافية بين الاسلام والصين، إلا أن هانتنغتون يؤكد على أن العدو المشترك يخلق مصلحة مشتركة للإسلام والصين. ويعتمد في تحليلاته على إبراز المخاطر المحتملة على الحضارة الغربية. فيما يرى فائز محمود وسجى زيدان التحدي بين الغرب والحضارات العالمية يأتي حسب إمكانية اندماج الحضارات في الحضارة الغربية، فكافة الحضارات تسعى للانضمام بالغرب وليس لها أي تأثير مستقبلاً على الحضارة الغربية، إذن العدو المستقبلي للغرب سوف يكون إما الحضارة الصينية أو الحضارة الإسلامية (محمود وزيدان، 2013، ص320).

2.1.4.4 موقف هانتنغتون من الحضارة الإسلامية

في حديث هانتنغتون عن الحضارات، ذكر بأن الحضارة الإسلامية لا يوجد لها دولة مركز، والعالم الإسلامي والعربي منذ استقلاله من الاحتلال الأوروبي وهو قائم على الأمن القُطري بالرغم من وجود كافة العوامل التي تساعد على قيام وحدة عربية مثل: "اللغة، الدين، الإقليم، الثقافة". ففي ظل الحالة العربية الراهنة يعتبر هانتنغتون الحضارة الإسلامية حضارة تحدى للحضارة الغربية، بل وتشكل الحضارة الإسلامية الخطر الأكبر للعالم الغربي في نظام الحضارات الناشئ. إذن لماذا

يرى هانتنغتون الحضارة الإسلامية هي الخطر القام؟ وكيف يفسر التحدي الإسلامي للحضارة الغربية بالشراكة مع الصين؟

يعتبر هانتنغتون التحولات منذ السبعينيات في العلاقات بين الحضارة الاسلامية والغربية تحمل معادة للغرب، ومن علاماته صعود الأصولية وتحولات القوة داخل الدول الإسلامية، من حكومات أكثر مولاه للغرب إلى حكومات أكثر عداء له، وكذلك ضعف العلاقات الأمنية التي كانت قائمة بين بعض الدول الإسلامية والولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة (هانتنغتون، 1999، ص296). ويفسر العلاقات الجيدة مع بعض الدول العربية والولايات المتحدة بعدم وجود دولة مركز للحضارة الإسلامية، ولهذا تتباين العلاقات من دولة عربية إلى أخرى.

إن السعي وراء امتلاك القوة العسكرية من قبل الدول الإسلامية والكونفوشية يعتبره هانتنغتون تحدياً للغرب والولايات المتحدة التي تمتلك أكبر ترسانة عسكرية، التي تستوردها من الصين، ويؤكد على امتلاك اسلحة بيولوجية ونووية لدى الدول الإسلامية "العراق لديها امكانيات حرب كيماوية كبيرة، وكانت تبذل جهود واسعة للحصول على أسلحة بيولوجية ونووية" (هانتنغتون، 1999، ص301). يعتبر هانتنغتون أن نشر الأسلحة موجود حيث يوجد الاتصال الكونفوشي- الإسلامي، وخاصة إيران وباكستان والعراق، وتعتبر هذه الدول من أكبر متلقي الأسلحة الصينية، ولا يخشي هانتنغتون فقط التسلح التقليدي، بل يركز على مساعدة الصين للدول العربية في امتلاك أسلحة نووية، والولايات المتحدة لا تملك إلا سياسة التعويق على انتشار الأسلحة بين الصين والدول الإسلامية، أو عبر المؤسسات الدولية (هانتنغتون، 1999، ص302-308). هانتنغتون يخشى على الغرب من الصلة الإسلامية – الكونفوشيوسية، في إشارة إلى التعاون النووي بين الصين وبعض الدول الإسلامية، ويرى أن الأصولية[1] النامية في العالم الإسلامي قد تضع نهاية لتطلعات الغرب، ولن تتعامل مع الغرب إلا في إطار العداء التقليدي (زناتى، 2006، ص228).

[1] الأصولية الإسلامية: هي العودة إلى الأصول في العقيدة الإسلامية. ولكن الغرب ركز هذا المصطلح تسمية لبعض الحركات الإسلامية المتصادمة مع بعض أنظمة الحكم، ولبعض الحركات الإسلامية في فلسطين ولبنان باعتبارها تقاتل الكيان الصهيوني، وراح الغرب يكيل لهذه الحركات الإسلامية الهجوم تلو الهجوم حتى أصبح مفهوم الأصولية من أخطر المفاهيم وأصحابها من أخطر الناس على الديمقراطية الغربية والحرية والسلام (الباش، 2005، ص85).

كان هانتنغتون يولى الإسلام اهتماماً أكبر من ذلك الذي يوليه لأي حضارة أخرى، وحاول أن يكرس حتمية الصراع، من خلال استخدام اللغة بشكل بلاغي، لكى يبرز الفارق بين "عالمنا" نحن الأناس الطبيعيين المنطقيين المقبولين، وعالم الإسلام ذي الحدود الدموية والابعاد الناشئة حسب تعبيره، وبالتالي هانتنغتون لا يحلل السياسة العالمية بقدر ما يتحدث عن مجموعة أفكار محددة مسبقاً؛ وهى التي تخلق الصدام بين الحضارات (حسن، 2008، ص29). ويؤكد هانتنغتون بأن حقوق الإنسان والديمقراطية من التحديات الكبرى للعالم الغربي: "في السبعينيات والثمانينات، تحول أكثر من ثلاثين دولة من أنظمة سياسية سلطوية إلى أنظمة ديمقراطية، موجة التحول ورائها أسباب كثيرة، العامل الاقتصادي كان بلا شك العامل الرئيسى" (هانتنغتون، 1999، ص309). وقد بحث هانتنغتون في كتاب له بعنوان " الموجه الثالثة للديمقراطية،1991"، مسألة انتشار الديمقراطية. وبهذا يتفق هانتنغتون مع فوكوياما على أن الاقتصاد وتطوراته تؤدي إلى انتشار الديمقراطية، واختلف معه في قابلية انتشارها، حيث يرجع انتشارها لعوامل ثقافية دينية، "كان التحول الديمقراطي ناجحاً حيث كانت المؤثرات المسيحية والغربية قوية" (هانتنغتون، 1999، ص309). فيما يؤكد بأن الديمقراطية في الدول الإسلامية غير واضحة، "أكبر مقاومة لجهود التحول الديمقراطي جاءت من الإسلام ومن آسيا وكانت هذه المقاومة عميقة الجذور في الحركات العريضة للتوكيد الثقافي المتجسد في الصحوة الإسلامية والإصرار الآسيوي (هانتنغتون، 1999، ص310).

ويمكن الرد على رأى هانتنغتون المتحامل على الإسلام، بأن الإسلام جاء بالعدل والمساواة والديمقراطية قبل 1400عام، الدين الإسلامي أقر العدل في الحكم والدليل على ذلك قوله تعالى: "وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ " (المائدة، الآية 49)، وجاء اتخاذ القرار في الإسلام من خلال الشورى "وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ " (آل عمران، الآية 159). وفي ذلك الوقت كانت أوروبا تغرق بالجهل والاستبداد، وإذا كان هناك خطأ في ممارسة الشورى والديمقراطية في البلدان الإسلامية، فإن هذا لا يعني بأن الإسلام هو العقبة الأساسية أمام الديمقراطية، فهذا عيب في المسلمين وليس في الإسلام. وقد أقر الإسلام العلاقات بين الحضارات من خلال التعاون والحوار، وليس كما يدعي هانتنغتون بأن العلاقات بين الحضارات هي صدام وتحدي، وخاصة بين الغرب والإسلام، والدليل على ذلك قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ " (الحجرات، الآية 13).

أن هذا التصور لدى هانتنغتون يظهر النزعة والتمييز والثنائية بصورة بليغة في الإدراك الغربي، وخصوصاً بعد أن جعل مركزية الغرب هي المعيار في الفكر والوجود، وحاول تبعاً لذلك اختراع العدو عبر تقسيم العالم إلى أقسام جغرافية وسياسية وفكرية (عطوان، 2009، ص245).

يرى هانتنغتون أن الحضارة الإسلامية مرتبطة بالاستبداد ولا تدعم الديمقراطية وحقوق الإنسان، الموجودة في الثقافة الغربية (fox, 2002, p420). فعندما نتحدث عن العدالة والحريات والممارسة الفعلية لها، نجد أن عداء الغرب للإسلام والمسلمين هو عداء للحرية الجوهرية للإنسان، وهو عداء للمساواة، فهل يقبل الغرب التخلي عن مصالحه الاستراتيجية في بترول الأرض العربية وثرواتها وموقعها الاستراتيجي، هل يستطيع الغرب أن يمنح التكنولوجيا المتطورة للمسلمين، حتى يتسنى له إنهاء الصدام وفتح أفق للحوار (الباش، 2005، ص87). إن الإسلام جاء بالحقوق الإنسانية قبل الغرب بقرون، بل هناك حقوق حفظها الإسلام ولم يحفظها الغرب للإنسان حتى اليوم، كالميراث وحقوق الجنين، فالقرآن الكريم حفظ حقوق الإنسان قبل 1400 عام، والغرب أقر حقوق الإنسان في "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" عام 1948.

3.1.4.4 الهجرة والتضخم الديمغرافي

الهجرة هي التحدي الأخير الذي يواجه الحضارة الغربية بقوة في النظام العالمي الجديد، خاصة الهجرات العربية على الدول الأوروبية وحضارتها، "إذا كانت الديموغرافيا قدراً، فإن حركة السكان هي محرك التاريخ" (هانتنغتون، 1999، ص318). فبالرغم من أن أوروبا شكلت أكبر غزو ديمغرافي في القرن التاسع عشر، وخاصة في قارة أمريكا، فلماذا يخشى هانتنغتون الهجرة في تحليلاته لنظام الحضارات الناشئ؟.

يعتبر هانتنغتون الغزو الديمغرافي خطراً قائماً على الحضارة الغربية لعدم اندماج المهاجرين في حضارة الوافدين إليها، "المجتمعات الإسلامية، سواء التركية في ألمانيا أو الجزائرية في فرنسا، لم يتم اندماجها في الثقافات المضيفة" (هانتنغتون، 1999، ص312). ومن ناحية أخرى قلق هانتنغتون الشديد من الهجرة وخاصة الإسلامية إلى الحضارة الغربية هو قلق مستقبلي على التركيبة السكانية في الغرب، "القضية ليست ما إذا كانت أوروبا سوف تتحول إلى الإسلام أو الولايات المتحدة إلى الاسبانية، القضية هي أن أوروبا وأمريكا ستصبحان مجتمعات مشقوقة أو مصدوعة تضم مجتمعين

متمايزين ومنفصلين من حضارتين مختلفتين إلى حد كبير" (هانتنغتون، 1999، ص329). والحل عند هانتنغتون لهذه القضية يتوقف على عدد المهاجرين ومدى استيعابهم في الثقافة الغربية.

هناك الكثير من المفكرين والمنظرين الغربيين الذين كانت لهم آراء حول الإسلام وخطره على الغرب، وجاء التنظير الأكثر أهمية حول الانفجار الديمغرافي في المجتمعات الاسلامية، ووجود أعداد كبيرة من الشباب الذكور بين "15 و30" سنه والعاطلين غالباً عن العمل، وهذه البطالة مصدر طبيعي لعدم الاستقرار داخل الإسلام أو ضد غير المسلمين (محمود وزيدان، 2013، ص325). فيما يرى إيف لاكوست أن مفاد أطروحة هانتنغتون، هو إلى حد كبير نتيجة للتضخم الديمغرافي في العالم الإسلامي حيث ازداد عدد السكان بنسبة ثلاثة أضعاف خلال حوالي أربعين سنة. وهذا يشكل في زعمة السبب الذى سيجعل العالم الإسلامي يتوسع على حساب العالم المسيحي، وهذا يعني أن مفاد نظرة هانتنغتون نتيجة لضغوطات ديمغرافية غير متكافئة (لاكوست، 2010، ص48). وهذا ما أكدة في كتابة الجديد "من نحن؟[1]" عام 2004، فبعد تحذيره من خطر الحضارة الإسلامية والصينية، عاد ليؤكد على الهوية الأمريكية ومدى تأثيرها من الهجرات الوافدة إليها.

من خلال قراءة أمين شلبي لكتاب هانتنغتون الجديد "من نحن" يقول: "يحذر هانتنغتون من الخطر الذي تتعرض له الهوية والثقافة الأمريكية، كما تشكلت على مدى ثلاثة قرون وجوهرها الأنجلوبرتستانتي، من القوة المتعاظمة من الأمريكيين من أصول لاتينية وخاصة المكسيكيين، حيث باتوا يشكلون أكبر أقلية في الولايات المتحدة وأصبح تعدادهم حوالي 40 مليون نسمة، وبشكل أصبح يهدد بانقسام ثقافي ولغوي في المجتمع الأمريكي" (شلبي، 2005، ص157). لذا يشعر هانتنغتون بالخطر المستقبلي على الولايات المتحدة من الداخل، وكذلك تعاظم العداء للولايات المتحدة من خلال ممارسة سياستها الانفرادية في النظام العالمي الجديد.

---

[1] من نحن؟: (Who Are we?,2004) كتاب هانتنغتون الصادر عام 2004، والذي يبحث عن أزمة الهوية الأمريكية خاصة بعد أحداث 11أيلول/ سبتمبر 2001، وأثر الهجرات المستمرة للولايات المتحدة.

2.4.4 الصراعات الحضارية الناشئة

"الحضارات هي القبائل الإنسانية النهائية، وصدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق كوني. في العالم الناشئ" (هانتنغتون، 1999، ص335). يرى هانتنغتون الصدام بين الحضارات هو الصراع الأخير في الكون، ويؤكد بأن العلاقات بين الحضارات المختلفة هي علاقات مصالح ضد حضارة ثالثة، وبالتالي لن تكون العلاقات بين الحضارات المختلفة وثيقة، مؤكداً أن العلاقات بين الحضارات هي صراع وتنافس. الصدام بين الحضارات هو أحدث مرحلة في تطور النزاعات في العالم الحديث، وهذه النزاعات كانت، في المقام الأول، نزاعات داخل الحضارة الغربية حيث كانت حروباً بين الدول الغربية، ومع انتهاء الحرب الباردة انتقلت السياسات العالمية من طورها الغربي ليصبح محورها الأساس التفاعل بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى (راهي، 2012، ص255).

شهد العالم صراعات دامية على مدى تاريخ البشرية، إلا أن النصف الأول من القرن العشرين شهد نشوب حربين عالميتين، وكانت أكثر دموية من أي حروب أخرى شهدها العالم. فقد التهمت هاتان الحربان أكثر من 50 مليون من البشر، بما يقترب من أعداد ضحايا حروب العالم السابقة في التاريخ المعروف، وما يثير الانتباه أن الحربين لم تكونا بين حضارتين مختلفتين، بل كانت داخل الحضارة الغربية (زناتى، 2006، ص199). وهذا يؤكد على أن الصراع لا يكون بين ثقافات مختلفة، وإنما بين مصالح سياسية مختلفة تسعى لفرض هيمنتها على قوى أخرى. وبالعودة لتاريخ أوروبا الوسيط نستطيع أن نقرأ طبيعة الحياة الدينية التي انعكست على الحياة العامة والسياسية وفرض سيطرة الكنيسة على الدولة. ويرى صلاح قنصوه أن هانتنغتون يسقط تاريخ أوروبا من الذاكرة والحروب الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت، وكأنها نوع من المشاجرات والخلافات، ولم يذكر لنا لماذا نشأت البروتستانتية[1] في القرن السادس عشر بالذات؟، ويضيف صلاح قنصوه أن

[1] البروتستانت Protestant: في أوائل القرن السادس عشر ظهر في العالم المسيحي طائفة جديدة أطلق علي معتنقيها "البروتستانت"، وهي كلمة لاتينية تعني المحتجين أو المعترضين، والتي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر. وترجع جذور النشأة إلى الانحلال الديني في العصور الوسطى والفساد الذي بدأ في الكنيسة وطقوسها، وفرض رأي الكنيسة في الأمور الغير دينية، كالآراء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة والشئون السياسية ونظام الحكم (الخراشي، www.saaid.net). لهذه الأسباب ظهرت حركة الإصلاح الديني ومن أهم دعاتها: مارتن لوثر (1483-1546)، الذى رفض "صكوك الغفران" وعلق احتجاجاً على باب الكنيسة في ألمانيا. وكالفن (1509-1564)، بعد وفاه لوثر دعي كالفن إلى البروتستانتية ومن خلال كتاباته ورسائله التي نشرت يعتبر هو من كتب مبادئ البروتستانت. إن حركة الإصلاح الديني بمضمونها تعبر عن التوفيق بين متطلبات عصر النهضة ومتطلبات العالم القديم، وقد استجابت لمتطلبات عصر

المسيحية ليست ابتكاراً غربياً، بحيث يمكن أن نجعل منها سمه فارقة للغرب (هانتنغتون، 1999، ص13:14). فقد اعتبر هانتنغتون المسيحية الغربية سبباً رئيسياً في التحول الديمقراطي لأنظمة الحكم في الدول في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين. بينما يبحث هانتنغتون تاريخ العداء بين الإسلام والمسيحية منذ فجر الإسلام وبداية الرسالة المحمدية "العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواء الأرثوذوكسية أو الغربية كانت عاصفة غالباً... صراع القرن العشرين بين الديمقراطية والليبرالية والماركسية اللينينية، ليس سوى ظاهرة سطحية وزائلة، إذا ما قورن بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية" (هانتنغتون، 1999، ص338).

أما في أواخر القرن العشرين، تحدث هانتنغتون عن زيادة وتيرة الصراع بين الإسلام والغرب "في منتصف التسعينات كان هناك 19 صراعاً بين المسلمين والمسيحيين من مجمل 28 صراعاً بين المسلمين وغير المسلمين عبر خطوط التقسيم الحضاري، إن واحداً فقط من هذه الصراعات العنيفة هو ذلك الذي حدث مباشرة بين "الكروات والبوسنيين" على طول خط التقسيم بين الغرب والإسلام" (هانتنغتون، 1999، ص343). بالإضافة إلى الصراعات في آسيا "من المرجح أن تظل الهند مع باكستان متصارعة حول كشمير" (هانتنغتون، 1999، ص395). يصنف هانتنغتون كافة النزاعات والقضايا الحدودية التي كانت موجودة منذ زمن الحرب الباردة على أنها صراع حضارات.

يحدد هانتنغتون مجموعة من العوامل التي تزيد من حدة الصراع بين الإسلام والغرب وهي:

1. النمو السكاني في الحضارة الإسلامية، أدى إلى زيادة نسبة العاطلين عن العمل والمجندين للقضايا الدينية والراغبين في الهجرة للدول الغربية.
2. العودة للدين الإسلامي زادت من الثقة لدى المسلمين في حضارتهم وقيمهم مقارنه بالحضارة الغربية.
3. تعميم النموذج الغربي والتفوق العسكري والاقتصادي، والتدخل في الصراعات الدولية تولد استياءً شديداً لدي المسلمين.

النهضة وأكدت على أهمية الإنسان ودورة الفاعل في الحياة العامة (الطعان، 1992، ص229–240). ومنذ عصر النهضة إلى اليوم انتشرت البروتستانتية في أوروبا الغربية التي مجدت الإنسان، بالتوافق مع ظهور البرجوازية التي مجدت من الحرية الفردية.

4. سقوط الشيوعية أزال عدواً مشتركاً للغرب وللمسلمين وترك كلاً منهما كي يصبح الخطر المتصور على الآخر، وهذا من الناحية الواقعية غير صحيح، لأن هناك دولاً عربية تحكم وفق نظام اشتراكي حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وكذلك ما زالت العلاقات بين روسيا الاتحادية ودول عربية قوية حتى لو كانت هذه العلاقة قائمة على المصالح.

5. التداخل والاختلاط بين المسلمين والغربيين يثير في كل من الجانبين إحساساً بهويته الخاصة.

مقياس الصدام بين الغرب والإسلام، ليس العدد السكاني أو مقياس القدرة العسكرية التدميرية، إنما هو مقياس صدام القيم الإنسانية الإسلامية مع الفكر العنصري الرأسمالي الذي يريد سحق الشعوب ليسود نمط شعب آخر اعتبروه متحضراً يستحق قيادة العالم (الباش، 2005، ص263). يرى المراقبون والمفكرون الغربيون أن المشكلة مع الإسلام، قد تبدو هي الندرة الملحوظة للحريات: حرية البحث، والتحرر من التلقين والقيود، والتحرر من الفساد الاقتصادي وسوء الإدارة المستشري. لهذا فإن الواقع لهذا السبب هو أن الطريق إلى الديمقراطية المحررة الذي يقدمونه باعتباره علاجاً شافياً لكل العلل، والتي تكثر فيه الشراك الأيديولوجية والمؤسسية (هيك، 2010، ص184).

ووفقا لما يقوله سهيل هاشمي: "الصحوة الإسلامية كانت خليطاً متداخلاً من العناصر التي تشتمل على ما تفرد به العالم الإسلامي وما اشترك به مع مجتمعات أخرى تجاوزت مرحلة الاستعمار والاستيطان، وإننا نقلل من أهمية التحدي الإسلامي لو عزونا أسبابه إلى مجرد الاستياء من قوة الغرب وثروته" (ميردين، 2004، ص798). إن الأوضاع الاقتصادية والسياسية التي تعيشها بلدان العالم الإسلامي، ما بين دول غنية ودول فقيرة من جهة، ودول متخلفة ودول إلى حد ما متقدمة من جهة أخرى، ساعد في الصحوة الإسلامية لدى الأفراد والحركات التي ترى في الدين أيديولوجيا الخلاص.

1.2.4.4 آسيا حلبة صراع الحضارات

آسيا هي أتون الحضارات، وشرق آسيا وحده يضم مجتمعات تنتمي إلى ست حضارات: اليابانية والصينية والأرثوذكسية والبوذية والإسلامية والغربية، وجنوب آسيا يضيف إليها الهندوسية. وتضم أيضاً أربع دول مركز: اليابان، الصين، روسيا، الولايات المتحدة. بالإضافة إلى الهند وإندونيسيا، القوة الإسلامية الصاعدة (هانتنغتون، 1999، ص354). ويرى هانتنغتون طبيعة آسيا والعلاقات التي تربط بين الحضارات والاختلافات السياسية والاقتصادية تزيد من حدة التناقض

والصراع بينها. بالرغم من النمو الاقتصادي في شرق آسيا، إلا أن هانتنغتون تنبأ بمستقبل صراعي بين هذه الحضارات، وذلك نتيجة اختلافات انظمة الحكم مقارنة بأوروبا الغربية التي يوجد بها ديمقراطيات مستقرة وتكامل اقتصادي متوج بالاتحاد الأوروبي. مع أن دول شرق أسيا يوجد بينها منظمتين للبحث في سبل التنمية الاقتصادية وطريق البداية في تكامل اقتصادي أسيوي كمنظمة آسيان ASEAN.

ويؤكد هانتنغتون على وجود صراعات في دول شرق آسيا، الكوريتين احتمال نشوب حرب إلا أنه احتمال ضعيف، واحتمالات أن يحارب الصينيون تايوان إذا تخلت تايوان عن هويتها الصينية وأعلنت استقلالها. آسيا هي منطقة حرب باردة بين دول تنتمى لحضارات مختلفة، فهناك الكثير من النزعات الإقليمية في شرق آسيا لم تحل، كتلك التي بين روسيا واليابان على الجزر الشمالية، وبين الصين واليابان، وبين فيتنام والفلبين (هانتنغتون، 1999، ص356).

تنبأ هانتنغتون بأن التطورات المستقبلية لصدام الحضارات سوف يكون في آسيا في أوائل القرن الحادي والعشرين، "العلاقات التعاونية والمتصارعة شديدة التعقيد، تضم معظم القوى الكبرى والقوى ذات المستوى المتوسط في المنطقة، أو قد تشكل قوة رئيسية، ونظام دول متعدد الأقطاب ليضم الصين واليابان والولايات المتحدة وروسيا، وربما الهند الذين يتوازنون ويتنافسون مع بعضهم البعض" (هانتنغتون، 1999، ص371). يرى هانتنغتون أن تاريخ الصين وحضاراتها وحجمها، تجبرها على اتخاذ وضع هيمنة في المستقبل، وخاصة بعد النمو الاقتصادي السريع في القرن الحالي، بالرغم من الأزمة الاقتصادية العالمية التي لم تؤثر على اقتصاد الصين، بل زادت من تقدمها في السوق الدولية، بالمقارنة مع الدول الغربية التي عصفت بها الأزمة المالية وباقتصادها.

2.2.4.4 حروب الحضارات

في ظل النظام العالمي الجديد، ومع انتهاء الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، لم تنتهِ الحروب بل تغيرت عواملها وخواصها، هانتنغتون في أطروحته يوضح بأن الحرب الباردة انتهت من السياسة الكونية وبدأت حقبة جديدة وهي حروب الحضارات، والتي يرى أنها آخر مراحل الصراع بين الدول. رغم أن هانتنغتون يستبعد احتمال حرب كونية بين الحضارات ودول مراكزها، إلا أن هذا الفرض لديه ليس مستحيلاً، والواقع أن الصراع سيكون حتمي في ظل خطوط التقسيم الحضاري.

وصف مهدى المنجرة[1] الحرب على العراق بكونها حرب إبادة حقيقية، نزلت على الشعب العراقي أثناءها أكثر مما يساوي 15 قنبلة هيروشيما. كما اعتبر أن حرب الخليج لا تنحصر في كونها حرباً ذات مصالح سياسية واقتصادية وعسكرية، بل تتخطاها إلي كونها حرباً ذات أهداف حضارية (بويا، 2008، ص17). ويختلف هانتنغتون مع المنجرة في بداية الحرب الحضارية، حيث يعتبر هانتنغتون الحرب الروسية – الأفغانية في الفترة (1979–1989)، هي الحرب الحضارية الأولي. مع أن هذه الحرب وقعت في ظل الكتلتين أثناء الحرب الباردة، أما الحرب الحضارية الثانية هي حرب الخليج 1991. ويوضح هانتنغتون كيفية تحول حرب الخليج 1991 إلى حرب حضارات، "حرب الخليج تحولت إلى حرب حضارات لأن الغرب تدخل عسكرياً في صراع إسلامي، الغربيون دعموا هذا التدخل بأغلبية ساحقة، والمسلمون في جميع أنحاء العالم فهموه على أنه حرب ضدهم" (هانتنغتون، 1999، ص401). وعلى صحة فرض هانتنغتون وتماشياً مع أطروحته، لا تعد حرب "العراق – الكويت"، حرباً حضارية، لأن الحرب وقعت كنزاع بين دولتين تنتميان لنفس الحضارة. هذا بالإضافة إلى الدول العربية التي شاركت في الحرب، حيث ضم التحالف الذي تشكل بقيادة الأمم المتحدة من أجل تحرير الكويت، والذى قادته الولايات المتحدة وبمشاركة دول عربية "مصر، سوريا، المملكة العربية السعودية" (لاكوست، 2010، ص45). وهذا يدل على أن حرب الخليج 1991 هي حرب لإنهاء نظام الحكم والسيطرة على الموارد الطبيعية في العراق

1.2.2.4.4 خصائص ومميزات حروب التقسيم الحضاري

يرى هانتنغتون أن حروب خطوط التقسيم الحضاري تتميز بأنها صراعات طائفية بين دول أو جماعات تنتمى إلى حضارات مختلفة، وهي صراعات تحولت إلى عنف، وقد تنشب هذه الصراعات بين الدول أو بين جماعات غير حكومية، أو بين دول وجماعات حكومية. صراعات خطوط التقسيم الحضاري داخل الدول قد تتضمن جماعات تتمركز بشكل عام في مناطق جغرافية محدودة (هانتنغتون، 1999، ص409). ويضرب أمثلة على هذه الصراعات كما هو الحال بين الهندوس

---

[1] مهدى المنجرة: باحث في علم المستقبليات ومفكر مغربي، وله العديد من المؤلفات وأشهرها كتاب "الحرب الحضارية الأولي مستقبل الماضي وماضي المستقبل1991"، الذى ترجم إلى سبع لغات عالمية.

والمسلمين في الهند، والمسلمين والصينيين في ماليزيا. أما عن الصرعات الإثنية[1]، فقد حدثت أهم هذه الحروب بين الصرب والكروات في يوغوسلافيا السابقة، وبين البوذيين والهندوس في سريلانكا.

لا ينكر دييتر سنغاس الطابع الثقافي لهذه النزاعات، إلا أن العوامل الثقافية في بداية هذه النزاعات لا تكون ذات أهمية كبيرة، لأن النزاع الذى يثيره ويؤججه عوامل اقتصادية أو اجتماعية (سنغاس، 2008، ص140). فيما يقول إيف لاكوست "من البديهي أن تقوم في مناطق الاحتكاك بين الأديان والحضارات صراعات دينية، وهانتنغتون يحصيها بعناية، غير أنه تجدر الملاحظة إلى أنه من المستغرب جداً أن يمر مرور الكرام على الصراع الفلسطيني– الإسرائيلي" (لاكوست، 2010، ص46). صراع الثقافات لا يفسر لنا أسباب وأهداف التوسعات الاستعمارية، والحروب الناتجة عنها، وخاصة إذا كان التوسع الاستعماري يقوم على أراضي الحضارات الأخرى. وكذلك الأمر لا يفسر لنا الحروب الحديثة المتعلقة بالاقتصاد والتقنية.

2.2.2.4.4 الدوافع المحركة لحروب خط التقسيم الحضاري

يحدد هانتنغتون عدة دوافع تؤجج الحروب الحضارية على خطوط التقسيم بين الدول التي تتبع الحضارات المختلفة، حيث إنه يراها دائماً تتسع، وقد تتوقف إلا أنه لا يرى لها حلاً سوى الصراع الحتمي. كذلك في الحرب الباردة كانت الكتل تضم عدة هويات ثقافية، غير أنه اليوم الهويات تتحد وتتفرق حسب الانتماءات الثقافية للدول، "الهويات التي كانت في الماضي متعددة وعريضة تصبح مركزة ومتصلبة، فالصراعات الطائفية تسمى "حروب هوية"، وهي تسمية ملائمة" (هانتنغتون، 1999، ص431).

---

[1] الإثنية Ethnic: شاع استخدم مصطلح الإثنية منذ بدايات القرن العشرين، وكلمة إثني Ethnic من أصل إغريقي وتعني الوثني أو الهمجي غير المتمدن، أما *Ethnos* بمعنى أمة ، قد أطلقت بصفة خاصة على الأمم من غير بني إسرائيل، فيما استخدم اللفظ في العصور الوسطي للإشارة لمن هم غير اليهود أو المسيحيين. وتعرف الموسوعة البريطانية الإثنية: جماعة اجتماعية أو فئة من الأفراد في إطار مجتمع أكبر. تجمعهم روابط مشتركة من العرق واللغة والقومية أو الثقافة (مهدي، 2002، ص27:26).

وتستخدم كلمة "إثنية" مرادفة لكلمة "القومية"، ولكن هناك فارق بين "الإثنية" و"العرقية": الهوية الإثنية تركز على سلالة مشتركة، وعلى إرث ثقافي مشترك سببه السلالة المشتركة أكثر من تركيزها على المطامح السياسية لبلوغ استقلال ذاتي. أما الهوية القومية تركز على الحدود السياسية والاستقلال الذاتي (جوزيف، 2007، ص204). ويقصد هانتنغتون بتصارع "الإثنيات" أي تصارع الجماعات المختلفة التي تنتمي لحضارات مختلفة.

الصراعات الحضارية بين الجماعات المختلفة، قد تكون دولاً أو طوائف تنبع من الوعي الحضاري، ويؤكد هانتنغتون بأن الصراع يتحدد بثنائية "نحن" و "هم"، بمعنى آخر، الهوية الحضارية تتحد من خلال الصراع. وأخيراً يرى هانتنغتون بأن الهوية الثقافية ترتبط بالدين "غالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين. فمن الناحية النفسية يقدم الدين التبرير الأكثر توكيداً ودعماً للصراع ضد القوى الكافرة التي ينظر إليها كخطر" (هانتنغتون، 1999، ص433). ويرجع أهمية الدين في أطروحة هانتنغتون لأن الحضارات الكبرى في التاريخ البشري كانت قد ارتبطت في تحديدها بالديانات العالمية العظمي (راهي، 2012، ص256).

من أخطر النتائج التي تحملها أطروحة هانتنغتون تأكيدها بأن الهوية الثقافية تتحدد من خلال الصراع مع الآخر، وذلك لأن الهوية تترسخ في أعلى أشكال الصراع والحروب، فبالحرب يتحقق التماسك الاجتماعي، لأن وجود عدو مشترك من شأنه إزاله الانقسامات داخل الحضارة الواحدة أو الدولة (زناتى، 2006،ص230). الولايات المتحدة بحاجة إلى عدو دائم، وبعد نهاية الحرب الباردة أصبح مصطلح "إمبراطورية الشر" في ذمة التاريخ، وهانتنغتون أوجد عدواً جديداً للولايات المتحدة وهو الخطر الإسلامي، "مسألة المرء أن يكون أمريكياً يعني التزامه بقيم الحرية، والديمقراطية الفردانية، والملكية الخاصة، وإذا لم يكن هناك امبراطورية شر تهدد هذه المبادئ، فماذا يعني بالفعل أن تكون أمريكياً" (محمود وزيدان، 2013، ص322). إن الخطر المحتمل على أي دولة يجعل إدارتها الداخلية متماسكة لمواجهة هذا الخطر.

3.2.4.4 مستقبل الحضارات

في نهاية أطروحته يتحدث هانتنغتون عن مستقبل النظام الحضاري الذى عرضه طوال أُطروحته على أنه صدام حتمي. وقد غفل للحظة عن تحليلاته السوداوية بشأن الصدام المرتقب بين الحضارات، إذ يدعو في النهاية إلى التفاهم والتعاون بين كبار السياسيين والمثقفين في جميع الحضارات (سنغاس، 2008، ص144). البحث عن سبل الصدام وحتميته، تجعل رؤية هانتنغتون لمستقبل العالم الجديد تشاؤمية، فهو يبحث عن عوامل الصدام لا عوامل الالتقاء.

1.3.2.4.4 مستقبل الحضارة الغربية

يتفق هانتنغتون مع كارول كويجلي Caroll quigley في كتابه "تطور الحضارات"، على مستقبل الغرب في الصراع الحضاري، ويعتقد كويجلي بأن الحضارة الغربية قد انتقلت من مرحلة

الاقتتال لتكون منطقة أمان حيث لا يتصور قيام حروب بين الدول الغربية، من خلال التزامها بانتهاج سياسات تعددية وديمقراطية (زناتى، 2006، ص229). هانتنغتون يرى الحضارة الغربية منطقة أمنية حصينة ضد أي صراع، "الغرب باختصار أصبح مجتمعاً ناضجاً، يدخل فيما سوف تسمية الأجيال القادمة بالعصر الذهبي، في نظام الحضارات المتكرر (هانتنغتون، 1999، ص489). ويختلف هانتنغتون مع أرنولد تونبي الذي يحدد مرور الحضارات بثلاث مراحل وهي "النشوء، النضج، الأفول"، ويؤكد هانتنغتون بأن الحضارة الغربية لا يمكن أن تتمثل على منحنى هبوط الحضارات بسبب نظامها السياسي، وتفوقها العسكري والاقتصادي. ويدحض طارق متري تصور هانتنغتون للحضارة الغربية والمتمثلة في الولايات المتحدة في كتابه "مدينة على جبل"، ويبين بالقرائن والأدلة مقولة أن الولايات المتحدة مدينة على جبل. هي معكوسة فالولايات المتحدة جبل على مدينة، الدين والسياسة ليس في الولايات المتحدة وحدها، وإنما عالمياً هما الحقلان الأشد إثارة للجدل والخلاف والنزاع بين بنى البشر. ويعتقد بأن الولايات المتحدة هي البلد الأشد إثارة للجدل والخلاف والنزاع في عالم اليوم (غصن، 2004). وهذا يعني أن الولايات المتحدة هي النموذج الأمثل الذي لابد منه، وعلى حضارات العالم الاقتداء به.

2.3.2.4.4 مستقبل الحضارات العالمية

يتحدد تصور هانتنغتون لمستقبل الحضارات عندما يبحث عن حضارات التحدي للحضارة الغربية، وهي الحضارة الإسلامية والتوكيد الصيني، أي أن الخطر القادم على الحضارة الغربية يأتي من الإسلام وبمساعدة الصين، مع أنه لا يوجد خط تصادم بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة، سوى القواعد العسكرية الموجودة في العالم الإسلامي، والتي تعتبرها الولايات المتحدة هي حدودها في الشرق الأوسط، وبالتالي هي خطوط التقسيم الحضاري بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي.

ويرى هانتنغتون بأن حرباً كونية تشارك فيها دول المركز في حضارات العالم الرئيسية أمر بعيد الاحتمال، ولكنه ليس مستحيلاً (هانتنغتون، 1999، ص505). وكذلك ميزان القوى المتغير بين الحضارات هو أحد المصادر لقيام حرب كونية. هانتنغتون ينظر لقوة الصين العالمية بأحد مصادر الحرب الحضارية القادمة حيث يقول: "إن صعود الصين، والتوكيد المتزايد لأكبر لاعب في تاريخ الإنسانية إذا استمر، سوف يخلق توتراً شديداً في الاستقرار العالمي في أوائل القرن الحادي

والعشرين" (هانتنغتون، 1999، ص506). ويؤكد هانتنغتون بأن أي صراع حضاري يحدث سوف يكون على الأرجح أحد أطرافه من الدول الإسلامية.

وفي ختام أُطروحته، يبحث هانتنغتون عن العوامل المشتركة بين الحضارات، محدداً ثلاثة قوانين لمنع نشوب صراعات حضارية وهي:

1. **قانون الامتناع:** حيث تمتنع دول المركز في التدخل فيما يجرى داخل الحضارات من صراع (العلوي، 2005، ص115).
2. **قانون الوساطة المشتركة:** يقوم على أساس المفاوضة بين دول المركز فيما بينها لإيقاف حروب التقسيم الحضاري بين الدول أو الجماعات داخل حضاراتها (العلوي، 2005، ص115).
3. **قانون العوامل المشتركة:** وهو البحث عن القيم والمؤسسات المشتركة بين شعوب الحضارات المختلفة (هانتنغتون، 9199، ص518).

5.4 الخلاصة

يؤكد هانتنغتون بأن الحروب الحضارية لا يمكن أن تنتهي، "عنف خطوط التقسيم الحضاري قد يتوقف تماماً لفترة من الزمن، ولكنه نادراً ما ينتهي تماماً" (هانتنغتون، 1999، ص473).

إن فرضيات ومصوغات أُطروحة هانتنغتون منذ بدايتها حتى نهايتها، كانت تبحث عن الصراعات الحضارية دون البحث عن التفاهمات أو العوامل المشتركة في الحضارات العالمية. ولم يبحث في تاريخ الحضارات وصراعاتها بقدر ما استنفد البحث عن الحضارة الإسلامية التي سوف تتحدى الولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل، والتي تشكل تهديداً حقيقياً على قوة وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال التوكيد الصيني للحضارة الإسلامية. مع أنه لا يوجد خطوط تصادم، حسب فرضية هانتنغتون، بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة سوى القواعد العسكرية الموجودة في العالم الإسلامي، والتي تعتبرها الولايات المتحدة حدودها الموجودة في الشرق الأوسط.

ويختلف هانتنغتون مع توينبي الذي حدد تطور الحضارات بثلاث مراحل وهي: "النشوء، والنضج، والأفول"، ويؤكد هانتنغتون بأن الحضارة الغربية هي حضارة ديناميكية تتغلب حسب طبيعتها ونظامها السياسي على كافة القضايا والمشاكل، وبالتالي لا يمكن أن تتراجع هيمنة

الإمبراطورية الأمريكية. كما يختلف هانتنغتون مع فرناند بردويل الذى تحدث عن صدام الحضارات قبل هانتنغتون، فإن فكرة الصدام عند بردويل هي إيجابية وتفاؤلية، حيث تنتقل الثقافة والتكنولوجيا من الحضارات الأقوى إلى الحضارات الأضعف، وبذلك يكون الصراع قائماً على التقدم. أما هانتنغتون فيصور لنا الصراع بأنه حتمي لا محالة من خلال تحليلاته السوداوية، التي تحمل الخوف الشديد على الحضارة الغربية ومكانة الإمبراطورية الأمريكية من التحدي الإسلامي، الذى يجابه الغرب في الألفية الثالثة، وفي هذه الفكرة يتفق هانتنغتون مع برنارد لويس الذى كان أول المؤرخين الأمريكيين الذين حذرو من الخطر الإسلامي القادم.

في الفصلين السابقين، عرضنا أُطروحتي فوكوياما وهانتنغتون بالشرح والتحليل، أما في الفصل القادم سوف نتعرف على ممارسة أفكار فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية، وكيفية تطبيق تنظيراتهم الفكرية في النظام العالمي الجديد.

الفصل الخامس

طُروحات فوكوياما وهانتنغتون بين النقد الفكري والممارسة السياسية

المبحث الأول: النقد الفكري والواقعي لأطروحتي فوكوياما وهانتنغتون

المبحث الثاني: تغير المواقف الفكرية عند فوكوياما وهانتنغتون

المبحث الثالث: الممارسة السياسية لفكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية

المبحث الرابع: التحولات الفكرية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية

1.5 تمهيد

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق تعاظمت نداءات الإدارة الأمريكية بنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، وكذلك سعيها المتواصل لتطبيق النظام الديمقراطي الليبرالي في دول العالم، والذي نظر إليه فوكوياما على أنه أفضل النظم السياسية، وبالتالي مثلت الديمقراطية الليبرالية نهاية تطور البشرية الفكري. وبظهور أُطروحة هانتنغتون التي تنظر إلى حتمية الصراع بين الحضارات وتحذر من عدو جديد للولايات المتحدة تواترت أُطروحة فوكوياما في السياسة الأمريكية. فقد شهدت السياسة الأمريكية تطبيقاً عملياً لفكر فوكوياما وهانتنغتون وما تضمنته طُروحاتهما الفكرية في فترات متقاربة، حيث نالت إعجاب إدارة جورج بوش الابن في فترتين رئاسيتين (2001–2009)، وعملت على ممارستها في السياسة الخارجية الأمريكية. وبعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، مارست الإدارة الأمريكية أفكار هانتنغتون التي صنفت العالم الإسلامي بالعدو الجديد للولايات المتحدة الأمريكية.

وفي هذا الفصل سوف نعرض أهم الانتقادات التي وجهت لفوكوياما وهانتنغتون من المنظورين الفكري والواقعي، ومن ثم نرى كيف مارست الإدارة الأمريكية فكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الخارجية؟، بالإضافة إلى التغيرات في مواقفهم الفكرية. وكذلك سوف أناقش أهم التحولات الفكرية والسياسية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية، للتعرف على تقارب أو تباعد الرؤى والأفكار الجديدة من رؤى وأفكار فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية.

2.5 المبحث الأول: النقد الفكري والواقعي لأطُروحتي فوكوياما وهانتنغتون

في بداية طرح فوكوياما وهانتنغتون لآرائهم الفكرية التي تضمنتها أطروحاتهما، انتشرت كالنار في الهشيم، في مختلف دول العالم، وكما كانت لهذه الطروحات شهرتها وانتشارها الواسع وترجمتها إلى عدة لغات عالمية، وبالقدر نفسه جاءت الانتقادات لطُروحات فوكوياما وهانتنغتون من مختلف بلدان العالم أيضاً، وبالإضافة إلى النقد الفكري لفوكوياما وهانتنغتون من جهة، والنقد الواقعي من جهة أخرى، وفي هذا المبحث سوف نعرض ونحلل هذه الانتقادات التي تمحورت حول أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون.

1.2.5 نقد أُطروحة فوكوياما

إن أُطروحة فوكوياما من داخلها البنيوي[1] تحمل تناقضات فكرية كبيرة، وهذا ما سوف نقوم بتحليله من المنظور الفكري، وفقاً لما كتبه فوكوياما في أُطروحته "نهاية التاريخ"، وانتقاد بعض المفكرين والسياسيين لها. ومن ثم سوف نقوم بتحليل الأُطروحة من المنظور الواقعي ومقارنتها بالواقع الذي نعيشه، كي نرى مدى صدقها على أرض الواقع.

1.1.2.5 نقد الأُطروحة من المنظور الفكري

عمل هيجل جاهداً على بناء نظرية فلسفية في التاريخ، يكون الواقع تابعاً للفكر أو للعقل، وانطلق من واقعه الألماني المجزأ، في محاولة منه لتغيير الواقع، وعندما اجتاح نابليون بلاده في

---

[1] البنيوية: إن أصل كلمة البنيوية في اللغات الأوروبية من الأصل اللاتيني "Stuere" الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبني ما، ثم اتسعت لتشمل الطريقة التي تتكيف بها الأجزاء لتكون كلاً ما، سواء أكان جسما حيا أم معدنياً أو قولاً لغوياً، فيما تضيف بعض المعاجم الأوروبية فكرة التضامن بين الأجزاء (فضل، 1998، ص120:121). والبنيوية من وجهة نظر جون ستروك John Struck ما هي إلا "منهج بحث"، أي طريقة معينة يتناول بها الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة بحيث تخضع هذه المعطيات فيما يقول البنيويون– إلى المعايير العقلية (ستروك، 1996، ص7).

وتعرف البنيوية بأنها: محاولة عملية منهجية لدراسة الظواهر عموماً والظواهر البشرية خصوصاً من وجهة نظر البنية سواء أكانت نموذج أو بناء صوري أم علاقات باطنه مكونه لوحدة أي موضوع أم كانت وسيلة معرفية أكثر معقولية وأشد ملاءمة لمقتضي الحال بالقياس إلى غيرها من الوسائل الأخرى، وسواء كان النموذج اللغوي هو النموذج الأساسي في العلوم الإنسانية أم كان تكييف كل نموذج مع الطبيعة النوعية لكل موضوع (شكشك، 2009، ص153). وتعني البنيوية في اللغة العربية: الكيفية التي شيد على نحوها هذا البناء أو ذاك (شكشك، 2009، ص154).

معركة يينا[1] Iena عام 1806، بدت له ألمانيا تتحرك وتتوحد، وشعر بوحدة التاريخ في أقصى حالاته، واعتبر هيجل ما تحقق في حروب نابليون في أوروبا يمثل نهاية التاريخ وظهور الدولة الشمولية المنسجمة (محمود، 1992، ص133:132). إلا أن التاريخ لم ينتهِ واستمرت التناقضات في مجتمعات أوروبا، وخاصة بعد ظهور النظرية الماركسية التي كانت نقيضاً فكرياً للرأسمالية. وعندما انتصر الغرب في الحرب العالمية الثانية، ثم تشكل الاتحاد الأوروبي فيما بعد. رأى الكسندر كوجيف في هذا الانتصار عودة للانتصار النابليوني، حيث برزت الدولة العالمية في نظره أكثر انسجاماً في سياقها الرأسمالي، وتجسيداً عملياً للروح المطلقة (محمود، 1992، ص133). وبسقوط سور برلين عام 1989 وانهيار الاتحاد السوفيتي كأيديولوجيا سياسية منافسة للرأسمالية، رأى فوكوياما أن التاريخ وصل إلى نهايته، وأن هناك توجهاً نحو الديمقراطية الليبرالية حول العالم. واستند فوكوياما في فلسفته للتاريخ على فلسفة النهاية لكل من هيجل وكوجيف السابقة. ويرى عبد القادر بومسهولي أنه لم يختفِ تأثير كوجيف على الفكر الإنساني، فبعد غيابه انبعث مجدداً في أمريكا من خلال فوكوياما المتحمس "لنهاية التاريخ"، الذي جعل "هيجل– كوجيف" يعود ثانية إلى مسرح الوجود الحالي، إن اكتشاف الفكر الأصلي لهيجل بالنسبة لفوكوياما هدف مهم. ولكن الذي يهمه هنا ليس هيجل من أجل هيجل، بل هيجل كما يفسره – كوجيف، وقد يكون فيلسوفاً تركيبياً جديداً يدعى "هيجل – كوجيف" (بومسهولي، يوليو/ تموز 2011). عندما أعلن فوكوياما في بداية أُطروحته أنه يعتمد على فلسفة هيجل التاريخية، وخاصة في صراع الأفكار التي تنتهى بحصول الفرد على الاعتراف العام، غير أن فوكوياما اعتمد في تحليلاته على كوجيف وليس هيجل، واعتقد بأن فكر كوجيف كان مهرب فوكوياما حينما لا تتطابق أفكاره مع هيجل وخاصة في أفضل النظم السياسية، حيث أعلن كوجيف بأن الرأسمالية هي تمثل الروح المطلقة، أما هيجل فلم يتحدث عن أفضل النظم بقدر ما تحدث عن فلسفة صراع الأفكار والحالة الجدلية في المجتمع.

[1] معركة يينا Iena 1806: في معركة "يينا" هزم نابليون بونابرت (1709–1821) بروسيا وبسط هيمنته على أغلب أقاليم جرمانيا، وبينما كانت مدافع نابليون تدك مدينة "يينا" عام 1806، نشر هيجل كتابه "فنومينولوجيا الروح"، أثناء تلك المعركة الشهيرة التي انتصرت فيها القوات الفرنسية على الجيش البروسي. وفي ذلك الزمن شاهد هيجل نابليون ممتطياً صهوة جواده، فقال قولته الشهيرة: "لقد رأيت المطلق راكباً على حصان" (إسبر، 26 يونيو/ حزيران 2006، ص16).

إن الانتقادات التي وجهت إلى أطروحة فوكوياما كثيرة جداً، إلا أن أهم انتقاد لأطروحته هو انتقاده لنفسه في كتابه، "مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، 2002"[1]، حيث يقول: "خلال تأملي في المقالات النقدية العديدة التي تناولت مقالي الأصلي، يبدو لي أن الحجة الوحيدة التي لم يكن من الممكن دحضها هي أنه لا يمكن أن تكون هناك نهاية للتاريخ ما لم يكن هناك نهاية للعلم" (فوكوياما، 2006، ص7). فسر فوكوياما التاريخ البشري من خلال المحركان اللذان يؤديان إلى دولة نهاية التاريخ، "الازدهار المستمر في العلوم الطبيعية الحديثة، والسعي إلى نيل الاعتراف" (فوكوياما(أ)،1993، ص184). إن ما يود قوله فوكوياما هنا هو باعتماد الدولة على التنمية والعلوم الطبيعية الحديثة، سوف يتحول اقتصادها إلى ليبرالي معولم، والفرد لا يحصل على الإعتراف بإنسانيته سوى في النظام الديمقراطي، وعندما تعتمد الدول على هذين المحركين سوف تنتشر الديمقراطية الليبرالية في دول العالم. إلا أن الاكتشافات العلمية والتطورات التقنية الهائلة في عالم اليوم، تنفى نهاية العلم وهذا بدورة ينفي نهاية التاريخ، ففي كل يوم هناك اكتشاف علمي جديد. ومن جانب آخر، في حديث فوكوياما عن العلم والتكنولوجيا تناسى شموليته، فما دام العالم مقسماً إلى عالم منتج للتكنولوجيا وعالم مستهلك لها، فإن العدالة بين البشر تبقى مطلباً مستحيلاً وشعاراً لا يتحقق، وتناسى أيضاً أن الحريات والديمقراطية والحقوق جميعها رهينة حق الاختلاف والتعدد (عروسي، 2002، ص125).

أما الفيلسوف جاك ديريدا رد على أُطروحة فوكوياما من خلال كتاب بعنوان، "أطياف ماركس"، ورأى الخطاب الغربي المتعلق بحقوق الإنسان غير ملائم مع نهاية التاريخ ومنافياً له، في ظل قانون السوق والديون الخارجية، والتفاوت في التطور التقني والعلمي والعسكري والاقتصادي. "في التاريخ الإنساني: لم يسبق قط للعنف، وللتفاوت، وللإقصاء، وللجوع، وللضغط الاقتصادي أن أثروا على هذا الكم من الكائنات الإنسانية في تاريخ الأرض والبشرية، فعوضاً عن التغني بمجيء

[1] مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية Our Posthuman Consequences of the Biotechnology Revolution, 2002،: الذي يبحث فيه عن تقدم العلوم والتقنية الحيوية، التي سوف يكون لها تأثيراتها على السياسة، من خلال الدخول إلى العالم ما بعد البشري، والذي يقصده فوكوياما بالعالم ما بعد البشري هو: القدرة التقنية على تعديل جوهر البشر تعديلاً جينياً. ويعلن عن تخوفه من هذه التقنية على الإنسان وحياته المشتركة بزيادة معدلات الذكاء أو خروج هتلر جديد من خلال التهجين، وقد يصبح العالم أكثر سلطوية مما هو عليه الآن، وتضيع فيه أي فكرة عن الإنسانية المشتركة من خلال دمج جينات بشرية بأنواع أخرى من الأحياء، بحيث لا يكون لدنيا فكرة واضحة عن ماهية الإنسان.

المثالية الديمقراطية والليبرالية، وبالسوق الرأسمالي في بهجة نهاية التاريخ، وعوضاً عن الاحتفال بنهاية الأيديولوجيات، يجب أن لا نهمل أبداً هذه البديهة المرئية والمصنوعة من عدد لا يحصى من الآلام الفريدة" (ديريدا، 2006، ص164). فوكوياما في أُطروحته افترض عدة فرضيات، ومن ثم استخدمها كمسلمات، كإسقاط الأيديولوجيا السياسية، واعتبر الأيديولوجيات القائمة في النظام العالمي الجديد، كالأيديولوجيا الصينية والإسلامية، هي أيديولوجيات محلية لا ترتقى إلى العالمية. وبهذه الفرضيات أسقط فوكوياما مبدأ الاختلاف والتعدد، التي تعتبر من المبادئ الأساسية للديمقراطية الليبرالية.

ومن جانب آخر، عامر فياض وعماد مولد يؤكدان أن روح الانتصار التي يتحدث عنها فوكوياما، والتي حصلت عليها الأيديولوجيا الديمقراطية لا يوجد لها ضمانة حقيقية بأنها سوف تكون النقطة النهائية في التطور الأيديولوجي، ما دام إنتصارها مرهون بالقوة، لذلك فمن المحتمل أن تظهر الأيديولوجيات المنافسة للديمقراطية الليبرالية كالملكية أو الدينية أو الفاشية أو الشيوعية من جديد، إذا ما استولت على مصادر القوة (فياض ومولود، 2011، ص48). فوكوياما كان فرحاً بالانتصار الليبرالي، غير أن الاتحاد السوفيتي سقط من داخله، ولم يكن هناك أي عامل خارجي لسقوطه أو أي نوع من السطوة الأمريكية أو الأيديولوجية على الاتحاد السوفيتي السابق، سوى المنافسة الأيديولوجية والعسكرية.

إن المنهج الجدلي يتمتع بحيوية أكبر من أن يقف عند هذا الحد، فكلما وصل العقل إلى مرحلة يعتقد أنها هي الفكرة النهائية، كلما فوجئ بأنها ليست هي الغاية، وذلك بسبب تناقض بعض جوانب هذه الفكرة (الصالح، 1997، ص77). إن فوكوياما أنهى حالة الجدل وأوقفها عند الليبرالية الديمقراطية كمرحلة نهائية من تطور الفكر والأيديولوجيا، وذلك من خلال حل كافة التناقضات في المجتمع، وبالتالي ظهور الدولة العامة والمتجانسة معلناً عن نهاية التاريخ.

ويكتب كريستيان دولا كامباني ثلاث اعتراضات على آراء فوكوياما، وهذه الاعتراضات من الصعوبة أن يرد عليها فوكوياما في عالم اليوم وهى (كامباني، 2003، 17-19):

1. لا يوجد إثبات بأن هناك انتصاراً لأفضل نظام سياسي، حتى لو افترضنا بأنه سوف يشكل أخر الأحداث الهامة بالنسبة للبشرية، فكل يوم هناك تقدم علمي في الطب والزارعة والغذاء، وبالتالي لا يوجد ما يثبت أن فوكوياما يحدد نهاية التاريخ.

2. التطورات في النظام العالمي منذ عشر سنوات إلى الآن لا يبرهن قط على صحة نبوءات فوكوياما، فهناك دول ترفض النظام الديمقراطي، حتى التي تطبق النظام كالدول التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي، يوجد بها قوى مناهضة تستهدف تغير النظام السياسي. وبذلك فإن الحديث عن نهاية التاريخ يعد سابقاً لأوانه، والحديث عن انتصاره يعد خارجاً عن الأصول.

3. لابد من رفض الفكرة التي تعبر عن وجود نظام أفضل من النظم الأخرى. فمن الناحية الفكرية لابد من القول بأن النظام الديمقراطي الذي يقصده فوكوياما "التمثيل النسبي" في مقابل الديمقراطية المباشرة التي عرفتها المدن الإغريقية قديماً ليس سوى أقل النظم سوءً، والتي يمكن تحقيقها حالياً، كي لا نصادر حقوق الفكر في إمكانية ابتكار نظم أفضل في القرون القادمة.

2.1.2.5 نقد الأُطروحة من المنظور الواقعي

في بداية القرن الحادي والعشرين، ظهرت مشاكل عصفت بأطروحة فوكوياما وبالفكر الليبرالي بمجمله. افترض فوكوياما بأن أحد محركات التاريخ هو الاقتصاد الرأسمالي المعولم، كما افترض أن دول نهاية التاريخ سوف تنعم بالسلام والاستقرار، هل هذا حدث فعلاً؟. لو تسنى لفوكوياما أن ينتظر حتى ظهور الأزمة المالية العالمية والتي بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر 2008، والتي أدت إلى انهيار الكثير من البنوك ودفعت الحكومة الأمريكية في النهاية إلى تبني خطة إنقاذ مالي بمقدار 700 مليار دولار، حيث قامت الحكومة الأمريكية بمساعدة بنوك على شراء بنوك منهارة، وقامت الحكومة أيضاً بشراء ديون هالكة. لما قال بانتصار الديمقراطية الليبرالية والاقتصاد الرأسمالي الحر (أبو صوي، 2011، ص8:7). إن أسس الليبرالية الديمقراطية تقوم على تمجيد الحرية الفردية، غير أن الأزمة المالية العالمية التي انهارت بها اقتصاديات بعض الدول الغربية، كادت أن تسقط الأنظمة بأكملها، لولا تدخل الدولة وهذا ضد فكر الليبرالية، الذي يمنع تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية. فوكوياما مجد من التطور العلمي والتنمية الاقتصادية في الدول الغربية صاحبة معدلات الدخول المرتفعة، إذن لماذا سقطت اقتصادات الدول الأوروبية؟، وهذا أيضاً يوضح مدى التناقضات داخل المجتمعات الليبرالية.

ولعل تنبؤات موريس دوفرجيه Maurice Duverger عن التكامل بين الاشتراكية والليبرالية، بعد نهاية الحرب الباردة هي الأصدق من الناحية الواقعية، فمن خلال تحليله لأسباب الصراعات الأيديولوجية بين الغرب والشرق، تنبأ بالمستقبل قائلاً: "هناك أمر واحد يبدو محققاً: هو اتجاه تطور

الغرب والشرق كليهما نحو الاشتراكية والديمقراطية، غير أن الالتقاء يظل محدوداً،... ويكفي أن نلاحظ أن الماركسيين بدأوا بتحقيق الاشتراكية أولاً، ثم عمدوا إلى شيء من اللبرالية في داخل الاطار الذي أوجدوه على ذلك النحو، في حين أن الغربيين أنشأوا الديمقراطية السياسية أولا، ثم أخذوا يبنون الاشتراكية بعدها وفيها" (دوفرجيه، 2009، 265:264). فالاشتراكية لم تنتهى حتى الآن، بل طورت نظام اقتصادها وأصبحت تتعامل مع "نظام السوق"، أما الديمقراطية الغربية تلجأ اليوم إلى أساليب الاشتراكية بالتدخل في شؤون الدولة.

وينتقد روبرت كيغان[1] Robert Kagan أحد أهم المنظرين الراهنين للفكر المحافظ الجديد في كتابه "عودة التاريخ ونهاية الأحلام" "The Return of History End of Dreams, 2008" أُطروحة فوكوياما حيث يرى أن العالم مر بمرحلة ضبابية بعد الحرب الباردة، وسوف يعود إلى انقساماته الطبيعية، وينظر كيغان إلى عالم اليوم في الألفية الثالثة، الذي يقوم على التمحور حول سياسات القوة وعودة الأيديولوجيات (الحروب، 2008، ص22). ومن خلال النظر إلى الأحزاب والحركات اليسارية التي تنتمي للفكر الاشتراكي الماركسي، نراها وبقوة على قوائم الانتخابات والنسب التي تتحصل عليها في البرلمانات التشريعية ليست بسيطة، ولنأخذ مثالاً على هذه الانتخابات في روسيا الاتحادية التي ورثت الاتحاد السوفيتي السابق. وبالنظر على نتائج الانتخابات الأخيرة، ووفقاً لتقديرات اللجنة المركزية للانتخابات البرلمانية في كانون أول/ ديسمبر 2011 حصل حزب "روسيا الموحدة" على نسبة 49.32% بينما حصل "الحزب الشيوعي" الذي حل في المرتبة الثانية على نسبة 19.19% (أنباء موسكو، 2013). ويرصد التيار التقدمي الكويتي نجاحات أحزاب اليسار على مستوى أوروبا في نهاية عام 2012، التي شهدت نجاحات متميزة لقوى اليسار والأحزاب الشيوعية، وتكتسب هذه النجاحات مدلولات سياسية وفكرية، منها استمرار زخم البديل اليساري والتقدمي، وخطر أُطروحة "نهاية التاريخ" وخيبة الأمل الكبيرة التي ولدتها سياسات الليبرالية الجديدة لدى ملايين الناس (التيار التقدمي الكويتي، 2012).

---

[1] روبرت كيغان Robert Kagan: الكاتب والمؤرخ الأمريكي في معهد بروكينغز Brookings Institution، كان هو المؤسس المشارك لمشروع القرن الأمريكي الجديد، له العديد من الكتب، وأخر كتاب له "العالم الذي صنعته أمريكا، 2012" وهو أحد رموز التفكير الاستراتيجي للمحافظين الجدد، للاستزادة راجع دراسة خالد الحروب "في الفكر السياسي الأمريكي الجديد، 2008".

حققت أحزاب اليسار انتصارات مختلفة في أوروبا. وفي فرنسا حصل مرشح الحزب الاشتراكي فرنسوا هولاند Francois Hollande على56% في الانتخابات الرئاسية، فيما تولت قبرص في الأول من تموز/يوليو 2011 الرئاسة الدورية للاتحاد الأوروبي لمدة سته أشهر، وبهذا يصبح الرئيس القبرصي ديمتريس كريستوفياس Demetris Christofias أول شخصية شيوعية تقود الاتحاد الأوروبي (التيار التقدمي الكويتي، 2012). وهذا يؤكد بأن الأيديولوجيات السياسية لم تنتهِ، بل هناك نقلة نوعية في واقع الحياة السياسية والحزبية في أوروبا، حيث توجد الأحزاب والحركات السياسية ذات التوجهات المختلفة في داخل البرلمانات الأوروبية، وقد وصل هذا التفاهم من أجل مصلحة الدولة العليا إلى أن نجد بعض الحكومات الأوروبية تعمل وفق برامج ومخططات معدة مسبقاً، وقد تكون أفكار هذه البرامج يسارية أو ليبرالية، أو تحمل أفكاراً وبنوداً في البرنامج الحكومي مشتركة.

2.2.5 نقد أُطروحة هانتنغتون

إن أُطروحة هانتنغتون من داخلها البنيوي تحمل تناقضات فكرية كبيرة، كما حملته أُطروحة فوكوياما. وإن كانت هذه الأُطروحة قد لقيت دعماً من بعض المفكرين الغربيين، فقد عارضها الكثير من الباحثين من منطلقات نظرية مختلفة، فالبعض انتقد نظرة هانتنغتون للحضارة وتصوره لعلاقة هذه الأخيرة بالثقافة، والبعض الآخر شكك في تصنيفه للحضارات واعتبارها كيانات جامدة لا حركية بداخلها ولا تتفاعل، ومنهم من ركز على الخلفية السياسية لهذه الأطروحة معتبرين إياها إداه لإعادة صياغة السياسة الخارجية للولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد (عروة، 2006، ص1). وهنا سوف نقوم بعرض وتحليل كافة آراء الباحثين المنتقدين لأُطروحة هانتنغتون كما حللنا سابقاً أُطروحة فوكوياما، هذا وبالإضافة إلى مطابقة أفكارها على أرض الواقع، من خلال المنظور الفكري والواقعي لأُطروحة هانتنغتون.

2.2.2.5 نقد الأُطروحة من المنظور الفكري

إن الحديث عن صراع الحضارات يفترض وجود إدارة مستقلة لدى هذه الحضارات تقرر الدخول في الصراع حيناً وتتركه حيناً آخر، وهذا مما لا يقول به عاقل، إذ لا زالت الدول القطرية هي أساس العلاقات الدولية، ولا بد من وجود أشخاص يدفعون باتجاه المواجهة العسكرية مع الآخر، وهو قرار يتخذه في العادة رأس الهرم السياسي في دولة معينة، وقد يحتاج إعلان الحرب رسمياً إلى

موافقة برلمان تلك الدولة، كما أن الدولة التي تدخل الحرب تنظر إلى مصالحها الخاصة من منظور مادي (أبو صوي، 2011، ص9:8). إن الكيانات الحضارية جرى افتراضها في أُطروحة هانتنغتون بأنها مغلقة ومؤتلفه، بمنأى عن الاختلاطات والتداخلات، بدون نزاعات داخلية. حيث أن مؤشر الدين لأجل الدل على العدو إنما ينفي السياسة أو السياسي (ماتلار، 2008، ص192). فيما يشكك كل من هانس بيتر مارتن وهارالد شومان في صحة فرضيات أُطروحة هانتنغتون للنظام العالمي الجديد والذي لم يعد فيه للبعد الجغرافي أهمية تذكر في تحديد العلاقات المتينة القائمة بين المدن التجارية في العالم، وفي نفس الوقت تلم الثقافة الواحدة العالمية شمل النخبة "رأس المال" دونما أهمية تذكر للانتماء القومي(بيتر مارتن وشومان، 1998، ص58).

وقد أكد التقرير الاستراتيجي "التوقعات العالمية الاستراتيجية: 2030" لعام 2011، الذى أصدرته أكاديمية العلوم الروسية "المعهد العالمي للاقتصاد والعلاقات الدولية Institute of World Economy and International Relations" في منظور العشرين عام المقبلة سوف تكون أيديولوجيا العولمة على أساس السوق والمبادئ الديمقراطية هي: النظام الرئيسي للأفكار السياسية السائدة في العالم بالرغم من التناقض الذي سوف يصاحب مصلحة الشركات العابرة للقارات مع الدول الوطنية (Dynkin, 2011, p14). العولمة الاقتصادية في اقتصاديات السوق الحالية والمستقبلية، وفي ظل التجارة الدولية، تنفي وجود أي عوائق جغرافية بين الدول. وبالإضافة إلى أن النخبة الاقتصادية وأصحاب رؤوس الأموال في جميع أنحاء العالم بينهم تقارب فكرى، ومصلحي، دون النظر للانتماء القومي.

كما أن هانتنغتون لا يميز بين الحضارة والثقافة في تعريفه للحضارات التي تحدثنا عنها سابقاً، وأميل إلى رأي عبد الرحمن خليفة وفضل الله إسماعيل في تفسيراتهم لمفهوم الحضارة والثقافة "الحضارة هي الصورة المادية لكل ما يصدر من الإنسان من نشاط، بينما تقتصر الثقافة على الجانب الفكري والمعنوي فقط، ولعله من هذا المنطلق نقول حضارة قدماء المصريين وليس ثقافتهم حين نشاهد الآثار المادية التي قدموها" (خليفة، وإسماعيل، 2006، ص153). وهذا ما تؤكده الثقافات في الدول التي أعلنت ديمقراطيتها بعد تفكك الإتحاد السوفيتي السابق ويوغوسلافيا السابقة، فبالرغم من التغيرات الكبيرة التي أجريت على أنظمة الحكم إلا أنه هناك مؤسسات وأحزاب شيوعية تعمل في الدول الناشئة عن التفكك؛ مثلما حصل مع الإتحاد السوفيتي ويوغسلافيا السابقين.

عندما تحدث هانتنغتون عن الحضارة الإسلامية، وصف الإسلام بأنه دين تطرف ومتطرفين معتبراً الحضارة الإسلامية حضارة تحدي بالنسبة للغرب، بمعنى آخر هي العدو الجديد الذى يواجه الغرب. إن رصد هانتنغتون للتحديات التي تواجه الولايات المتحدة مستقبلاً، هي في الأساس ليست تحديات عسكرية بل هي مواجه للتقدم الإقتصادي في الدول الصاعدة. إن السمه الأساسية الجارية الآن هي ما يسمى "بصعود الباقين"، نتيجة معدلات نمو اقتصادي لم يكن من المتصور حدوثه، وهذا الصعود متمثل في دول شرق آسيا كالصين والهند (الغمرى، 2009، ص35). وقد أكد هانتنغتون في أُطروحته أكثر من مرة على التحدي الإسلامي، والتوكيد الصيني للحضارة الغربية. رغم كل الظروف التي تحيط بالحضارة الإسلامية، من حالة التفكك والتشرذم، والتخلف العلمي والتقني مقارنة مع الغرب، وبشهادة هانتنغتون نفسه بعدم وجود دولة مركز للحضارة، إلا أنه يعتبرها الخطر القادم على الغرب. إن التهديد الحضاري الإسلامي للغرب جاء وفقاً لرؤية فكرية معدة مسبقاً من قبل هانتنغتون دون البحث عن آليات وعوامل القوة التي يهدد الإسلام بها الغرب. وفي هذا يقول سايمون ميردين: "وضعت الشعوب الإسلامية ضمن قوالب جاهزة غير منصفه، ففي حين أن هناك دليلاً على وجود سجل إسلامي للعنف والعداء للغرب، فإن الحديث عن وجود حضارة إسلامية متماسكة يبقى مسألة أخرى. والواقع أن الإسلام يعاني من انقسامات عميقة، ويبقى للانقسام السني– الشيعي أهميته" (ميردين، 2004، ص805). بالرغم من انحياز ميردين للفكر الغربي الذي يؤمن بأن الإسلام يحمل عداء للغرب، إلا أنه يرفض فكرة تحدي الإسلام للغرب.

إن الدين الإسلامي يقوم على عقيدة الحوار، والتعاون، واحترام الأديان، والعلاقة بين الحضارات الإنسانية من منظور الدين الإسلامي قائمة على الحوار لا الصراع، قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ " (سورة الحجرات، الآية 13). هذا بالإضافة لضعف الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارات الأخرى، لعدم وجود دولة مركز تجمع تحت رايتها كافة الدول الإسلامية والأقطار العربية، وتدافع عن ثقافتها وكينونتها مثل الحضارات الأخرى، ولا سيما الحضارة الغربية.

التنظير الفكري لحوار الحضارات مقابل صدام الحضارات

ينطلق مصطلح "حوار الحضارات" الذى تم تسويقه لإمتصاص النقمة الممكن حدوثها ضد الطغيان الغربي. وكلمة "حوار" تعد من ظلال كلمة "صراع"، ومن الكلمتين تقوم ثنائية تنضم إلى الثنائيات الكثيرة في الحياة "الحق والباطل، والليل والنهار، والموت والحياة" (جربوعة، 2004، ص90).

بعد طرح هانتنغتون لأُطروحته "صدام الحضارات" ظهر مصطلح "حوار الحضارات" بشكل قوي في عالم السياسة، من خلال التنظير الفكري للباحثين والمفكرين، بالإضافة إلى المؤسسات الدولية، رداً على أُطروحة هانتنغتون، وكذلك من أجل البحث عن السبل والإمكانيات التي تحد من الصدام الحضاري، والبحث عن عوامل التفاهم والإلتقاء. ويرى دييتر سنغاس أن إمكانات قيام حوار مثمر فيما بين الثقافات هو شيء عظيم في الوقت الراهن، على أن يرتكز على تصورات واقعية بشأن ثقافة المرء والثقافات الأخرى، من خلال مهمة محورية وهي إجراء حوار بشأن المفاهيم المتعلقة بالتعددية السياسية والتنظيم المؤسسي لها (سنغاس، 2008، ص216:215). وأدلت المنظمات الدولية بدلوها ضد فكرة "صدام الحضارات"، فقد أصدرت منظمة الأمم المتحدة ثلاث قرارات للرد على هانتنغتون، وتأكد مقولة مضادة لها تنادي بالحوار بين الحضارات، من ضمنها قرار 22/53 بتاريخ 16 تشرين ثاني/نوفمبر 1998، وقرار 13/54 بتاريخ 7شباط/فبراير 2000، وقرار 23/55 كانون ثاني/يناير 2001، كما تم مناقشة "حوار الحضارات" في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم – اليونسكو عام 1999 (قرني،2003، ص195). فيما يرى محمد جربوعة بأن المرجو من حوار الحضارات هو التعايش عبر الوصول إلى فهم الآخر فهماً يجعل من الواجب عدم تجاوز مقدساته، وأمام هذا فإن من المؤمَل للحوار أن يوجد واقعاً بديلاً لواقع الصراع، لذلك لابد من حوار أطراف معينة أكثر من غيرها لأن تتحاور وتصل إلى نتيجة (جربوعة، 2004، ص90). أما رأي الفيلسوف والمؤرخ الألماني فريدرش هاردر[1]، الذى يعي تعدد الثقافات، ولكنه مع ذلك لا يتخلى عن وحدة الإنسانية، وهذه الوحدة ترتكز على الأصل البيولوجي المشترك لكل البشر "وحدة النوع" وعلى الهدف المشترك الذي يسعون لتحقيقه. إنه يرى بأنهم يتمتعون بالمثل العليا ذاتها للسعادة وللحب البشري ولتفتح الفكر، ولنفس مفاهيم الحقيقة والخير (تودوروف، 2009، ص36:35).

---

[1] فريدرش هاردر : يعتبر هاردر مؤسس التيار النسبي المعاصر، وله كتابان في فلسفة التاريخ وهم: "فلسفة أخرى للتاريخ، 1774"، و"أفكار من أجل فلسفة تاريخ البشرية، 1784" (تودوروف، 2009، ص36).

كانت النظرة السوداوية لهانتنغتون في حتمية صدام الحضارات محل انتقاد كبير من قبل المفكرين والباحثين، حيث بحث في أطروحته أسس الصدام وكيفية حدوثها على خطوط التقسيم، ولم يبحث في نقاط الالتقاء بين الحضارات كما فعل فريدرش هاردر وعزز من تواجدها بين الحضارات كي نتجنب الصدام بين الحضارات.

1.2.2.5 نقد أُطروحة هانتنغتون من المنظور الواقعي

للتأكد من فرضيات ومصوغات هانتنغتون وإصراره على صدام الحضارات الحتمي في عالم ما بعد الحرب الباردة كان لابد من رصد الحروب والصراعات الحضارية على خطوط التقسيم الحضاري، والتي أجزم هانتنغتون من زيادة وتيرتها، وعددها بين الدول التابعة للحضارات المختلفة.

وفي دراسة لـ Jonathan Fox التي أجراها لاختبار صحة فرضيات هانتنغتون، مستخدماً التحليل الكمي لبيانات تحليل المخاطر، وذلك لأن التنظير الفكري قد لا يجيب بشكل قاطع إذا كان هناك زيادة في الصراعات الحضارية والعرقية فيما بعد الحرب الباردة. وجد Fox من خلال مقارنه بيانات الحروب بين أعوام 1946–1992 في عصر الحرب الباردة، وجد أنه لا يوجد تغير حقيقي في ديناميات الصراعات العرقية من الحرب الباردة إلى ما بعد الحرب الباردة. ولا يوجد دليل على أن الانشقاقات الحضارية أصبحت أكثر (Fox, 2002, p420:421). البيانات التي جمعها Fox تغطي الفترة (1985–1998)، وفي تحليله للبيانات وجد أن الصراعات الحضارية تشكل أقلية في عصر ما بعد الحرب الباردة 37.8% "104 من أصل 275 من الصراعات الحضارية". أما أثناء الحرب الباردة الصراعات الحضارية تشكل 36.9% "86 من أصل 233 من الصراعات الحضارية". وكانت النتائج خلافاً لتنبؤات هانتنغتون، الصراعات الحضارية بعد الحرب الباردة لم تشكل فرقاً كبيراً عما كانت عليه أثناء الحرب الباردة (Fox, 2002, p427:428).

صدام الحضارات والتدخل الإنساني

إن الصراعات المحلية والعالمية المشتعلة في العالم اليوم ليست صراعات حضارية بالدرجة الأولي بقدر ما هي صراعات من أجل المصلحة الوطنية. ففي ثورات العالم العربي تدخلت القوى الكبرى تحت مسمي، التدخل الإنساني لحماية المدنيين في ليبيا وسوريا. ودافعت عن حق الثوار من أجل نيل حقوقهم المدنية والسياسية. ونحن هنا لا نحلل الثورات العربية أو مشروعية التدخل

الدولي، وإنما نريد تحليل تدخل الولايات المتحدة والقوى الغربية في الثورات العربية، حسب فرضيات هانتنغتون في صدام الحضارات، إن فرضيات هانتنغتون جانبها الصواب لعده أسباب وهي:

1. تحالف دول من حضارات مختلفة ضد رؤساء مخلوعين "حسني مبارك، ومعمر القذافي"، ففي ليبيا تحرك حلف الناتو بموافقة عربية، ومشاركة تركيا لضرب قوات القذافي.
2. تدخل الولايات المتحدة في الثورات العربية لم يكن بنفس الدرجة والوتيرة، ففي البحرين دعمت الحكومة ضد الثوار وفي اليمن انتهت الأزمة باتفاقية دولية، أما في ليبيا فكان هناك تدخل عسكري. إن مواقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورات العربية كانت حسب مصلحتها القومية.
3. القوى الدولية على خلاف حاد لحل الأزمة السورية، وذلك لوقوف روسيا والصين بجانب النظام السوري، ووقوف الولايات المتحدة والغرب ضده. وهذا يوضح مدى تحالف دول من حضارات مختلفة ضد دول من حضارات أخرى.
4. الحضارة الإسلامية التي يعتقد هانتنغتون بأنها قائمة على الدم، تستعين بالغرب لمحاربة دول عربية أخرى.

إن الحضارات لا تتصادم، والحروب في معظمها وعبر التاريخ لم تكن حروب حضارات بقدر ما كانت حروباً ضمن وداخل الحضارات وفي نطاقها ومجالها الحيوي، والمثل الساطع على ذلك هو تاريخ أوروبا وحروبها بمختلف أنواعها الدينية والوطنية والعالمية (حجار، 2005، ص292). والحروب الحديثة الدائرة حالياً في الوطن العربي، هي تحالفات بين دول من حضارات مختلفة ضد دولة أو دول من حضارات مختلفة. وهذا يؤكد بأن الدول في العالم المعاصر قد تتحالف أو تتباعد من أجل مصالحها القومية وليس من أجل الثقافات الحضارية.

3.5 المبحث الثاني: تغير المواقف الفكرية عند فوكوياما وهانتنغتون

في هذا المبحث سوف نتناول آراء فوكوياما وهانتنغتون الفكرية في طروحاتيهما، ومدى ثباتهما على مواقفهما الفكرية، أو التغيرات الجديدة التي طرأت على فلسفتهما السياسية.

1.3.5 التغيرات في مواقف فوكوياما الفكرية

إن مواقف فوكوياما الفكرية متضاربة ومتذبذبة، فقد أنهى التاريخ مع سقوط الاتحاد السوفيتي وأعلن عن نهاية الأيديولوجيات، وأكد بأن الديمقراطية الليبرالية هي أفضل نظام للحكم. ومن خلال تطورات السياسة العالمية، عاد وكتب عن مستقبل التاريخ بعد الأزمة المالية العالمية ليناقش تناقضات الديمقراطية التي ظهرت من جديد، ومن ثم في العام 2012، بدأ يكتب عن بداية التاريخ وأصول النظم السياسية في تاريخ البشرية، فقد ألف كتاباً من مجلدين، صدر له المجلد الأول بعنوان: "أصول النظام السياسي The Origins of Political Order" عام2011، يصف مارتن وولف Martin Wolf كتاب فوكوياما الجديد قائلاً: "نهاية رجل التاريخ في سفر جديد من مجلدين" (وولف، حزيران/يونيو 2011).

بعد مرور عقد من الزمن على أُطروحة فوكوياما، يكتب مقالاً بعنوان: "عشر سنوات على نهاية التاريخ" عام 1999، يؤكد ما جاء في أطروحته السابقة، ويؤكد على نهاية التاريخ فيقول: "لا شيء مما طرأ على السياسة العالمية أو الاقتصاد الكوني مدة عشر سنوات الأخيرة يشكك، حسب نظري في صحة ما انتهيت إليه، ألا وهو أن الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق المنقذان للوجود بالنسبة إلى المجتمعات الحديثة" (بو بكر، 2011، ص22). وفي بداية الألفية الثالثة كانت رؤية فوكوياما للتاريخ ثابته، بالرغم من أحداث أيلول/سبتمبر 2001، وقد كتب مقالاً لصحيفة الغارديان البريطانية "لقد ربح الغرب[1]"، يحاول أن يكيف أُطروحته مع الأحداث الجديدة التي بدأت بتفجيرات 11أيلول/ سبتمبر 2001 (جربوعة، 2004، ص7). ويكتب فوكوياما مدافعاً عن أُطروحته قائلا: "يزعم تيار من المعلقين أن مأساة 11 أيلول/ سبتمبر 2001 تُثبت بأنني كنت مخطئاً تماماً عندما قلت بأننا وصلنا إلى نهاية التاريخ... وتفيد مشاهدتي، التي قمت بها في العام 1989، عشية انهيار الشيوعية، بأن المسار التطوري بدا وكأنه يدفع بأجزاء كبيرة من العالم نحو الحداثة. وإذا ما نظرنا إلى ما وراء الديمقراطية الليبرالية والسوق، ليس هناك شيء آخر يمكن أن نتوقع التطور باتجاهه، إذاً إنها نهاية التاريخ" (جربوعة، 2004، ص14). ومع إعلان الولايات المتحدة شن الحرب ضد الإرهاب، وغزوها للعراق وافغانستان، تغير موقف فوكوياما الذي أيد سابقاً الإدارة الأمريكية لشن حرب ضد الإرهاب وغزو العراق، ونشر الديمقراطية الأمريكية في العالم.

---

[1] نشر المقال مترجماً في جريدة السفير اللبنانية، بتاريخ السبت 13 تشرين أول/ اكتوبر 2001، العدد 9028، ص13.

طرأت هذه التحولات على مواقف وقناعات فوكوياما في نهاية عام 2003، حين تراجع عن دعمة لغزو العراق، ودعا إلى استقالة وزير الدفاع الأمريكي في ذلك الوقت دونالد رامسفلد Donald Rumsfeld، وأعلن عن احتمال تصويته ضد الرئيس بوش في انتخابات الرئاسة عام 2004 (حسين، 2011، ص266). وفي كتابه "أمريكا على مفترق طرق، 2006"، انتقد إدارة بوش الابن والسياسة الخارجية الأمريكية وقرار غزو العراق، كما أعلن براءته من المحافظين الجدد "كنت قد اعتبرت نفسي محافظاً جديداً لوقت طويل، واعتقدت أنني شاركت في رؤية مشتركة للعالم مع العديد من المحافظين الجدد الآخرين، ومن جملتهم أصدقاء ومعارف خدموا في إدارة جورج دبليو. بوش" (فوكوياما،2007، ص9).

وقد تغير موقف فوكوياما مرة أخرى في الاتجاه المعاكس هذه المرة مدافعاً عن أُطروحته منذ بداية الأزمة المالية العالمية عام 2008. حين كتب دراسة نشرت في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs شباط/فبراير 2012، يتساءل فيها عن الأزمة المالية التي تعصف بالديمقراطية الليبرالية بعنوان: "هل يمكن لليبرالية الديمقراطية البقاء على قيد الحياة، مع تراجع الطبقة الوسطى؟" (Fukuyama, 2012, p309). مؤكداً على ضرورة النقاش الفكري بسبب تآكل الطبقة الوسطى التي تؤكد عليها الديمقراطية الليبرالية، والتي تمثل شكلاً من أشكال الرأسمالية، وهذه الطبقة التي تأثرت بالأزمة المالية بشكل كبير، فقد انهارت تجارتها الصغيرة، وخرجت في مظاهرات في عواصم ومدن الدول الأوروبية، منها "وول ستريت، لندن". وفي أُطروحته أكد أن المشكلات والقضايا لا تؤثر على الديمقراطية حين قال: "لا شك أن الديمقراطية الليبرالية تعاني من مشكلات كالبطالة، والتلوث، والمخدرات، والجريمة، غير أن وراء هذه المشكلات تساؤلاً حول ما إذا كان هناك مصادر أعمق أخرى للسخط داخل الديمقراطية الليبرالية، وما إذا كانت الحياة في ظلها مرضية حقاً؟، فإن لم تكن مثل هذه التناقضات بادية لنا، فمن حقنا أن نقول مع هيجل وكوجيف إننا قد وصلنا إلى نهاية التاريخ" (فوكوياما، 1993، ص252).

وبالرغم من تأكيده في دراسته على تآكل الطبقة الوسطى في ظل نظام الحكم الديمقراطي الليبرالي والعولمة الاقتصادية، جادل بأن الليبرالية هي أفضل أنظمة الحكم، والشيوعية انهارت بلا رجعة لأن الذين خرجوا يتظاهرون ضد الأزمة المالية هم من اليمين وليس اليسار، "من المميزات الأكثر حيرة في العالم اليوم هو غياب اليسار، وحركة الاحتجاجات في العالم كانت من اليمين

خلال الأزمة المالية فهناك تفسيرات لهذه الظاهرة، وهي الإيمان بالمساواة في الفرص وليس المساواة بالنتائج" (Fukuyama, 2012, p319).

يكتب فوكوياما من جديد في فلسفة التاريخ، فقد ألف كتاباً بعنوان "بداية التاريخ منذ أصول السياسة حتى اليوم، 2012"، بعد عشرين عاماً على أُطروحته "نهاية التاريخ" ونجاح الصين في عالم الاقتصاد والمال بالرغم من نظامها السياسي الاشتراكي، والأزمة المالية العالمية. متحدثاً عن بدايات التاريخ وتطورات أنظمة الحكم بدل نهاية التاريخ والوصول إلى النظام الأمثل.

ويعلق ناجي العرفاوي على كتاب فوكوياما الجديد والذى يتساءل منذ بدايته: "كيف يمكن الذهاب من عاصمة الصومال مقديشو إلى العاصمة الدنماركية كوبنهاجن؟" قائلا: يتساءل فوكوياما عما إذا يمكن تسريع وتيرة الانتقال الديمقراطي في العالم، ويؤكد فوكوياما على أن الديمقراطية هي محصلة مسار طويل في أبعاده التاريخية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فلا يمكن تبسيط مسألة الانتقال الديمقراطي في دول العالم غير الغربي. ويحدد فوكوياما ثلاث مرتكزات أساسية لا يمكن لأي نظام ديمقراطي أن ينشأ أو لأي تجربة ديمقراطية أن تنجح بدونها، وهي تتمثل في: وجود دولة قوية تتمتع بالهيبة اللازمة وتكريس سلطة وسيادة القانون، وإضافة إلى مسؤولية الدولة أمام محكوميها (العرفاوي، تشرين أول/أكتوبر2012، ص12).

والسؤال الذي يطرح نفسة، هل فوكوياما يبحث في كتابه الجديد عن تاريخ الدول التي تجاوزت التاريخ فقط أم أنه يبحث في تاريخ الفكر السياسي؟. يؤكد فوكوياما في نهاية أطروحته على انتشار الديمقراطية الليبرالية في العالم وشبهها بالعربة التي سوف تصل في النهاية لدولة التاريخ. اليوم فوكوياما يؤكد من جديد أن الأنظمة لها تراثها الكلاسيكي، ومحصلة للتطورات في السياسة والاقتصاد والتاريخ، وهذا يعني بأنه يتحدث عن الدول الديمقراطية فقط التي تجاوزت التاريخ، وينفى وصول دولة، كالصومال لنهاية التاريخ، وهذا يعني تغير موقفه من نشر الديمقراطية في العالم.

وفى النهاية يمكن القول أن موقف فوكوياما متغير ومتناقض في بعض القضايا التي جاءت بعد أُطروحته، ففي بعض مواقفه الفكرية ينفي نهاية التاريخ، وفي بعضها الأخر يؤكد على نهاية التاريخ.

2.3.5 التغيرات في مواقف هانتنغتون الفكرية

موقف هانتنغتون من أُطروحته "صدام الحضارات" ثابت لم يتغير، وكتب مدافعاً عن أُطروحته أكثر من مرة، وذلك من خلال التطورات السياسية في الولايات المتحدة ودول العالم أجمع، وخاصة ردة على منتقديه، وكذلك تفكك الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا، وما خلفه هذا التفكك من نزاعات وحروب، وأخيراً على أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001.

رد هانتنغتون على منتقديه من خلال دراسة بعنوان: "إذا لم تكن الحضارات، فماذا If Not Civilizations, What?" نشرت في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs في عددها الصادر نوفمبر/ ديسمبر 1993، وكان موقف هانتنغتون الفكري واضحاً وثابتاً لم يتغير ويفترض أن الصدام حتمي لا محالة، وطور فرضياته التي كتبت في مقالته "صراع الحضارات". من خلال رصد كافة الأحداث العالمية التي توضح الصراع الثقافي بين الحضارات، كالدول التي تطالب بالانضمام لحلف الشمال الأطلسي NATO، وكذلك الحروب بين المسلمين والكروات، واتفاق أوسلو الموقع في الولايات المتحدة بين إسرائيل وفلسطين، يراه هانتنغتون بأنه لا يعني الخروج والشذوذ عن النموذج الحضاري، لأن الصراع بين العرب واليهود مازال مستمراً.

يؤكد هانتنغتون أن نماذج ونظريات الحرب الباردة لم تعد قادرة على تفسير السياسة العالمية، وأُطروحة "صدام الحضارات" هي محاولة لفهم النظام العالمي بعد الحرب الباردة، فبلدان العالم لم تعد تنتمي للكتلة الغربية والكتلة الشيوعية فقط، انقسامات الدول في عالم اليوم إلى دول غنية وفقيرة، وديمقراطية وغير ديمقراطية، لذا يرى هانتنغتون بأن السياسة العالمية اليوم معقدة جداً بحيث لا يمكن حشوها في جانبين (Huntington, November/December 1993). وفى نهاية دراسته يؤكد هانتنغتون على نهاية الأيديولوجيا من المجتمعات، قائلاً: "الذي يحدد المجتمعات اليوم هو الإيمان والأسرة والدم والمعتقدات المشتركة، والاختلافات في هذه العوامل يؤدى إلى صراع الحضارات، وهو استبدال للنماذج التفسيرية للحرب الباردة" (Huntington, November/December 1993). ويطرح على كل من كتب نقداً على أطروحته سؤالا متبوعاً بعلامة استفهام "هل هناك نموذج أو نظرية فكرية قادرة على تفسير النظام العالمي أكثر كفاءة؟". وقد رد عدد من الباحثين على دراسة هانتنغتون لما جاء فيها أن الصراع بين الحضارات خلال العقد الماضي لم يكن أقل مما كان داخل الحضارات ذاتها. هانتنغتون يرى بأن نموذج الحرب الباردة لا يمثل السياسة العالمية، فكان هناك

العديد من الحالات الشاذة التي لم تفسرها نماذج الحرب الباردة كالانقسام بين الصين والاتحاد السوفيتي.

يرد عبد المنعم سعيد على دراسة هانتنغتون قائلاً: "هذه مفارقة وعوار داخلي، فالمسألة هي عما إذا كانت الحضارات تمثل وحدات متماسكة للتفاعل الدولي، تتصارع مع بعضها البعض بسبب خطوط تماس وتناقضات كثيرة، أم أنها ليست كذلك وتتصالح في داخلها بسبب الانقسام إلى دول، وإلى مصالح متعددة وتشكل تحالفات غير حضارية" (سعيد، 31 ديسمبر/كانون أول2001). بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001، عادت أُطروحة هانتنغتون للسياسة الأمريكية وبقوة، واعتبرت هجمات القاعدة التفجيرية على أرض الولايات المتحدة بمثابة المواجهة بين الإسلام والغرب. إن كثيراً من المحللين أعلنوا أن الحرب العالمية الثالثة أو الرابعة تدور رحاها، وإن شجب هذا الخطر الآتي من بعيد الذى يوصف أحياناً بمصطلح "الإسلامي – الفاشي"، هو أمر رائج في خطاب اليمين المتطرف (تودوروف، 2009، ص103).

وكتب هانتنغتون من جديد عن صدام الحضارات معلقاً على تفجيرات القاعدة في الولايات المتحدة، وصرح بأن بذور صدام عام بين الحضارات باتت منثورة، فردود الفعل على أحدث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وردة الفعل الأمريكية جاءت وفقاً لمنظور حضاري (الباش، 2005، ص169). وفي مقابلة لهانتنغتون مع مجلة النيوزويك[1] Newsweek حول أطروحته والأحداث الجارية في الولايات المتحدة بعد التفجيرات، تحدث قائلاً: "إن التحدي الذى يواجه الولايات المتحدة اليوم هو أكثر من مجرد معركة مع مجموعة من الإرهابيين، فبحر الفاشية الإسلامية الذى يسبح فيه الأمريكيون يشكل تحدياً أيديولوجياً، هو في بعض جوانبه أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية" (الباش، 2005،ص170). إن وضع صورة للحضارة الإسلامية بمجملها لما يقوم به تنظيم القاعدة محفورة في أذهان الشعوب الغربية، وخاصة الشعب الأمريكي، أمر غير دقيق من الناحية العلمية والعملية، وهو تعميم برنامج فئه قليله على أكثر من مليار مسلم، فقد جانب هانتنغتون

[1] مجلة النيوزويك Newsweek: هي مجلة أمريكية أسبوعية تأسست في 17 فبراير 1933، من طرف توماس مارتن الذي كان يشغل منصب رئيس تحرير مجلة تايم الأمريكية آنذاك. تتناول المجلة مواضيع السياسة والشؤون العالمية والتجارة والعلوم والتكنولوجيا والثقافة والفن. لدى المجلة شراكة مع مايكروسوفت في إدارة موقعها الإلكتروني المتفاعل مع الأحداث العالمية على مدار 24 ساعة. تصدر المجلة في عدة طبعات عالمية من نيوزويك من ضمنها النسخة العربية التي تصدرها دار الوطن الكويتية.

الصواب في تعميماته وأفكاره المصبوبة في قوالب جاهزة، هذا بالإضافة إلى أن الدين الإسلامي هو دين الرحمة وعنف القاعدة لا علاقة له بالإسلام.

وقد توفي هانتنغتون في نهاية عام 2008، وكان ثابتاً على آرائه الفكرية وكل ما جاء في أطروحته "صدام الحضارات"، دون العودة أو التراجع عن فرضياته الصدامية بين الحضارات، وخاصة موقفة من الحضارة الإسلامية ووصفه لها بأنها حضارة قائمة على العنف.

4.5 المبحث الثالث: الممارسة السياسية لفكر فوكوياما وهانتنغتون في السياسة الأمريكية

إن تاريخ الفكر الإنساني على حد تعبير جان جاك شوفاليية: "ليس فقط بدلالة الأحداث العظمي، وإنما كذلك بدلالة الأفكار السياسية التي كانت في أغلب الأحيان قد ساهمت في التحضير لهذه الأحداث" (الطعان، 1992، ص5). ولا تبدو العلاقة بين الفكر والسياسة ثانوية كما يعتقد البعض، فقد كانت رؤيه عالم الاستراتيجية الألماني كارل كلاوزفيتز [1] Carl (1780-1831) Clausewitz فيما يتعلق بالحرب، أنها مواصلة السياسة بطريقة أخرى، أي أن استخدام الآلة العسكرية ليس غاية في حد ذاته، لكنه جزءً لا يتجزأ من استراتيجية سياسية متكاملة(قرني، 2003، ص172). كانت لآراء فوكوياما وهانتنغتون أثر كبير في السياسة الأمريكية للنظام العالمي الجديد. ومن أجل تبرير التجاوزات والمبالغات المغرضة تتطلب الأنظمة "الإمبريالية[2] Imperialism" مشرعين ومفكرين، وفي الولايات المتحدة الأمريكية انتقل المشعل من ليو شتراوس ومدرسة شيكاغو إلى فرانسيس فوكوياما وصمويل هانتنغتون (على، 2008، ص82).

---

[1] كارل كلاوزفيتز Carl von Clausewitz (1780–1831): جنرال ومؤرخ بروسي، من أهم مؤلفاته كتاب "من الحرب"، تركت كتاباته حول الفلسفة والتكتيك والاستراتيجية أثراً عميقاً في المجال العسكري في البلدان الغربية، ويعتبر أحد المفكرين العسكريين شهرة وتأثيراً على مر التاريخ.

[2] الإمبريالية Imperialism: مصطلح تقليدي ذات طابع سياسي يصف مرحلة الاحتلال الأجنبي للدول والأقاليم الأخرى والتي كان يطلق عليها "المستعمرات"، ويقصد بها أن تقوم الدولة بمد نفوذها السياسي والإستراتيجي على دولة أخرى، تكون عادة في حاجة إلى الدولة الأولي، وقد تطور الشكل التقليدي للإمبريالية من الإحتلال العسكري لممارسة النفوذ السياسي إلى التأثير على عملية صنع القرار في الدولة الصغرى النامية (المشاط،2011، ص26).

وأهم ما جاء به فوكوياما وهانتنغتون، هي كتاباتهم لعالم ما بعد الحرب الباردة والتي أعطت لهم شهرة عالمية، فقد كتب فوكوياما وهانتنغتون كلاهما طروحات فكرية تنظيرية للنظام العالمي الجديد. في أعقاب 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وخلال الحرب على أفغانستان، أصدر ستون أكاديمياً أمريكياً بياناً بعنوان "لماذا نحارب: رسالة من أمريكا"، ومن بين الموقعين فوكوياما وهانتنغتون، وربما كان هذا البيان أكثر أنواع الدفاع عن التدخل العسكري تحضراً (ميكسينزوود، 2008، ص26:25). إن التنظير الفكري لفوكوياما وهانتنغتون جاء من خلال دراساتهم وطروحاتهم للنظام العالمي الجديد والتي صدرت من مراكز الفكر Think Tanks في الولايات المتحدة الأمريكية، وهنا نطرح سؤالاً عن دور مراكز الفكر في الولايات المتحدة الأمريكية؟.

إن الدراسات النظرية في الغرب ليست عملاً مجرداً ومنفصلاً عن الواقع، ولعل المختبرات التي تخضع لها القضايا الفكرية والثقافية، وجميع الدراسات الإنسانية اليوم توازى المختبرات التي تخضع لها العلوم التجريبية، ففي الولايات المتحدة آلاف المراكز الدراسية والبحثية، ووظيفة هذه المراكز تتبع ورصد كل ما يجري في العالم، ومن ثم دراسته وتحليله (الناصري، 2013، ص150). فقد انتشرت هذه المراكز في الولايات المتحدة بشكل كبير منذ بداية سبعينيات القرن العشرين، وبلغ عدد مراكز الفكر والمؤسسات البحثية 1200 مركز، وقد ظهر تأثير هذه المراكز في صناعة القرار السياسي الخاص في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل واضح وملموس (خفاجي، 2009، ص40:39). وبمقارنة هذه المراكز في العالم نجد أن الولايات المتحدة تحصد المركز الأول عالمياً بعدد المراكز الفكرية والاستراتيجية، أما فيما يتعلق بالعالم العربي فعدد مراكز الأبحاث والدراسات لا يقارن بعدد مراكز الولايات المتحدة.

وتؤثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية بشكل مباشر وفعال، من خلال تبني الإدارات الأمريكية للأفكار والاستراتيجيات التي تضعها هذه المراكز، وفي هذا الصدد يقول روبرت كرين[1] Robert Crane: "تلعب المراكز دوراً مهماً في الانتخابات الرئاسية، فضلاً على انتخابات مجلسي

[1] روبرت كرين Robert Crane: هو كاتب وباحث حاصل على شهادة الدكتوراه في القانون، تقلد عدة مناصب سياسية، ففي العام 1969، شغل منصب مستشار السياسية الخارجية لريتشارد نيكسون، وفي العام 1981، شغل منصب سفير الولايات المتحدة لدولة الإمارات العربية في عهد ريغان.

الشيوخ والنواب، إلا أن دورها في الانتخابات الرئاسية أخطر، ولا يستطيع رئيس أمريكي الآن أو في المستقبل الوصول إلى مقعد الرئاسة دون مساعدة هذه المراكز" (خفاجي، 2009، ص42).

إن فكر فوكوياما وهانتنغتون وتحليلاتهما السياسية للنظام العالمي الجديد، صدرت عن هذه المراكز الفكرية والتي تعتبر من أهم المراكز الفكرية في الولايات المتحدة والتي يقودها المحافظون الجدد، مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs، ومجلة المصلحة الوطنية The National Interest. ويبين لنا الباحث الأمريكي هوارد ويراردا[1] Howard J Wiarda في كتابه "السياسة الخارجية الأمريكية"، قائلا: "تتحرك الحكومة الأمريكية عن طريق الرسائل والخطابات المكتبية، وإذا كان المسؤول... مطلعاً على دراستك أو بحثك، فإن هذه الدراسة مفتوحة أمامه، وهو يعد خطاباً لمديره أو حتى للرئيس الأمريكي، فإن لديك فرصة ضخمة للتأثير فيه، وهو يكتب هذا الخطاب بأن يقتبس بعض أفكارك أو تحليلاتك" (خفاجي، 2009، ص43). فيما نجد أن بعض القيادات السياسية الأمريكية قد تؤمن بالأفكار والأُطروحات السياسية التي يقوم بها مفكري الولايات المتحدة، وتعمل على تنفيذها في برامجهم السياسية وعلى أرض الواقع، وقد يكون تنفيذ هذه الأفكار مرحلياً بما يخدم الاستراتيجية الأمريكية، وهذا ما سوف نوضحه في تحليل الممارسة السياسية لفكر فوكوياما وهانتنغتون.

1.4.5 الممارسة السياسية لفكر فوكوياما في السياسة الأمريكية الخارجية الأمريكية

في خطاب القسم لولاية الرئيس جورج دبليو بوش الثانية، أبلغ بوش العالم أن رسالة الولايات المتحدة هي جلب الحرية والديمقراطية إلى أقصى أركان المعمورة وأشدها حلكه ثم القضاء على الطغيان (ميكسينزوود، 2008، ص25). ويصف جورج حجار الولايات المتحدة بالرايخ الرابع قائلاً: "تبقى الولايات المتحدة الدولة الأولى مرحلياً دون منازع في العالم، وعلى كافة الأصعدة من تكنولوجيا إلى العسكر إلى الاقتصاد إلى السياسة إلى الثقافة، وأتجاسر بالقول في تنظيم الاجتماع البشري الذى يحاول فرض نمط حياته وقيمه على العالم" (حجار، 2005، ص62). إن هذه الأفكار لم تأتِ من فراغ أو من خارج مؤسسات الأبحاث والدراسات الأمريكية، فقد دعا فوكوياما بأطروحته التي كانت محط إعجاب وتأييد الإدارة الأمريكية بنشر الديمقراطية الليبرالية إلى دول العالم، وأكد

---

[1] هوارد ويراردا Howard J Wiarda: أستاذ العلاقات الدولية ورئيس قسم الشؤون الدولية في جامعة جورجيا University of Georgia، ويعد من كبار الباحثين في مركز ويلسون الدولي (Wilson Center, December 2013).

في نهاية أطروحته بأن غالبية دول العالم سوف تصل إلى الديمقراطية. ويصف جيلاني بوبكر أطروحة فوكوياما بالبيان النظري الأيديولوجي والسياسي للنظام العالمي الجديد، يهدف إلى وضع خطاب سياسي وأيديولوجي من أجل تبرير توجه العولمة، وتمرير فرض النظام العالمي الذي تسعى الولايات المتحدة إلى فرضه على العالم أجمع (بوبكر، 2011، ص22). وفي ضوء أطروحة فوكوياما أصبح الليبراليون وهم يشهدون تقدم العالم الغربي النسبي الواضح على سائر شعوب العالم، على قناعة واعتقاد بأن مرد هذا التقدم يعود أساساً إلى تقدم الفكر السياسي الليبرالي، وما لحق به من تطورات على الصعيدين النظري والعملي، وبالتالي فإن هذا الفكر والمجتمعات التي حملته أضحت الأكثر نمواً وتقدماً والأكثر ازدهاراً، مما يشكل مؤشراً واضحاً على صحة فرضيات ومنطلقات فوكوياما الفكرية (الغرباوي، 2005، ص50). أصحاب رؤوس الأموال والشركات متعددة الجنسيات وشركات صناعة السلاح تدعم أُطروحة فوكوياما لأنها تصب في مصلحتها.

وتحاول أمريكا كقطب سياسي واقتصادي في أيامنا هذه، أن تحقق فكرة نهاية التاريخ من خلال مشروع "النظام العالمي الجديد". فالعولمة والدمقرطة والأمركة كلها معانٍ تصب في محاولة تحقيق التفوق المأخوذ بقوة الاعتراف، أي وفق ما يسميه أفلاطون "الثيموس Thymos" (بوعرفه، مايو/ أيار 2013). إن أكثر من حدث ومظهر يمنحها أن تكون في مثل هذه المكانة، أي أن تكون الدولة العالمية المنسجمة: الدولار الذي يشى بالهيمنة الأمريكية الإقتصادية. والثقافة العملية الأمريكية التي تجسد روح المغامرة والتفوق. والسياسة الأمريكية ودبلوماسيتها، وقوتها العسكرية ثالوث متكامل. فإن أُطروحة فوكوياما تؤكد أن العالم اليوم هو أمريكا (محمود، 1992، ص133:134). فوكوياما تحدث بإسهاب عن الدولة المنسجمة، وعن حصول الأفراد على الاعتراف الكامل، غير أنه سمح للولايات المتحدة الأمريكية بالتفوق والهيمنة دون الدول الأخرى، "غير أن الطبيعة ستتآمر من أجل الحفاظ على درجة كبيرة من الميجالوثيميا "الرغبة بالتفوق"، حتى في عالمنا الديمقراطي الآخذ بمبدأ المساواة، فالحضارة التي ليس بها فرد يريد نيل الإعتراف بتفوقه على الآخرين، لن يكون بها غير القليل من الآداب والفنون والحياة الفكرية... وستكون الصناعات والحرف فيها مبتذلة وغير متطورة، وتكنولوجيتها متوسطة الدرجة، وسوف تكون عاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد الحضارات التي تعرف قدراً أكبر من الميجالوثيميا" (فوكوياما(أ)، 1993، ص274).

وفي ضوء أُطروحة نهاية التاريخ، بات معروفاً أن طور الليبرالية الجديد أنتج حزمة من الإشكالات السياسية والإيديولوجية منها: استبدال مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية بمبدأ التدخلات العسكرية لحسم النزاعات والحروب الداخلية، واستخدام القوة بهدف استبدال أنظمة سياسية استبدادية بأخرى ديمقراطية (حاتم، 2010، ص100). وهذا ما نراه في سياسة الولايات المتحدة العالمية على الصعيدين الداخلي والخارجي، حيث إنها تسعى داخلياً للتطور والتنمية في كافة المجالات، وخارجياً تمنع أي دولة خاصة دول العالم الثالث، من التطور أو امتلاك التكنولوجيا النووية في الأغراض السلمية، وإن أقدمت هذه الدول على امتلاك التكنولوجيا النووية فإنها تندرج ضمن قائمة دول "محور الشر Axis of Evil[1]".

2.4.5 الممارسة السياسية لفكر هانتنغتون في السياسة الأمريكية الخارجية الأمريكية

جاءت أطروحة هانتنغتون كتنظير فكري لما سوف تؤول إلية السياسة الكونية في النظام العالمي الجديد، واستشراف لمستقبل العالم في القرن الواحد والعشرين. وفي فصول سابقة ناقشنا أطروحة هانتنغتون التي تعتمد على صراع الثقافات بين الحضارات، والتي تمثل نهاية تطور الصراعات الدولية، والذى أجزم بحدوث هذه الصراعات في المستقبل. والسؤال المطروح الآن، لماذا جاء التنظير الفكري من قبل هانتنغتون للعلاقات بين الحضارات من منظور تنافسي صراعي؟ ولم يبحث عن آليات للعلاقات المتبادلة بين الحضارات؟

تفسر نادية مصطفي علاقة صراع الحضارات "بالحالة"، وكان التوقف عند هذه الحالة ضرورة أكاديمية وفكرية وعملية في آن واحد، بسبب ظهور مصطلحين سابقين لهذه الأطروحة: "النظام العالمي الجديد والعولمة"، أي بعد الاهتمام بهيكل القوة الجديد في العالم "الأحادي" ونمط عملياته "العولمة"، جاء الاهتمام بآليات ومضامين عملياته المحورية والصراعية في مجالات تبدو جديدة "المجالات الثقافية– الحضارية" (مصطفى، 2006، ص2). فيما يرى محمد حسن أن ضعف أُطروحة هانتنغتون جاء من خلال الفصل الجامد بين الحضارات، فهو افتراض خاطئ ومفسد لمفهوم الثقافة

---

[1] محور الشر Axis of Evil: هو مصطلح استخدمه الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن بعد أحداث 11 أيلول/سبتمبر 2001، لوصف كلاً من: العراق وإيران وكوريا الشمالية. كما أنه أيضاً وصف أيديولوجي ينسب لقائله فضيلة الخير ويسلبها عن الخصوم (مسعد، 2003، ص237). وأثناء الحرب الباردة ظهر مصطلح "إمبراطورية الشر Evil Empire"، الذي أطلقه رونالد ريجان (1980–1988) على الاتحاد السوفيتي السابق (شلبي، 2005، ص65:64)

التي تنتعش من خلال التنوع والتعدد وتشابك العناصر المؤثرة في الثقافات، وذلك لأن الصدام بين الثقافات والحضارات هو ثمرة صدام سياسي أو هدف له، فيما لو انتهت الخلافات والأطماع السياسية سينتفى الصدام بين الحضارات (حسن، 2008، ص31).

إن الصراع على المناطق الاستراتيجية كفلسطين، والحملات الصليبية في القرون الوسطي، قد أعادها هانتنغتون في أُطروحته، وأضفى عليها طابعاً علمانياً لتنطلق من جديد على شكل صراع حضارات، والتي عالج فيها مسألة الأديان وصراعاتها، لقد اعتبرت الاعتداءات على مركز التجارة العالمي بمثابة الدليل المأساوي على صحة أُطروحة هانتنغتون (لاكوست، 2010، ص45). فيما يرى محمد حسن أن هدف هانتنغتون من طرح تصادم الحضارات، هو إبقاء المواطن الأمريكي محافظاً على حالة الحرب حية في ذهنه، وينطلق من نقطة محددة هي ذهنية صناع القرار داخل البنتاغون والمؤسسة العسكرية الذين فقدوا مؤقتاً مبررات بقائهم بعد نهاية الحرب الباردة، والذين يعنيهم الآن خلق مبررات جديدة لهذا الوجود (حسن، 2008، ص27).

إن الولايات المتحدة تأسست على قاعدتي الإبادة والاستعباد، على التوسعية الدائمة والعدوانية الفاحشة، وتمكنت من إنجاز البناء القاري لنفسها في أمريكا الشمالية، وانتقلت من جمهورية زراعية إلى جمهورية صناعية وديمقراطية في القرن التاسع عشر واعتبرت القرن الآتي "الواحد والعشرين" قرنها بامتياز، ولتحقيق ذلك الهدف، تزايد التوسع من جنون العظمة إلى الحق الإلهي في نشر رسالتها الحضارية، فاندفعت إلى الحروب الخارجية (حجار، 2005، ص64-66). فلسفة إيجاد عدو دائم للولايات المتحدة حاضرة منذ نشأتها، ففي بداية التكوين كان العدو الهنود الحمر، ثم بريطانيا حتى الاستقلال، ولكن العدو الاستراتيجي كان ممثلاً في الاتحاد السوفيتي والآن العالم الإسلامي.

العدو في الفكر الأمريكي والاستراتيجية السياسية محفزاً استراتيجياً ومرعباً إعلامياً، وبانتهاء الحرب الباردة كان لابد للدولة الديمقراطية أن تجد عدواً يحفزها على تماسك الإدارة الداخلية (محمود وزيدان، 2013، ص322). وعلى إثر هجمات 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وعندما تهيأت حكومة بوش الابن للرد على الهجمات، بدأت قوى المحافظين الجدد التابعة له بالاحتشاد للعمل على توسيع الرد الأمريكي ضد المتهم الرئيسى في العملية: أسامة بن لادن، غير أن حكومة بوش والمحافظين الجدد شنوا حرباً شاملة على العالمين العربي والإسلامي (بايير، 2006، ص73). وقد مورست هذه الأفكار التي نظر لها المحافظون الجدد ومن ضمنهم فوكوياما وهانتنغتون بأن الخطر

القادم والتحدي الأكبر في ظل النظام العالمي الجديد يأتي من الحضارة الإسلامية. فقد وصف هانتنغتون الحضارة الإسلامية بعد هجمات 11 أيلول/ سبتمبر 2001 بالفاشية الإسلامية، وصورها بالتحدي الكبير الذي يواجه الولايات المتحدة، ويجب محاربته. فيما يرى سيد حسن بأن شهرة هانتنغتون الحقيقية على الأقل في عالمنا العربي جاءت من الجدل الذي تجدد بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، لأن أفكار هانتنغتون التي لم تكن بعيدة عن دوائر صنع القرار في بلاده هي التي شرعنت عدوان الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على الصين والعالم الإسلامي، فيما عرف وقتها بالحرب علي الإرهاب (حسن، ديسمبر/ كانون أول 2009، ص18). إن أخطر التطورات في الفكر الأمريكي في ظل النظام العالمي الجديد، وبعد هجمات 11 أيلول/ سبتمبر2001، هو تبلور الربط بين الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، وسيطرة هذا الهاجس على التفكير الأمريكي، الأمر الذي كان وراء مفهوم "محور الشر"، والذي جمع بين ثلاث دول هي: "العراق وإيران وكوريا الشمالية"، وكان العنصر المشترك بينها هو محاولة امتلاكها لأسلحة الدمار الشامل، وفيما يتعلق بالاستراتيجية الأمريكية صاغت فكرة الحرب الاستباقية، والتي رأت الإدارة الأمريكية فيها الرد الملائم على الأخطار والتهديدات (شلبي،2005، ص23).

وقد تضمنت أُطروحة هانتنغتون في ثناياها أهدافاً عقائدية، تمسك بها المحافظون الجدد، فشكلت هدفاً لإدارة بوش الابن، فذهبوا إلى المطالبة بتغيير المناهج التعليمية، وملاحقة أهل الفكر العربي، وقد استغلت إسرائيل أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، للمطالبة بتغيير المناهج في الدول العربية والإسلامية، وكان التغيير المطلوب، تغيير مضمون مناهج التربية الإسلامية، ولحذف بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واصفين هذه المناهج بأنها تركز على الكراهية والحقد والإرهاب (الجمرة،2009، ص96:95). لتخرج الحضارة الإسلامية من أرضية الدم التي تقف عليها، لابد من تغيير المناهج التعليمية، ومحاربة الإرهاب، ودخول الدول العربية باتفاقيات سلام دائمة مع إسرائيل وتطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث يرى هانتنغتون بأن الصراع "الإسرائيلي – الفلسطيني"، هو صراع حضاري بالرغم من وجود اتفاقية السلام إلا أن الصراع يبقى قائماً.

يبدو أن الولايات المتحدة، وكذلك الغرب يدركان بأن التصادم وليس التفاهم، هو الذي سيسود العلاقات بين الشرق والغرب، وقد اعترف بذلك أكثر من مسؤول أمريكي، فقد قال جاك لسلي Jack

Leslie رئيس مجلس إدارة شركة "ويبر شاندويك[1] weber shandwick": ليس من الواقعي كثيراً، وقد يكون من غير المثمر أن نوحي بأنه بإمكاننا تسويق قيم أمريكا في الشارع العربي وعلى المدى القريب، ليست هذه حرباً يمكننا الانتصار فيها عبر الموجات الإذاعية، بل يتحتم علينا خوضها في الشارع (الباش، 2005، ص133). وربما يكون هذا هو السبب وراء الاستجابة المتحمسة من صناع القرار في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وعدم اهتمامهم بالعديد من الدراسات الجادة والخبرة المتراكمة، واختزال كل هذا إلى القليل من العبارات الجذابة سهلة التذكر التي يمكن تقديمها باعتبارها معلومات ذات فائدة عملية واضحة وحكيمة. وعما إذا كان من الحكمة أن يرسم هانتنغتون خريطة مبسطة للعالم وتقديمها للجنرالات وصناع القرار كوصفة لفهم العالم والتصرف حياله على أساس هذا الوصف (سعيد، 1997، ص51). هانتنغتون يرسم عدة خرائط للعالم والقارات، وكذلك عمل عدة مقارنات وجداول معلوماتية عن الصدام بين الدول والحضارات، وكان من شأن هذه الخرائط والجداول إرهاق القارئ بالأمثلة والنماذج كي يؤمن بفكرة صدام الحضارات التي يطرحها.

وفي هذا يقول سلامة كيلة مختلفاً بالرأي مع إدوارد سعيد حول سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر2001: ما يجرى ليس "حرب حضارات" رغم أن الدولة الأمريكية تحاول إظهارها كذلك، وإن كان بشكل غير مباشر، عبر التركيز على دور ثقافة محددة في إنتاج التعصب والتطرف. وما يطرحه هانتنغتون من انقسامات حضارية ومجالات الاحتكاك بينها، وإلى خطر الحضارة الإسلامية. لم يكن هو المدخل الحقيقي للحروب التي نفذتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق والبوسنه، بل ما يجرى هو "حدود المصالح"، وبالتالي ميول الرأسمالية الأمريكية إلى التوسع في الأساس، وكونها مأزومة مالياً تالياً، ولهذا فهي ترى أن الحل يفرض استراتيجية السيطرة والهيمنة على العالم (كيلة، 2010، ص99:98). إن هدف هانتنغتون في أُطروحته هو مصلحة الولايات المتحدة، وذلك من خلال تحديد عدو جديد للإمبراطورية الأمريكية وضمان هيمنتها على الحضارات الأخرى، فإن تبنت الإدارة الأمريكية رأي هانتنغتون كما هو حول

---

[1] ويبر شاندويك Weber Shandwick: هي شركة علاقات عامة في الولايات المتحدة، فهي شركة رائدة عالمياً في مجال العلاقات العامة، حيث لديها مكاتب منتشرة في 81 دولة حول العالم. وتتمتع الشركة بخبرة واسعة في مجال التواصل الاستراتيجي، ووسائل الإعلام الاجتماعية والتسويق الرقمي (www.webershandwick.com).

خطر الإسلام، أم تبنت إستراتيجية المصلحة، فإن الحرب هي الوسيلة التي اتبعتها الولايات المتحدة ضد الحضارة الإسلامية بالرغم من تعدد الحجج والمبررات.

5.5 المبحث الرابع: التحولات الفكرية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية

في الفصل الثاني من هذه الدراسة تحدثنا عن المحافظين الجدد، والسلطة في الولايات المتحدة، إلا أن الانتخابات الأمريكية تفرز دائماً شخصيات متنوعة، بالإضافة إلى انتمائها، إما للحزب الجمهوري أو الديمقراطي، بالرغم من وجود أحزاب سياسية أخرى في الولايات المتحدة، إلا أنها تعتبر من الدول التي تعتمد نظام ثنائي الحزب. وبعد رحيل جورج بوش الابن عن السلطة جاء الرئيس الديمقراطي باراك أوباما Barack Obama (الرئيس الرابع والأربعون، منذ العام 2009 وحتى الآن)، وكذلك الدراسات العلمية والتنظيرية لم تتوقف في الولايات المتحدة. وهنا سوف نقوم بالبحث والتحليل عن طُروحات فوكوياما وهانتنغتون في سياسة الرئيس باراك أوباما من جهة، ومراكز الدراسات والأبحاث من جهة أخرى.

1.5.5 تحولات السياسة الأمريكية في عهد باراك أوباما

قبل نهاية عهد جورج بوش الابن ووصول باراك أوباما إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، لم يسلم بوش الابن من انتقادات المحافظين الجدد، وكان أبرز المنتقدين هو فوكوياما الذي تحدث بإسهاب عن فشل بوش في الحرب على العراق وأعلن براءته منه.

إن الولايات المتحدة تدفع ثمن فشل بوش وأعوانه من المحافظين الجدد لسياسة بوش الابن واستراتيجية سياسته الخارجية، نتيجة التعثر في العراق، وما تبعه من تأثيرات سلبية على مصداقية أمريكا وصورتها في العالم (الغمرى،2009، ص71). ولعل انتقاد فوكوياما نابع من فشل نشر الديمقراطية الليبرالية في العالم بعد فشل بوش وإدارته، مما أدى إلى خروج أُطروحته "نهاية التاريخ" عن الواقع. وعندما وصل باراك أوباما إلى البيت الأبيض كان هناك تغير ملحوظ في السياسة الخارجية الأمريكية.

إن البرنامج الانتخابي لباراك أوباما حمل ستة تصورات أساسية للسياسة الخارجية الأمريكية[1]، ومن أهم هذه التصورات، دور المنظمات الدولية وأهداف سياسة الأمن القومي الأمريكي. فقد اعتبر الديمقراطيون أن أحد معالم فترة حكم جورج بوش الابن كانت تجاهل دور المنظمات الدولية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة ذاتها، وارتبط ذلك بإقرار الحزب الديمقراطي بأن قوه الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الدولية لا تنبع من قوتها العسكرية فقط، بل مما أسموه "القوة المعنوية"، أي بوجود توافق دولي حول منظومة القيم الأمريكية (عبد الناصر، 2010، ص116).

إن تغير الإدارة الأمريكية الجمهورية بأخرى ديمقراطية، وفشل سياسة العسكرة والتوتر الذي رفعته الليبرالية الجديدة، دفعت العقل الاستراتيجي الأمريكي إلى التفكير في صياغة سياسة دولية جديدة، جوهرها ضرورة استرجاع ما ضيعته الإدارة الجمهورية الطائشة من مواقع دولية عبر الأخذ بالمرونة السياسة والدبلوماسية الهادئة لحل النزاعات الدولية (حاتم، 2010، ص105). إن ما يميز ولاية جورج بوش الابن في السياسة الدولية محاربته للإرهاب في أعقاب أحداث 11 أيلول/ سبتمبر2001 (السياسة الخارجية المعلنة لجورج بوش الابن محاربة الإرهاب). فقد انتقد باراك أوباما الحزب الجمهوري في اختزال أهداف الأمن القومي في هدف واحد وهو مكافحة الإرهاب (عبد الناصر، 2010، ص116). وقد خاضت الولايات المتحدة في عهد بوش الابن حروباً دولية من أجل القضاء على الإرهاب في أفغانستان والعراق، وتتجلى صورة العدو الجديد للولايات المتحدة في الحضارة الإسلامية كما صرح به هانتنغتون من خلال أُطروحته الفكرية.

بعد وصول باراك أوباما للبيت الأبيض، عقد اجتماعاً على مستوى عالٍ مع مجموعة من مستشاري الأمن القومي قال فيه: إن الرئيس القادم يجب عليه أن يوجه البلاد في اتجاه واحد، بإرسال رسالة واضحة لبقية دول العالم نقول فيها: نحن لم نعد نتبع سياسات انفرادية ولهجة التهديد والأيديولوجية (الغمرى، 2009، ص85:84). غير أن أمن الولايات المتحدة القومي هي مهمة الرئيس الأساسية، وكان رأي باراك أوباما في الحضارة الإسلامية واضحاً في خطابه من جامعة القاهرة في 4 حزيران/ يونيو2009، أنه متمسك بنهج الهجوم على التيارات الإسلامية الراديكالية، وبالمقابل

---

[1] التصورات الستة الأساسية في برنامج أوباما الإنتخابي هي: 1. دور المنظمات الدولية. 2. أهداف سياسة الأمن القومي الأمريكي. 3.تعزيز الديمقراطية. 4. دور التجارة الدولية. 5. تعامل الولايات المتحدة مع القوى الأخرى في النظام الدولي. 6. البيئة وتغير المناخ (عبدالناصر، 2010، ص115).

دعا لحسن توظيف القيم الإيجابية في الإسلام والانفتاح على الآخر (عبد الناصر، 2010، ص138). وقد كان تركيز أوباما موجهاً للبحث عن سبل الخروج من الأزمة المالية، وفيما يخص سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، لم يحدث تغير واضح في الموقف الأمريكي تجاه عملية السلام بين العرب وإسرائيل (الغمرى، 2009، ص85). إلا أنه حدث عدة تغيرات في ولاية أوباما الثانية، فقد زار الأراضي الفلسطينية وإسرائيل في 21 آذار/ مارس 2013، وعمل على إعادة مسار المفاوضات التي كانت مجمدة لأكثر من ثلاث سنوات من قبل السلطة الفلسطينية، هذا ويعمل وزير خارجيته جون كيري John Kerry على إنجاح المفاوضات والتوصل لاتفاق سلام بين الجانبين.

فيما يرى لطفي حاتم بأن هزيمة وتراجع الليبرالية الجديدة ومضامينها الاقتصادية والسياسية والعسكرية بعد الأزمة المالية العالمية، وضع الاستراتيجية الأمريكية أمام إعادة جدولة أولويتها المنطلقة من الموضوعات التالية (حاتم، 2010، ص106):

1. تعزيز الوحدة الأطلسية من خلال إشراك الحلفاء الأوروبيين في حل النزاعات الدولية وعدم الانفراد في مواجهات دولية كبرى.
2. التعاون مع الدول القومية الناهضة روسيا، الهند، الصين، البرازيل بعد فشل تحجيمها وإشراكها في معالجة قضايا الإرهاب والطاقة النووية.
3. اللجوء إلى لغة الحوار في حل القضايا الساخنة لغرض إيجاد الحلول الوسطية المشتركة لإعادة ترتيب الأوضاع الداخلية للدول، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، عبر نبذ سياسة الإملاءات والدخول على خط احترام المصالح الوطنية، وبهذا المسار تتوجه الولايات المتحدة لإعادة بناء علاقات جيدة مع تركيا، وكذلك مع إيران عبر مشاركتها في الملفات الأمنية الشائكة في العراق.

وهذا ما يحدث الآن في السياسة الخارجية الأمريكية، ففي ظل الأزمات والثورات العربية لم تتدخل الولايات المتحدة بمفردها في دول الربيع العربي، بل كان التدخل مرهوناً بحلف الناتو وكذلك بموافقة روسيا والصين، ولم تكن هذه التدخلات الدولية وفقاً لاعتبارات حضارية ثقافية، أو من أجل نشر الديمقراطية الليبرالية. إن هيمنة الولايات المتحدة كقوة وحيدة تراجع، وهذا لا يعني بأن النظام العالمي أصبح متعدد الأقطاب، بل إن هناك قوة عالمية بجانبها قوى لها تأثيرات دولية. ويقدم هانتنغتون تحليلاً جديداً لقوة الولايات المتحدة في السياسة العالمية، "في مرحلة الحرب الباردة،

كانت بنية القوة الدولية ذات قطبين، أما البنية الناشئة فمختلفة جداً، وبدلاً من ذلك فإن النظام القائم حالياً هو نظام هجين "آحادي – متعدد الأقطاب uni- multipolar"، يتشكل من قوة عظمي Superpower واحدة وعدة قوى رئيسية أخرى "Major powers (هانتنغتون(ب)، 1999، ص8:7).

لعل أُطروحة هانتنغتون أكثر واقعية في تفسير العالم من أُطروحة فوكوياما، ويصف بهجت قرني نظرة هانتنغتون بأنها: "على الرغم من أن واقعية هانتنغتون تشارك الواقعية السياسية في كثير من خصائصها، إلا أنها تضع العامل الثقافي في المرتبة الأولى، ولذلك أسميها الواقعية الثقافية"(قرني، 2003، ص179).

تنفرد ظاهرة الصراع الدولي عن غيرها من ظواهر العلاقات الدولية بأنها ظاهرة ديناميكية متناهية التعقيد. ويرجع ذلك لتعدد أبعادها وتداخل مسبباتها ومصادرها، وتشابك تفاعلاتها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، وتفاوت المستويات التي تحدث عندها (الأسطل، 2008، ص47). أغفل هانتنغتون العوامل والأبعاد الأخرى التي تؤثر في الصراعات الدولية، وجعل الثقافة هي الوحيدة القادرة على تفسير الصراعات الدولية الناشئة في النظام العالمي الجديد. أما تفسيرات فوكوياما للعلاقات الدولية فرسمها بشكل يتلاءم مع نشوة الإنتصار وروح العالم المطلقة التي وصلت إليها البشرية في نهاية التاريخ، فقد رسم اتحاداً سلمياً يضم دول ما بعد التاريخ على أسس اقتصادية، واقتصر الصراع والتنافس على الدول التاريخية. فقد جانب الأُطروحتين الصواب في تفسير النظام العالمي الجديد في ظل المتغيرات الدولية الراهنة وأهمها:

1. الأزمة المالية العالمية عام 2008، والأحداث التي أعقبتها من مظاهرات في معقل الرأسمالية، وسقوط اقتصاد اليونان.
2. دور روسيا والصين المتنامي في منطقة الشرق الأوسط في قضايا التنمية والاقتصاد والأزمات الإقليمية الراهنة.
3. الديمقراطية وحقوق الإنسان في الثورات العربية، جاءت كمطلب شعبي داخلي، ولم تستطع أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون التنبؤ بهما.
4. قوة المنظمات الاقتصادية في آسيا، وتنامي قوة الصين الاقتصادية في العالم.

2.5.5 تحولات الفكر الأمريكي في الألفية الثالثة

لم تتوقف مراكز الدراسات عن نشر مبادئ وتطلعات المحافظين الجدد، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الدولية. وقد كتُبت عدة دراسات فكرية واستراتيجية، بعضها يؤيد أطُروحات فوكوياما وهانتنغتون، والبعض الآخر ينتقدها.

يرفض روبرت كيغان الوهم الأوروبي الذي مفاده أن العالم دخل فردوس ما بعد التاريخي من السلام والازدهار النسبي، وتحقيق السلام الدائم، الذي دعا إلية كانط، وما تزال الولايات المتحدة غارفة في التاريخ، تمارس قوتها في عالم هوبز الفوضوي، لأن القواعد والقوانين الدولية غير موثوقة، ولا تعتمد عليها، حيث لا يزال الأمن الحقيقي والدفاع عن القيم الليبرالية يعتمد على امتلاك القوة العسكرية (مويرز، 2008، ص171). وطرح كيغان هذه الأفكار في كتابه "عودة التاريخ ونهاية الأحلام"، وهي تشكل رؤيه فكرية حول دور الولايات المتحدة ومستقبلها في القرن الحالي. وينتقد كيغان أُطروحة نهاية التاريخ معتبراً مرحلة ما بعد الحرب الباردة كانت ضبابية، وينظر كيغان لعالم يقوم على التمحور حول سياسات القوة وعودة أيديولوجيات القومية والشوفينية المتحالفة مع الأنظمة السلطوية، مركزاً على وجه الخصوص والتحديد على الصين وروسيا (الحروب، 2008، ص22).

ويرى وليد عبد الناصر أن أفول المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية "في الانتخابات الرئاسية الأمريكية في تشرين ثاني/ نوفمبر 2008، ترشح عن الحزب الجمهوري جون مكين John Mccain، الذى حرص في حملته الانتخابية على أن يكون بعيداً عن المحافظين الجدد، وعن طروحاتهم الفكرية" (عبدالناصر، 2010، ص67). ويخالفه الرأي خالد الحروب حيث يرى: أن روبرت كيغان أحد أهم المنظرين الراهنين للفكر الأمريكي "المحافظون الجدد"، والمستشار المقرب من جون مكين، وأفكار كيغان تجد طريقاً ممهداً إلى قلب وعقل مكين (الحروب، 2008، ص21). وقد أظهر الإعلام بأن كيغان هو المستشار المقرب من مكين خلال حملته الانتخابية. وهذا يوضح لنا أنه فيما لو نجح جون مكين في الانتخابات الأمريكية، لعاد المحافظون الجدد إلى السلطة، والأهم من ذلك هو عودتهم بطُروحات فكرية جديدة يصفها خالد الحروب "السياسة الواقعية الشرسة".

في النظام العالمي الجديد، روج المفكرون والكتاب ومن ضمنهم فوكوياما وهانتنغتون للإمبراطورية الأمريكية، فعاد تعبير "الإمبراطورية" إلى الوجهة من قبل التيار الغالب من المفكرين، فقد كان هناك كتابات تمجد فضائل الإمبراطورية الأمريكية (مويرز، 2008، ص173). وقد نظم أحد

المعاهد الاستشارية للمحافظين الجدد "أمريكان انتربرايز American Enterprise Institute" سلسلة محاضرات، وألقى ديباك لال[1] Deepak Lal محاضرة بعنوان "دفاعاً عن الإمبراطورية"، ومن ثم ألف كتاباً بعنوان: "في مدح الإمبراطوريات: العولمة والنظام[2]"، فقد تمحورت أفكار لال حول: دور الولايات المتحدة ومسؤولياتها العالمية، ولذلك لابد من مضاعفة حجم ومساحة السوق، كي تلبي حاجات الناس، من خلال إيجاد نظام اقتصادي ليبرالي دولي (هنية، 2008، ص249-253). أُطروحة فوكوياما حملت فكرة أساسية هي انتصار الديمقراطية الليبرالية كأفضل نظام للحكم، ونشر الديمقراطية في العالم، وبالتالي سوف تسود العلاقات الاقتصادية والسوق الحر في العالم. وهنا نجد اتفاقاً فكرياً بين لال وفوكوياما عن دور الإمبراطورية الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد.

المؤرخ البريطاني نيال فيرغسون[3] Niall Ferguson هو بدون شك أشد المدافعين عن فضائل الإمبراطورية، فقد كتب عن هذه الفضائل في كتابة "الإمبراطورية، 2002[4]"، التي تمحورت أفكاره حول: نشر الحضارة الغربية، يتطلب وجود إمبراطورية، وكذلك وضع حل لطبيعة الدولة بأراضيها المحدودة في عصر رأس المال المعولم هو جعل حدود الدولة مشتركة مرة أخرى مع حدود رأس المال (مويرز، 2008، 174:173). وصف فيرجسون أمريكا بأنها "إمبراطورية فى حالة إنكار"، مشيراً إلى أن التاريخ يحذّر من غروب شمس هذه الكيانات الإمبراطورية، وعمد فيه إلى تحذير أمريكا وأوروبا، والغرب عامة، إزاء صعود الصين ومن بعدها أقطار أخرى مثل الهند، بوصفهما المنافس المرتقب على قيادة مسيرة العالم (الخولي، آذار/مارس 2013). فيرغسون يدعو صراحة لاحتلال الدول من أجل بسط سيطرة الإمبراطورية على الأراضي، وبهذا تصبح الحدود مفتوحة، والعولمة ذات معنى واضح ومشتركة مع رأس المال في حدود الإمبراطورية.

---

[1] ديباك لال Deepak Lal: أستاذ دراسات التنمية الدولية في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس، وباحث مساعد في معهد كيتو بواشنطن العاصمة.

[2] In praise of Empire: Globalization and order,2004

[3] نيال فيرغسون Niall Ferguson: مؤرخ بريطاني، أستاذ التاريخ بجامعة هارفارد، فقد ألف كتابة عقب غزو أمريكا للعراق بدفع وتحريض من جماعة المحافظين الجدد (الخولي، آذار/مارس2013)

[4] Empire: The Rise and demise of the British world order and the lessons for global power,2002

إن هذه الدراسات والأفكار التي تدعم هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية كإمبراطورية عالمية "القوة المطلقة" لم تدم طويلاً، ولم تجد تأييداً لدى الدول الغربية. فأول من صاغ مصطلح "القوة المطلقة" على الولايات المتحدة هو وزير خارجية فرنسا السابق هوبرت فيدرين Hubert Vedrine[1]، ولم يكن المعنى المقصود إيجابياً، حيث أعلن أن فرنسا "لا يمكن لها قبول عالم وحيد القطب من الناحية السياسية، أو عالم تحت مظلة ثقافية واحدة، أو قوة مطلقة وحيدة" (شوا، 2011، ص15).

إن التنظير الفكري لهؤلاء المفكرين وغيرهم، الذي يدعم قيام فكرة "الإمبراطورية الأمريكية"، هم ينظرون لنظام استعماري جديد لدول العالم، تحت شعارات القضاء على الإرهاب ونشر الديمقراطية والليبرالية. وبالرغم من دعم فوكوياما وهانتنغتون الفكري في طروحاتهما للولايات المتحدة كقوة مطلقة، غير أن سلوك الدول في النظام العالمي الجديد مع بداية القرن الحادي والعشرين قد تغير من الهيمنة الأمريكية المنفردة إلى وجود قوى دولية فاعلة في النظام الدولي بجانب الولايات المتحدة، وكان ذلك واضحاً في القضايا الدولية الحالية، ومنها الأزمة السورية، وضم شبه جزيرة القرم لروسيا.

وفي النهاية يمكن القول بأن أُطروحة فوكوياما التي حملت السعادة للبشرية في نهاية التاريخ بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وخاصة في عالمنا المعاصر وصراعاته المستمرة، فهناك أكثر من منطقة مشتعلة فيها الحروب، الوطن العربي وإفريقيا تشتعل فيهما الحروب التقليدية من أجل الحفاظ على السلطة. أما الحروب المشتعلة بين الدول الكبرى وخاصة الولايات المتحدة والصين واليابان، فهي حروب حديثة تصنف ضمن الحروب التكنولوجية. وبهذا تصبح أُطروحة فوكوياما بعيدة عن الواقع. أما أُطروحة هانتنغتون الأقرب إلى الواقعية السياسية، بالرغم من كل الانتقادات حولها، إلا أنها تناولت موضوعاً حقيقياً ألا وهو الصراع الثقافي بين الدول والحضارات.

[1] هوبرت فيدرين Hubert Vedrine: سياسي فرنسي من الحزب الاشتراكي ، وزير خارجية فرنسا السابق في حكومة ليونيل جوسبان Lionel Jospin (1997-2002)، .

6.5 الخلاصة

بدأ التنظير الفكري بأُطروحة فوكوياما للنظام الدولي الجديد، والتي أكدت على انتصار الولايات المتحدة في كافة مجالات الحياة، لا سيما في الجانب الفكري، المتمثل في الليبرالية الديمقراطية وتطوراتها الأمريكية وصولاً للعولمة الاقتصادية، وبشر بالسعادة الإنسانية في إطار نظام الحكم الأمثل. ثم تبعتها أُطروحة هانتنغتون التي ناقشت ما لم يتطرق إليه فوكوياما في أُطروحته وهي: تحديات خارجية قد تؤثر على إنتصار الولايات المتحدة وهيمنتها على العالم. وبذلك تكون أُطروحة فوكوياما اكتفت بالتأكيد على تفوق الحضارة الغربية الرأسمالية دون منازع، وأن على هذه الحضارة أن تستمتع بما وصلت إليه وتخلد إلى الراحة. أما أُطروحة هانتنغتون فتعبر في حقيقة الأمر عن روح أمة انتصرت، وتبحث عن صراع خارجي لتأكيد تماسكها الداخلي، من خلال البحث عن عدو جديد.

تبين لنا من خلال هذا الفصل أن أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون لا تفسران الواقع الفعلي للمجتمعات الإنسانية بقدر ما تتحاملان عليه لصالح هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي الجديد. وحملت أطروحاتهما الفكرية جملة من الفرضيات كانا يسعيان إلى إثباتها كي تصبح أطروحاتهما نظريات سياسية. إلا أن مناقشتنا في هذا الفصل أثبتت بأن هناك جملة من المصوغات والفرضيات كانت خاطئة وبعيدة عن منهج البحث العلمي، بالإضافة إلى أن الواقع أثبت عدم صحة هذه الفرضيات التي قامت عليها أطُروحتا فوكوياما وهانتنغتون.

الفصل السادس

أوجه الالتقاء والإختلاف بين طُروحات فوكوياما وهانتنغتون في النظام العالمي الجديد

المبحث الأول: أوجه الالتقاء بين طروحات فوكوياما وهانتنغتون في النظام العالمي الجديد.

المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين طروحات فوكوياما وهانتنغتون في النظام العالمي الجديد.

1.6 تمهيد

بعد عرض طروحات فوكوياما وهانتنغتون وتحليل فرضياتها، والرؤية الفكرية التي تحملها طروحاتهم للنظام العالمي الجديد، نرى بأن هناك آراء فكرية يتفق عليها فوكوياما وهانتنغتون، وكذلك هناك آراء أخرى يختلف عليها فوكوياما وهانتنغتون، وخاصة التنبؤات الفكرية التي ينظر لها فوكوياما وهانتنغتون لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين.

وفي هذا الفصل سوف نتعرف على أوجه الالتقاء وأوجه الاختلاف الفكري بين فوكوياما وهانتنغتون من خلال عرض أفكارهما السياسية، ومدى التوافق والاختلاف، وكذلك سوف نقوم بعرض جدول مقارنة لأوجه الالتقاء والاختلاف بين أطروحتيهما الفكرية.

2.6 المبحث الأول: أوجه الالتقاء بين طُروحات فوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد

في هذا المبحث سوف نبين نقاط الإلتقاء في فلسفة فوكوياما وهانتنغتون التنظيرية للنظام العالمي الجديد.

أولا: الأُطروحتان تنبأتا بنهاية الأيديولوجيا

يجزم فوكوياما وهانتنغتون في طُروحاتهم الفكرية على "نهاية الأيديولوجيا" في النظام العالمي الجديد، بعد سقوط الخصم الأيديولوجي المتمثل في الاتحاد السوفيتي السابق.

أُطروحة فوكوياما قائمة على فرضية أساسية تتكون من شقين "نهاية الأيديولوجيات، وإنتصار الليبرالية"، وتأتي هذه الفرضية من أنه لا يوجد أيديولوجيات في العالم تكتسب الصفة العالمية، أما الأيديولوجيا الصينية والإسلامية فتبقيان أيديولوجيات محلية، وكان التحدي الأيديولوجي الأول للديمقراطية الليبرالية هي الأيديولوجيا الشيوعية التي تكتسب الصفة العالمية، فسقطت، وبذلك تكون الديمقراطية الليبرالية وصلت إلى نهاية التاريخ، لأنها صمدت في وجه الأيديولوجيات السياسية ولم تنهار نتيجة متانة مبادئها وأفكارها، وبالتالي لا يوجد أيديولوجيا حالية أو مستقبلية تستطيع منافسة الليبرالية، لأن الفكر الليبرالي أنهى كافة التناقضات في المجتمعات، ومثل أفضل النظم السياسية، الذي لا بد من تعميمه في المجتمعات كافة.

أُطروحة هانتنغتون افترضت نهاية الأيديولوجيا السياسية، وبالتالي نهاية الصراع الأيديولوجي، أما فرضيته الأساسية فكانت تتمحور حول الصراع الثقافي بين الحضارات، والتاريخ سوف يستمر في النظام العالمي الجديد. "في أواخر الثمانينات انهار العالم الشيوعي وأصبح نظام الحرب الباردة في ذمة التاريخ. وفي عالم ما بعد الحرب الباردة لم تعد الفروق المائزة بين الشعوب أيديولوجية أو سياسية أو اقتصادية، وإنما هي فروق ثقافية" (هانتنغتون،1999، ص39)

ثانياً: الأُطروحتان تفسران النظام العالمي الجديد

طُروحات فوكوياما وهانتنغتون هي طُروحات تفسيرية للفكر السياسي والسياسة العالمية في ظل النظام العالمي الجديد. وهي التي تتنبأ بمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين.

بدأ التنظير الفكري للنظام العالمي الجديد في الولايات المتحدة، من خلال أُطروحة نهاية التاريخ لفوكوياما، التي تتحدث عن شكل النظام العالمي الجديد بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي أمام الفكر الليبرالي، وأن الديمقراطية الليبرالية تجاوزت التاريخ بحل كافة التناقضات، وحصول الإنسان على الاعتراف الكامل بحقوقه، وأن دول العالم في القرن الحادي والعشرين سوف تسعى للحاق بركب الديمقراطية الليبرالية. فقد جاءت رؤية فوكوياما من خلال مقالته التي نشرت في مجلة The National Interest في العام1989. قائلاً: إن نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى وانتهى إلى غير رجعة مع انتهاء الحرب الباردة وهدم سور برلين، لتحل محلة الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية (حسين، 2011، ص263). فقد فصل وشرح أُطروحته في كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" عام 1992. المقال والكتاب يحمل نفس الفكرة وهي نهاية تاريخ البشرية الفكري، بمعنى آخر وصول البشرية إلى أخر مراحل تطور الفكر الأيديولوجي، غير أن الكتاب يمثل رؤيته الفكرية بشكل أشمل وأوسع من مقالته.

في نفس الحقبة التاريخية ظهرت رؤية هانتنغتون الفكرية، التي تفسر النظام العالمي الجديد أيضاً، وتتبلور رؤيته الفكرية لهذا النظام من خلال نهاية الأيديولوجيا السياسية وبداية صراع عالمي جديد، وهو الصراع الحضاري بين سته حضارات رئيسية، كما قسمها هانتنغتون، فقد جاءت رؤية هانتنغتون من خلال مقالته التي نشرت في مجلة الشؤون الخارجية "Foreign Affairs" في العام 1993. وبعد ثلاثة أعوام صدر كتاب "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي" عام 1996، الذي يشرح فيه أُطروحته بشكل أعمق وأوسع من المقالة.

بالرغم من وجود اتفاق واختلاف في بعض الأفكار التي يطرحها فوكوياما وهانتنغتون إلا أنهما من نفس الحقبة الزمنية ولا يفصل بينهما فاصل زمني طويل، وتبحث الأُطروحتين في موضوعات الفكر السياسي والسياسة العالمية في النظام العالمي الجديد.

ثالثاً: الأُطروحتان ترفعان من شأن الولايات المتحدة الأمريكية

تمثل الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية في ظل النظام الدولي الجديد المركز الرئيسى المؤثر في العلاقات الدولية والقطب الأوحد والمهيمن على حركة التفاعل الدولي، أما بقية الدول الأخرى "أطراف الأطراف"، فهي مجرد توابع، يتعين عليها التكيف والانصياع للأمر الواقع، وإلا سيكلفها عنادها غالياً وستظل قابعة في "قاع التاريخ" على حد تعبير فوكوياما، الذي يعد إلى جانب

هانتنغتون من أبرز رواد برديغم[1] Paradigm المركزية الغربية- نحن والآخرون- الذي سيظل أحد الأطر النظرية الأساسية والمؤثرة على السياسة الخارجية الأمريكية في مطلع القرن الحادي والعشرين (محمد، 2013، ص77). ويؤكد فوكوياما في أُطروحته بأن الدولة التي تمثل نهاية التاريخ والنموذج الذي لابد وأن تصبو إلية كافة دول العالم هي، الولايات المتحدة الأمريكية. ويكتب فوكوياما في أطروحته النماذج والأمثلة عن إمبراطورية الولايات المتحدة الأمريكية دون غيرها من الدول التي وصلت إلى نهاية التاريخ، التي حققت العدالة والمساواة لكل مواطنيها. وعلى الدول التي تريد أن تصل إلى النهاية كما وصلت إليها الولايات المتحدة، عليها أن تنتهج الديمقراطية الليبرالية، وتأخذ الولايات المتحدة الأمريكية كنموذج للدولة المنتصرة التي وصلت إلى نهاية التاريخ.

فيما يتعلق بأُطروحة هانتنغتون، فقد رفع هو الآخر من شأن "الإمبراطورية الأمريكية"، كما فعل فوكوياما وفق رؤيته الفكرية للنظام العالمي الجديد. فقد أعلن صراحة عن قلقه حيال مستقبل الغرب ومستقبل هيمنته الكونية، معتبراً أن السياسة الدولية صارت تتحرك بعد انتهاء الحرب الباردة خارج حقبتها الغربية لتغدو متركزة على التفاعل بين الحضارات الغربية وحضارات أخرى غير غربية (عطوان، 2009، ص236). ووفقا لما يقوله إدوارد سعيد: إن دول الحضارات الأخرى أصبحت في عالم اليوم نداً للغرب ومحركة للتاريخ وصانعة له 'كما يعترف هانتنغتون بنفسه أن: "الأجناس الأقل" موضوع التحديق الكولونيالي[2] إن جاز التعبير- ترد على العدوان الكولونيالي بمقاومة وسيطرة الرجل الأبيض" (سعيد، 1997، ص53).

---

[1] برديغم Paradigm: هو مجموعة متآلفة منسجمة من المعتقدات والقيم والنظريات والقوانين والأدوات والتكتيكات والتطبيقات، يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين، تمثل تقليداً بحثيا كبيراً، أو طريقة في التفكير والممارسة، ومرشداً يقود الباحثين في حقل معرفي ما (محمد،2013، ص79).

[2] الكولونيالية Colonialism: يعد مصطلح الكولونيالية ذا أهمية في تحديد الشكل المحدد للاستغلال الثقافي الذي تنامي بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الماضية. ويطرح إدوارد سعيد الفارق التالي: الإمبريالية تعني: الممارسة، والنظرية والتوجهات الخاصة بمركز مُتسيد يحكم إقليماً نائياً. بينما الكولونيالية: التي كانت على الدوام تقريباً نتيجة للإمبريالية وهي زرع للمستوطنات في إقليم ناء. والتوسع الكولونيالي الأوروبي بعد عصر النهضة الأوروبية متلازماً مع نمو النظام الرأسمالي الحديث للتبادل الاقتصادي تعني أن إدراك المستعمرات بوصفها كيانات تأسست بشكل رئيسي لإمداد اقتصاديات القوى الكولونيالية سريعة النمو بالمواد الخام، وهذا يعني بأن العلاقة بين المستعمر والمستعمّر كانت مغلقة على تراتبية صلبة للاختلاف تستعصي بشدة على الدخول في تبادلات عادلة ومتكافئة، سواء أكانت اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية (أشكروفت وآخرون، 2010، ص106:105).

كما أكد هانتنغتون في أُطروحته على مكانة الحضارة الغربية، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، كدولة مركزية للحضارة الغربية، أما بالنسبة للحضارات الأخرى فلم يبحث عن تاريخ وتراث أي حضارة أخرى من الحضارات الستة التي ذكرها. وقد أكد على هيمنة الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد، وكذلك قلقه الشديد على مكانة الولايات المتحدة، فبحث عن التهديدات الخارجية التي قد تؤثر على هذه الهيمنة في القرن الحادي والعشرين. ولعل المفكرين إتفقا فيما بينهما بأن الصراع بين الغرب والإسلام يكمن في جوهره بين الحداثة والتقليد، وكلاهما أنذر من الخطر الذي تشكله الحركات الإسلامية الأصولية على الغرب (حميد، 18 أكتوبر/ تشرين أول 2010). فوكوياما يرى بأن الدول الإسلامية تتأثر بالفكر الليبرالي، وبالتالي الحركات الإسلامية الأصولية ترفض الحداثة، أما هانتنغتون شمل الحضارة الإسلامية بكل مكوناتها السياسية ووصفها بالعنف والإرهاب.

رابعاً: كلا المفكرين ينتميان للمحافظين الجدد وعملا في الإدارات الأمريكية

عندما تحدث البحث عن المحافظين الجدد في الفصل الثاني من الدراسة، أوضح بأن هناك اختلافات فكرية بين أعضائهم، إلا أن هناك إتفاقاً ضمنياً عام لبعض المبادئ والأفكار التي يؤمن بها أعضاء المحافظون الجدد، ومن ضمن هؤلاء الأعضاء فوكوياما وهانتنغتون.

ويحدد ستيفان هالبر وجوناثان كلارك ثلاث موضوعات مشتركة يجتمع عليها المحافظون الجدد، وهي (هالبر وكلارك، 2005، ص20):

1. إيمان نابع من اعتقاد ديني بأن الوضع الإنساني يعرف بأنه اختيار بين الخير والشر، وأن المقياس الحقيقي للشخصية السياسية يوجد في استعداد الخيرين لمواجهة الأشرار.
2. التأكيد بأن المحدد الجوهري للعلاقة بين الدول هو القوة العسكرية والرغبة في استخدامها.
3. تركيز أساسي على الشرق الأوسط والإسلام، باعتبارهما يمثلان التهديد الرئيسى للمصالح الأمريكية في الخارج.

هذه الموضوعات المشتركة كانت واضحة بشكل جلي في أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون، فقد استبعد فوكوياما أي تأثير عالمي للأيديولوجيا الإسلامية، ووصف دولها بالسلطوية التي لا تعرف مبادئ الديمقراطية. أما هانتنغتون فقد وصف الحضارة الإسلامية بالتحدي الجديد للإمبراطورية الأمريكية، وأن حدودها هي حدود الحروب الحضارية المستقبلية، لما تحمله من تراث عقائدي

يجعل منها منطقة حروب وصراعات حسب زعمه، ولذلك نجد المفكرين يتحاملان على الدول الإسلامية بشكل خاص، وعلى الشرق الأوسط بشكل عام، من أجل خلق مبررات لسيطرة الولايات المتحدة على هذه الدول والمنطقة بشكل عام، ولدعم إسرائيل التي لها تأثير كبير على المحافظين الجدد.

من جانب آخر نجد أن فوكوياما وهانتنغتون، عملا في الإدارات الأمريكية المختلفة، وكانا من صناع القرار السياسي في الولايات المتحدة، وكذلك هما من نخبة المحافظين الجدد اللذين لهم ثقلهم في الولايات المتحدة من خلال كتاباتهم وآرائهم التي طبقت في إدارة جورج بوش الابن، وكانت محط إعجاب المحافظين الجدد، ومحل جدل إعلامي واسع في الولايات المتحدة الأمريكية.

3.6 المبحث الثاني: أوجه الاختلاف بين طُروحات فوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد

في هذا المبحث سوف نبين أوجه الاختلاف في الأفكار التي يطرحها كل من فوكوياما وهانتنغتون في أطُروحتيهما الفكرية للنظام العالمي الجديد.

أولاً: نظرة فوكوياما وهانتنغتون إلى العالم

اختلف فوكوياما عن هانتنغتون في نظرته المستقبلية للنظام العالمي الجديد، فقد كان هو أول من كتب عن النظام العالمي الجديد في الولايات المتحدة، وحملت رؤيته الفكرية روح النصر والسعادة لهزيمة الاتحاد السوفيتي السابق، وعلى أثرها نظر فوكوياما لنشر الديمقراطية الليبرالية في العالم. أما هانتنغتون الذي انتقد وجهة نظر فوكوياما للنظام العالمي الجديد، فقد كتب عن مستقبل العالم بنظرة تشاؤمية، وبشر بصراع جديد في النظام العالمي الجديد، مؤكداً على حتمية صراع الحضارات في المستقبل المنظور.

إن نظرة فوكوياما وهانتنغتون بينهما خلاف شديد في الرؤية المستقبلية للعالم. فوكوياما يفترض تلاقي المنظومات العالمية السياسية والاقتصادية، وبالتالي منظومات القيم، فكانت رؤية فوكوياما تعني بأن الرأسمالية والديمقراطية فازتا على كافة الأيديولوجيات الأخرى، ولا توجد قوى في الأفق يمكن أن تتولد عنها أحداث تاريخية مهمة. أما نظرة هانتنغتون فعلى عكس فوكوياما يتنبأ باستمرار الاختلاف، ويعلن أن العالم على حافة صدام الحضارات، وهذه الحضارات محصورة داخل تضاد

فيما بينها بسبب الاختلافات والتي لا يمكن التوفيق بينها من حيث القيم والنظرة إلى العالم (نيسبت، 2005، ص199:200).

فوكوياما في جزء من أُطروحته يكتب تحت عنوان: "ليس هناك برابرة على الأبواب" مؤكداً فيه أن الولايات المتحدة في مأمن من أي دمار تكنولوجي قادم، وأن التاريخ غائي وسوف تسير باقي الدول نحو الديمقراطية الليبرالية. وهذا ما يدحضه هانتنغتون بشكل قاطع، حيث يؤكد في أُطروحته بأن هناك برابرة على الأبواب تهدد أمن ومكانة الولايات المتحدة الأمريكية وحدد البرابرة بالحضارة الإسلامية والتوكيد الصيني لها. ويؤكد تزفيتان تودوروف في كتابه "الخوف من البرابرة ما وراء صدام الحضارات"، بأن الذى دعا هانتنغتون لكتابة أُطروحته هو تهديد البرابرة للولايات المتحدة، بالإضافة إلى إيجاد عدو جديد للولايات المتحدة لتبرير ميزانيتها العسكرية وهيمنتها على العالم.

ومن جانب آخر، يمكن لنا الحديث عن طبيعة النظرة الفلسفية لكلاً من فوكوياما وهانتنغتون للنظام العالمي الجديد. فوكوياما يعبر في أُطروحته عن رؤية مشتملة على كافة جوانب الحياة من "السياسة والثقافة والاقتصاد والاجتماع"، أما هانتنغتون يعبر في أُطروحته عن رؤية تشمل العامل الثقافي وحده ولا تشمل غيره وهو: الهوية الثقافية للحضارة وصدامها مع الهويات الثقافية للحضارات الأخرى (كيله، 2010، ص13:12). فوكوياما تحدث عن نهاية التاريخ ووصول البشرية للسعادة الأبدية، فكان لابد وأن يتحدث عن الرأسمالية الراهنة بكافة مجالاتها. أما هانتنغتون فقد تحدث عن عامل واحد فقط وهو: الصدام الثقافي للهويات الحضارية، وجعل الصدام الحضاري هو المحرك الجديد للتاريخ البشرى.

ثانياً: فلسفة النهاية عند فوكوياما وهانتنغتون

أنهى فوكوياما التاريخ في أُطروحته واعتبر أن الليبرالية الديمقراطية أوصلتنا إلى نهاية التاريخ، وبذلك سوف تعيش المجتمعات بسعادة بدون تناقضات بعد حصول الفرد على الاعتراف بإنسانيته كإنسان. ولم يكن هانتنغتون مقتنعاً برأي فوكوياما القائل: بأن روح العالم القلق بإمكانه أن يرتاح ويسترخي الآن، وإصراره بأنه لم يعد هناك بدائل متاحة لأسلوب الحياة الأمريكية، أما فلسفة الآخر "الاشتراكية"، فقد اختفت وغاصت في المحيط، وانتصار رأس المال لا يمكن إبطاله، إنه انتصار عالمي. ويوافق هانتنغتون بعدم وجود بدائل أيديولوجية للرأسمالية الحالية، لكن هذا لا يعني نهاية

التاريخ عند هانتنغتون، فما زالت هناك عداوات باقية، وخطوط الإنقسام بين البشر، الصراع الجديد سوف يكون ثقافياً (علي، 2008، ص83).

إن كلا الأُطروحتين تمثلان منظومة فكرية وفلسفية وتفسيرية للتاريخ والعلاقات الدولية والصراعات بين البشر، ومآلاتها مختلفة عن الأخرى، فهناك فارق كبير بينهما: أُطروحة فوكوياما تتموضع في سكة التفكير الليبرالي والسلامي الذي يمثل الفكر الكانطي[1] "Immanuel Kant" . أما أُطروحة هانتنغتون فتتموضع في سكة التفكير الصدامي الهوبزي "T. Hobbes" (الحروب، 2008، ص23). جعل هانتنغتون الحضارات هي القوى الجديدة والمحركة للتاريخ البشرى، وبذلك تكون فلسفة التاريخ عند هانتنغتون مستمرة في مرحلة الصراع الأخير من تاريخ البشرية وهي "صراع الحضارات الثقافي".

ثالثاً: التغيرات في المواقف الفكرية عند فوكوياما وهانتنغتون

هناك اختلاف في المواقف الفكرية التي صرح بها كل من فوكوياما وهانتنغتون. فوكوياما بعد طرح أفكاره السياسية في أُطروحته نهاية التاريخ، ففي البداية كان مدافعاً عن أفكاره ويرد على منتقديه، إلا أنه في نهاية العام 2003، كان هناك تحولات في مواقف وقناعات فوكوياما، حين رفض الغزو على العراق، وتبعته بعد ذلك مواقف أخرى في دراساته وكتاباته توضح تبدل وتغير موقفه الفكري من نهاية التاريخ. وفي كتابة "مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، 2002"، يقر بأنه لا يمكن أن نصل إلى نهاية التاريخ، ما لم يكن هناك نهاية للعلم. ويكتب فوكوياما اليوم كتاباً عن "بداية التاريخ منذ أصول السياسة حتى اليوم، 2012"، الذي تحدث فيه عن بداية التاريخ بدلاً من نهايته.

---

[1] فلسفة التاريخ عند عمانوئيل كانط Immanuel Kant (1724- 1804): كان يرى العالم في نهاية المطاف متجهاً نحو التقارب والتعاون والدمقرطة. إن فلسفة كانط للتاريخ تعني الإنتقال من حالة الطبيعة التي هي حالة حرب إلى حالة القانون والتي هي حالة السلام، ويقوم كانط بمهمته عن طريق الاعتماد على تصوراته للأخلاق والتاريخ، مبيناً اعتماد السلام على القانون، والقانون على العقل، وحركة في طبيعة الأشياء نحو دولة حرة، وعاقلة، وبالتالي نحو دولة محبة للسلام (هاسنر، 2005، ص167-169).

فلسفة التاريخ عند توماس هوبز T. Hobbes (1588- 1679): لا يرى نهاية للعالم، بل صراعات وتنافسات متأبدة تلخصها مقولته "حرب الكل ضد الكل" (الحروب، 2008، ص23:24). هوبز يرسم صورة لحالة الطبيعة وهذه الصورة هي أن كل إنسان لا تحركه سوى الاعتبارات الذاتية المتعلقة بأمنة وقوته. إن النتيجة التي تترتب على ذلك عند هوبز هي الحرب الدائمة، "حرب الواحد ضد الآخر" و"حرب الجميع ضد الجميع" (الطعان، 1992، ص111:112).

أما هانتنغتون، فلم يغير أفكاره السياسية التي جاءت في أُطروحته، وكان مدافعاً عنها حتى وفاته في نهاية عام 2008. وفي مقال نشر له في مجلة الشؤون الخارجية "Foreign Affairs" بعنوان: "إذا لم تكن الحضارات، فماذا"، رد هانتنغتون على كل منتقديه بقوة ودافع عن أُطروحته.

رابعاً: تقسيمات العالم في طروحات فوكوياما هانتنغتون

اختلف فوكوياما وهانتنغتون في تقسيم العالم في ظل النظام العالمي الجديد، تأتى هذه الاختلافات حسب رؤيه كل منهما للنظام العالمي الجديد.

قسم فوكوياما العالم إلى قسمين: الأول: عالم ما بعد التاريخ، وهذا العالم يضم الدول الليبرالية التي تعتمد النظام الديمقراطي الليبرالي في الحكم. أما القسم الثاني: دول التاريخ، وهذا العالم يضم الدول التي لم تصل إلى نهاية التاريخ، لأنها لا تطبق النظام الديمقراطي الليبرالي في الحكم.

أما هانتنغتون فقد قسم العالم، حسب نظرية التبعية وهي العلاقات التي تصورها هذه النظرية بين المركز والمحيط، وقسم العالم إلى جزئيين: القسم الأول: العالم مكون من سبع حضارات، الحضارة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة والحضارات الأخرى. القسم الثاني: الحضارة مكونة من دولة مركز ودول محيطة بها (ليله، 2006، ص79:80). ويؤكد هانتنغتون الاختلاف بين الحضارات لعدة أسباب منها: الدين، والثقافات، والهويات الثقافية. وبالتالي سوف يؤدي هذا الاختلاف إلى صدام حتمي بين الحضارات في النظام العالمي الجديد.

قسم فوكوياما العالم دون النظر إلى الهوية الثقافية أو العرقية، لأنه كان ينظر إلى الأيديولوجيا السياسية كنظام حكم في الدولة، وهذا التقسيم يتماشى مع أُطروحته الفكرية، وخاصة بما يراه، بأن الخط الفاصل بين هذين العالمين يتغير بسرعة، لأن الدول تغير من أيديولوجيتها السياسية، وقد تدخل في عالم ما بعد التاريخ. أما هانتنغتون فقسم العالم إلى ست حضارات رئيسية، بينهما خطوط صراع ثابتة ولن تتغير، وذلك لأن كل حضارة تؤمن بثقافتها، ولا تقبل بعملية "التغريب"، على حد تعبير هانتنغتون. وهذا التقسيم يتماشى مع أُطروحته الفكرية التي تنبأت بالصدام الحتمي بين الحضارات.

4.6 الخلاصة

بعد عرضنا لأوجه الالتقاء والاختلاف بين طُروحات فوكوياما وهانتنغتون نستطيع أن نقول: في العالم المعاصر هناك الكثير من الدراسات الفكرية، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد عن غيرها من الدول بتطبيق هذه الدراسات الفكرية في السياسة الأمريكية، خاصة في السياسة الخارجية، ذلك لأن الولايات المتحدة تعتمد على النظام المؤسساتي في الحكم.

إن الالتقاء والاختلاف في فكر فوكوياما وهانتنغتون كان من أجل المصلحة الأمريكية. فبعد أُطروحة فوكوياما التي أعلنت عن نهاية التاريخ وبشرت بانتصار الديمقراطية الليبرالية في النظام العالمي الجديد، جاءت أُطروحة هانتنغتون لترصد الصراع العالمي الجديد والذي يتمحور حول الصدام بين الحضارات، ولتعلن عن العدو الجديد الذي يهدد أمن الولايات المتحدة الامريكية. تواترت أُطروحة فوكوياما أمام أُطروحة هانتنغتون من أجل الغرض الذي تؤديه كل أُطروحة، فالأولي: أعلنت الإنتصار وبشرت بنشر الديمقراطية، أما الثانية: فأعلنت عن مخاطر جديدة وصراعات مستقبلية. وهذا بدوره يبرر الهيمنة الأمريكية في النظام العالمي الجديد واستخدامها للقوة العسكرية من أجل نشر مبادئ الديمقراطية.

من خلال عرضنا للالتقاء والاختلاف الفكري لفوكوياما وهانتنغتون يتبين لنا بأن طُروحاتهم الفكرية جاءت وفقاً لمعتقدات محددة مسبقاً، ولم تخرج عن إطارها العام، وهي أيديولوجيا المحافظين الجدد. وبالرغم من الإختلاف والتباين في الطرح الفكري لفوكوياما وهانتنغتون، إلا أن هناك إتفاقاً على أُسس فكرية، يجتمع رأي المحافظين الجدد عليها، كالهيمنة الدولية والقوه العسكرية، ونشر الديمقراطية الأمريكية على العالم أجمع وذلك لما تمثله في فكرهم وفق مقوله "شعب الله المختار".

وفيما يلي بيان توضيحي للمقارنة بين أطروحتي فوكوياما وهانتنغتون، من حيث الالتقاء والاختلاف في الأفكار السياسية.

أولاً: الإلتقاء الفكري بين فوكوياما وهانتنغتون

فرانسيس فوكوياما	صمويل هانتنغتون
أنهى فوكوياما الأيديولوجيا السياسية، معلنا عن انتصار الديمقراطية الليبرالية وتنبأ بنهاية التاريخ.	أنهى هانتنغتون الأيديولوجيا السياسية، معلناً عن صراع ثقافي بين الحضارات، وتنبأ بالصدام الحتمي بين الحضارات.
أُطروحة فوكوياما تفسر النظام العالمي الجديد، من خلال النظرة المستقبلية للعالم في القرن الواحد والعشرين.	نفس الشيء أُطروحة هانتنغتون تفسر النظام العالمي الجديد، من خلال النظرة المستقبلية للعالم في القرن الواحد والعشرين.
أُطروحة فوكوياما ترفع من شأن الولايات المتحدة الأمريكية وتجعل منها نموذجاً فكرياً، لابد من تطبيقه في دول العالم.	أُطروحة هانتنغتون ترفع من شأن الولايات المتحدة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، ويجعل منها دولة المركز في الحضارة الغربية، ويبحث عن التحديات التي يمكن أن تؤثر على هيمنة الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد.
فوكوياما عندما كتب أُطروحته كان ينتمي لنخبة المحافظين الجدد.	هانتنغتون ينتمي لنخبة المحافظين الجدد حتى وفاته.
فوكوياما مفكر وسياسي معاً، وعندما كتب أُطروحته كان يعمل في إدارة البحوث والتخطيط في الخارجية الأمريكية.	هانتنغتون مفكر وسياسي معاً، وعمل في الإدارة الأمريكية: وكان يعمل سابقاً في مجلس الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر عامي (1977–1978)، وعندما كتب أُطروحته كان في جامعة هارفرد، فهو مدير لمعهد جون أولين للدراسات الاستراتيجية في نفس الجامعة.

ثانياً: الاختلافات الفكرية بين فوكوياما وهانتنغتون

فرانسيس فوكوياما	صمويل هانتنغتون
الرؤية المستقبلية للنظام العالمي الجديد لفوكوياما كانت تفاؤلية تتحدث عن روح النصر والسعادة للبشرية، في القرن الحادي والعشرين.	الرؤية المستقبلية للنظام العالمي الجديد لهانتنغتون كانت تشاؤمية تبشر بالصراع الحتمي بين الحضارات في القرن الحادي والعشرين.
نظرة فوكوياما للنظام العالمي الجديد تشمل كافة جوانب الحياة الإنسانية من: سياسة واقتصاد واجتماع وثقافة.	نظرة هانتنغتون للنظام العالمي الجديد لم تشمل إلا عامل واحد وهو: الصدام الثقافي للهويات الحضارية.
أنهى فوكوياما التاريخ الإنساني، واعتبر الديمقراطية الليبرالية هي المرحلة النهائية من تطور الفكر الإنساني.	هانتنغتون لم ينهِ التاريخ الإنساني، واعتبر الحضارات هي المحرك الجديد للتاريخ البشري.
بعد أكثر من عقدين من الزمان على أُطروحة نهاية التاريخ، يغير فوكوياما من قناعاته ومواقفه الفكرية التي طرحها في نهاية التاريخ.	لم يغير هانتنغتون مواقفه الفكرية في أُطروحته صدام الحضارات، ورد على كل منتقديه، وأكد أكثر من مرة في كتاباته على أن ما يحدث في النظام العالمي الجديد هو صدام حضارات.
قسم فوكوياما العالم إلى قسمين: العالم التاريخي، والعالم ما بعد التاريخي. وجعل الخط الفاصل بين العالمين يتغير بسرعة وفقاً لتطبيق النظام الديمقراطي الليبرالي في دول العالم التاريخي.	قسم هانتنغتون العالم إلى قسمين: الحضارات العالمية، ودولة المركز ودول المحيط داخل الحضارة. وجعل الخط الفاصل بين الحضارات هو خط الصراع الحضاري، وهذا الخط ثابت ولن يتغير بسبب إيمان كل حضارة بثقافتها.

5.6 خاتمة الدراسة

حاولت هذه الدراسة التعرف على طروحات فوكوياما وهانتنغتون في النظام العالمي الجديد، من خلال دراسة طروحاتهم الفكرية ومقارنة أفكارهم السياسية التي ينظرون لها في النظام العالمي الجديد، ومدى ممارسة تلك الأفكار في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اقتضى أن نتعرف في البداية على المفاهيم والنظريات التي طرحت فكرة "نهاية التاريخ" و"صدام الحضارات" قبل طرح فوكوياما وهانتنغتون، فعرضنا المفاهيم المرتبطة بالدراسة مثل مفهوم: "نهاية الأيديولوجيا، ونهاية التاريخ، وصدام الحضارات، والمحافظين الجدد"، التي عاد لها كل من فوكوياما وهانتنغتون في طروحاتهما، من خلال العودة إلى فلسفة المفكرين الغربيين، لإثبات صحة فرضياتهم في طروحاتهم الفكرية. فالعلم تراكمي، يبنى على أفكار ونظريات سابقة، وكذلك اعتمد فوكوياما وهانتنغتون على الرؤية الفكرية للمحافظين الجدد، وخاصة أفكار ليو شتراوس و برنارد لويس، فهم يطرحون أفكار من سبقهم من مفكري المحافظين الجدد، الذين كانوا أساتذة لهم وزملاء في الجامعات الأمريكية، وكذلك في مراكز الدراسات والأبحاث، غير أن هذه الطروحات مختلفة عن "سياسة الأفكار" التي كان ينظر لها المحافظين الجدد، فهي شاملة تسعى لإثبات حقائق محددة يؤمن بها أنصار هذا التيار.

وكان هدفنا في هذه الدراسة، تسليط الضوء على الفكر السياسي الأمريكي في النظام العالمي الجديد، وتبيان الأفكار السياسية التي تمارسها الإدارة الأمريكية في سياستها الخارجة، والكشف عن مدى صحة الأفكار التي ينادي بها فوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد، وكذلك التحقق من صدق الرؤية الفكرية لهاتين الأطروحتين ومطابقتهما للواقع، فقد أدت الأحداث العالمية بعد سقوط الإتحاد السوفيتي السابق، إلى تحولات في الفكر الذي صنع مفاهيم وقوانين النظام العالمي الجديد. وما طرحه فوكوياما في "نهاية التاريخ"، وما عززه هانتنغتون في "صدام الحضارات"، قد مثل التنظير الفلسفي لإعادة صياغة النظام العالمي الجديد (الجاسور، 2010، ص4:3). والسؤال المطروح هنا، هل التحولات على أرض الواقع سابقة للفكر؟ أم الفكر الذي يصنع المستقبل؟. مسألة العلاقة بين التحولات في الواقع والتحولات في الفكر هي مسألة جدلية في الفكر السياسي، وما يهمنا هنا بأن التحولات في الواقع، وسقوط الاتحاد السوفيتي، تبعها تحولات في الفكر الأمريكي المتمثل في طروحات فوكوياما وهانتنغتون، وهذه التحولات الفكرية تبعها تحولات

في الاستراتيجية الأمريكية وسياستها الخارجية، وهذا ما يعطي طروحات فوكوياما وهانتنغتون قوة التأثير على سياسة الولايات المتحدة.

فقد كان للمحافظين الجدد رؤيتهم المحددة والقاطعة بشأن العالم بعد انتهاء الحرب الباردة، وكان لهم برامجهم السياسية، ولم تكن نظرتهم للجماعات التي اعتبروها تمثل قوى الشر، تكتفى بالطرح النظري، لكنها تضمنت ما سوف تفعله الولايات المتحدة معهم، وقد سجلوه في برنامجهم المعلن عام 1997 تحت اسم "برنامج القرن الأمريكي الجديد"، متضمناً مبادئ "الحرب الاستباقية"، و"العدو المحتمل"، و"الأولوية للحرب قبل الدبلوماسية"، وهي المبادئ نفسها التي وضعت في بنود السياسة الخارجية لحكومة بوش التي احتوتها استراتيجية الأمن القومي الجديدة التي أعلنت في 20 سبتمبر/ أيلول 2002 (الغمرى، 2009، ص62). ولقد كان فوكوياما أحد الموقعين على هذه الوثيقة قبل تنصله من المحافظين الجدد. وفي خاتمة الدراسة لابد لنا من تشخيص طروحات فوكوياما وهانتنغتون والقضايا التي يطرحونها لمستقبل النظام العالمي الجديد، والتي كانت موضوعات الفصول السته السابقة.

النظرة التاريخية لدى فوكوياما وهانتنغتون للعالم، تختلف وتتفق في بعض الرؤى الفكرية لكل منهما، وكذلك التنبؤ بمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين، فقد قسم فوكوياما العالم إلى معسكرين، الأول: عالم ما بعد التاريخ، الذي وصل إلى الديمقراطية الليبرالية التي تشكل نهاية التطور الأيديولوجي للإنسانية، أما الثاني: العالم الغارق في التاريخ، وهي الدول التي لا تطبق النظام الديمقراطي الليبرالي، والتي تطبق سياسة القوة والصراعات فيما بينها، إشارة منه إلى دول العالم الثالث، وأكد على نشر الديمقراطية الأمريكية في دول العالم. أما هانتنغتون فقد قسم العالم إلى سبع حضارات رئيسية مع احتمالية قيام الثامنة، وأكد على الصدام الحضاري الدائم بين الحضارات، وأعاد ترتيب المعسكرات الأيديولوجية في عالم الحرب الباردة السابقة، إلى معسكرات صدام الحضارات في عالم ما بعد الحرب الباردة، وحدد الحضارات التي تصدم بالغرب. إن طروحات فوكوياما وهانتنغتون وفق نظرتهم لدول العالم، أدت إلى زيادة الاستعمار في الشرق الأوسط، وهو استعمار يحمل فكر جديد وكان نموذج هذا الاستعمار كما دعا له فوكوياما وهانتنغتون في العراق وأفغانستان، واستمرار احتلال فلسطين.

حدد فوكوياما وهانتنغتون الدول التي تغرق في التاريخ وتشكل تحدي للحضارة الغربية، وكان التحديد متمثل في دول العالم الثالث، والتي تعتنق الديانة الإسلامية، واعتبروا هذه الدول مصدر التهديد للغرب، وفق نظرة كل منهما في أًطروحته، فإن فوكوياما يعتبر الأيديولوجيا الإسلامية قد انتهت ولم يبقى سوى الدين، أما هانتنغتون فقد اعتبر الحضارة الإسلامية هي التي تشكل تهديد حقيقي للحضارة الغربية، ويمكن الرد على طروحات فوكوياما وهانتنغتون من خلال النقاط التالية:

أولاً: الدول العربية ممزقة ولا يوجد قومية عربية ودولة مركز، والدول العربية والإسلامية تطبق نظام سياسي علماني في الحكم، ولا تعمل وفق أيديولوجيا إسلامية كاملة.

ثانياً: الهجوم على الدول الإسلامية من أجل تجزئة الوطن العربي، والدفع بتجاه سيطرة إسرائيل على المنطقة وأن تبقى القوة الوحيدة الموجودة في المنطقة العربية، ولم يكن السبب هو تشكل تهديد من قبل الدول العربية على الولايات المتحدة، فإن الدول العربية ترتبط باتفاقيات ومعاهدات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك وجود العديد من القواعد العسكرية الأمريكية في البلدان العربية.

وقد تمثلت نهاية التاريخ عند فوكوياما بانتصار الفكر الغربي الديمقراطي، ويؤكد فوكوياما على نهاية الأيديولوجيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتصار الأيديولوجيا الغربية المراد تعميمها على العالم. أما هانتنغتون أنهى الأيديولوجيا السياسية ولم ينهى التاريخ، فقد استبدل الصدام الأيديولوجي بين الغرب والشرق، بالصدام الحضاري الدائم، وجعل الحضارات هي المحرك الجديد للتاريخ خلافاً لرؤية فوكوياما.

إن هذا التقسيم لدول العالم وحضاراته عند فوكوياما وهانتنغتون، هو تقسيم تحكيمي وليس علمي، فقد قسم فوكوياما العالم إلى دول تاريخية ودول ما بعد التاريخ، وفقاً للفكر الليبرالي، وبحكم مسبق بأن الأيديولوجيا الديمقراطية الليبرالية هي التي تمثلت في نهاية التاريخ وسقطت كل الأيديولوجيات الأخرى، فبالرغم من تراجع الصراع الأيديولوجي في العالم غير أن الدول لديها أيديولوجيتها الخاصة التي قد تتفق مع الولايات المتحدة وقد تعارضها. أما هانتنغتون في تقسيماته لحضارات العالم، لم يتبع المنهج العلمي فقد قسم الحضارات وفقاً لمعايير محددة مسبقاً، حيث ينص في أُطروحته على وجود حضارة بوذية، وفي تقسيماته للحضارات ينفي وجودها، وقد قسم الحضارات بشكل مختلف ففي كل حضارة نجد معيار جديد مثل" الدين، الجغرافيا، القارة، الدولة". وهذا يعتبر إخلالاً في المنهجية العلمية. تقسيمات فوكوياما وهانتنغتون، تتماشي مع فكر

المحافظين الجدد، التي تسعى صراحة لخلق إمبراطورية أمريكية استعلائية على كافة دول العالم، وهذا ما ينظر له فوكوياما وهانتنغتون بأن الولايات المتحدة الأمريكية النموذج الأمثل لكل دول العالم، وهذا يعني بأن طروحات فوكوياما وهانتنغتون تدعم القوة والنفوذ الأمريكي في النظام العالمي الجديد. وبظهور أُطروحة هانتنغتون تواترت أُطروحة فوكوياما من السياسة الأمريكية، لأن هانتنغتون يحمل نظرة أكثر واقعية لمستقبل العالم "الصراع من أجل المصلحة الوطنية"، وبذلك يخالف وجهة نظر فوكوياما لمستقبل العالم الذي بشر بالسعادة الإنسانية، وأعاد هانتنغتون "العدو" في الفكر الأمريكي من جديد المتمثل بالإسلام، ليبرر سياسة الولايات المتحدة التوسعية في العالم، وقد أنهت أُطروحة هانتنغتون ما جاءت به أُطروحة فوكوياما لمستقبل الولايات المتحدة من اطمئنان ونهاية للشر الأيديولوجي، فهو يمثل النظرة الليبرالية للعالم.

وأخيراً يمكن القول بأن التاريخ لن ينتهى في ظل مشاكل الفقر والمرض والفوارق والظلم والقهر الذي يعانى منه الإنسان من جانب، والمشكلات التي تواجه الأيديولوجيا الديمقراطية الليبرالية نفسها كالأزمات المالية وزيادة الفوارق الاجتماعية بين البرجوازية والعمال، وكذلك زيادة معدلات الجريمة من جانب آخر. إن الإنسان لا يمكن أن يعيش بدون أيديولوجيا، وبدون عقيدة دينية، حتى لو افترضنا أن نهاية التاريخ طرح نظري وارد تجري محاولة بلوغه باستمرار دون الوصول إلية أبداً (أبو شهيوة وخلف، 1995، ص303). فالتاريخ الذي أبى أن ينحصر في حدود الإمبراطورية الرومانية، لأن هذه الإمبراطورية لا تمثل كل التاريخ، الذي تجاوز ارادة الإمبراطور الفرنسي نابليون، لأنه أقوى منها، ممثلا بشعوب الأرض الطامحة إلى الاستقلال، والذي أدخل هتلر في عداد سفاحي التاريخ، هو نفسه الذي سوف يتجاوز أمريكا ونهاية التاريخ الفوكويامي (محمود، 1992، ص139). أما الصدام الحضاري في رأي هانتنغتون الذي لم ينسى في كل معتقداته وأفكاره، العقيدة التي تحرك توجهاته الفكرية، ففي أعماق اليهودي الأمريكي هانتنغتون تكمن مبادئ التوراة Torah، وشعب الله المختار، وصدام الحضارات في رأيه البقاء للأصلح والأقوى، وهذا ما تنص عليه التوراة صراحه بأن اليهود فوق مستوى الناس جميعاً. أما مسألة نهاية الأيديولوجيا في فكر فوكوياما وهانتنغتون، هي تنظير أيديولوجي جديد ولا تعني نهاية الأيديولوجيا، بل تنظير لأيديولوجيا المحافظين الجدد.

نتائج وتوصيات الدراسة

أولاً: نتائج الدراسة

ثانياً: توصيات الدراسة

أولاً: نتائج الدراسة

من خلال فصول الدراسة يتبين لنا أن أفكار فوكوياما وهانتنغتون حظيت بانتشار واسع في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها. وأن هذه الأفكار تم ممارستها في السياسة الأمريكية في عهد جورج بوش الابن الذي حكم الولايات المتحدة الأمريكية فترتين رئاسيتين (2001–2009)، ولا زالت هذه الطُروحات الفكرية محور نقاش في الدراسات الأكاديمية ومحل إعجاب بعض الساسة وصناع القرار في الولايات المتحدة. وبعد استكمال العمل بهذه الدارسة تم التوصل إلى النتائج التالية:

1. فوكوياما وهانتنغتون يسعيان إلى هيمنة الولايات المتحدة في النظام العالمي الجديد كقوة عظمى وحيدة، وأن الولايات المتحدة هي المؤتمنة على الحضارة الغربية، وعلى مبادئ الديمقراطية الليبرالية. خلافاً لما حملته أطروحات ونظريات المفكرين الغربيين.

2. التنظير الأيديولوجي لفوكوياما وهانتنغتون في ظل النظام العالمي الجديد، هو تنظير لأيديولوجيا المصلحة والاقتصاد بالدرجة الأولي، ولا يقع ضمن الأيديولوجيا السياسية وعلم الأفكار. وهذا التنظير لا يفسر واقع المجتمعات الإنسانية بقدر ما يتحامل عليه لصالح هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية كإمبراطورية عظمى في النظام العالمي الجديد.

3. حملت أطروحتا فوكوياما وهانتنغتون جملة من الفرضيات، وسعيا إلى إثباتها كي تصبح طروحاتهما نظريات سياسية. إلا أن هذه الدراسة أثبتت بأن هناك جملة من الفرضيات كانت خاطئة وبعيدة عن منهج البحث العلمي، بالإضافة إلى أن الواقع أثبت عدم صحة هذه الفرضيات التي قامت عليها طروحاتهما الفكرية.

4. الطُروحات والدراسات للساسة والمنظرين الأمريكيين في مراكز البحوث والدراسات، ذات تأثير مباشر على صناعة القرار في الولايات المتحدة، وذات أهمية بالغة في السياسة الأمريكية لإمكانية تطبيقها والأخذ بها.

5. تنشأ الصراعات الدولية في حالة تصادم المصالح القومية بين الدول، ووفقاً لعدة عوامل من ضمنها العامل الثقافي، ولم يكن العامل الثقافي هو السبب الرئيس في الصراعات الدولية كما ينظر له هانتنغتون.

6. التاريخ لم ينتهى كما ينظر له فوكوياما، ولم ينعم العالم بالسعادة الإنسانية التي بشر بها، فهناك مشكلات رئيسية تعصف بالأيديولوجيا الرأسمالية وخاصة الأزمة العالمية 2008.

7. بالرغم من الاختلاف والتباين في الطرح الفكري لفوكوياما وهانتنغتون، إلا أن هناك إتفاقاً على أسس فكرية يجتمع رأي المحافظين الجدد عليها، كالهيمنة الدولية والقوه العسكرية، ونشر الديمقراطية الأمريكية في العالم.

8. من خلال عرضنا للالتقاء والاختلاف الفكري لفوكوياما وهانتنغتون يتبين لنا أن طروحاتيهما الفكرية جاءتا وفقاً لمعتقدات محددة مسبقاً، ولم تخرج عن إطارها العام، وهي أيديولوجيا المحافظين الجدد.

ثانياً: توصيات الدراسة

في ضوء هذه الدراسة والنتائج التي توصلت إليها، وما اطلع عليه الباحث من دراسات فكرية وسياسية متخصصة لها علاقة بأطروحتي فوكوياما وهانتنغتون، ومن خلال تحليل هاتين الأطروحتين وما تضمنتاه من أفكار ورؤى سياسية لمستقبل العالم في القرن الحادي والعشرين، يمكن لنا القول بأن هناك جملة من التوصيات التي توصلنا إليها، ويأمل الباحث أن تثرى وتسهم في مساعدة الدارسين والباحثين في الفكر الأمريكي وصانعي القرار السياسي وذلك للتعرف على أسنة أقلام المفكرين والسياسيين في الولايات المتحدة الأمريكية، لأهمية التنظير الفكري وممارسته في السياسة الأمريكية، وعليه أوصي بالتالي:

1. قراءة ودراسة كل ما يكتب في مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية، وخاصة تلك التي لها علاقة بمراكز صنع القرار في الولايات المتحدة، وأخذ هذه الدراسات على محمل الجد، وذلك لإمكانية ممارستها في السياسة الأمريكية، خاصة المراكز البحثية ووسائل الإعلام التي يمتلكها المحافظون الجدد، لما لها بالغ الأثر على عامة الشعب وصانعي القرار السياسي في الولايات المتحدة.

2. العمل، من قبل الباحثين والأكاديميين في مراكز الدراسات العربية على مناقشة وتحليل الدراسات المنشورة في المراكز الأمريكية المهمة، خاصه التي تصدر عن مجلة الشؤون الخارجية "Foreign Affairs" وتقديم هذه التحليلات لصناع القرار، والكشف عن أفكار

المراكز الأمريكية، وما يدور حولها للرأي العام العربي، وكذلك إمكانيه الرد على هذه الدراسات، إن أمكن، وذلك على غرار ما يفعله إدوارد سعيد في نفس المجلة.

3. إن الإدارات الأمريكية التي تستمد استراتيجيتها من أفكار وطُروحات مفكريها ليست قدراً محتوماً، فهؤلاء المفكرون لهم عقيدتهم ومصالحهم، وما ينبغي علينا فعله هو وضع استراتيجية مضادة للرد على هذه السياسات التي تستهدف عقيدتنا وحضارتنا، وفقاً لمصالحنا وثقافتنا العربية.

4. العمل على حل النزاعات في العالم العربي، التي تعد من أكثر مناطق العالم انتشاراً ومدخلاً تنظيرياً للمحافظين الجدد والطامعين في الوطن العربي.

5. تقديم رؤية عقائدية عن الإسلام الصحيح للعالم، حتى لا يكون سبباً قوياً للتدخل العسكري الأمريكي في العالم العربي، لأن رؤية السياسيين والمفكرين الأمريكيين أن الإسلام والمسلمين دين تطرف ومتطرفين، والعمل على إبراز قيمنا وثقافتنا العربية التي تجمع بين أقطار الوطن العربي، والتي تعترف بوجود الآخر وفقاً لتعاليم ديننا الحنيف، والسعي لتقديم رؤية ثقافية وفكرية عن الحضارة الإسلامية للعالم.

6. ضرورة التحرك والعمل من أجل قيام الوحدة العربية، وخلق وطن عربي قائم على القومية العربية لا على القطرية العربية، أو على الأقل قيام وحدة عربية اقتصادية تؤدي في نهايتها إلى الوحدة العربية، خاصة أن الحضارة العربية مليئة بالقواسم المشتركة التي تساعد على قيام الوحدة العربية، لمجابهة المهددات الغربية على أقطار العالم العربي والإسلامي، هذا إذا صدقت النوايا، وتحسسنا عبء المسؤولية.

وختاماً، فحسبي بأنني اجتهدت، فإن أصبت فبتوفقٍ من الله عز وجل، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، و الله من وراء القصد.

مراجع الدراسة العربية والأجنبية

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الموسوعات

1. ــــــــــــــ. (2011): الموسوعة العربية. إصدار هيئة الموسوعة العربية، م13، سوريا – دمشق.
2. صليبا، جميل. (1982): المعجم الفلسفي بالألفاظ الغربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. دار الكتاب اللبناني، ج1 و ج2.
3. الكيالي، عبد الوهاب. وآخرون. (ب، ت): موسوعة السياسة. ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
4. لالاند، أندريه. (2001): موسوعة لالاند الفلسفية. (ت) خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت– باريس، م1 – م2.
5. ول وايرل، ديورانت. (1988): قصة الحضارة، المجلد. 1 – ج1،(ت) زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت – لبنان.

ثالثاً: الكتب

أ. الكتب العربية

1. أبراش، إبراهيم. (1999): المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية. شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط – المغرب.
2. أبراش، إبراهيم. (2006): أصول الفكر السياسي من حكم الملوك الآلهة الى الفكر الليبرالي العلماني. ط 2، مكتبة ومطبعة دار المنارة – فلسطين.
3. الأسطل، كمال. (2008): نظريات العلاقات الدولية، جامعة الأزهر– غزة.
4. الباش، حسن. (2005): صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟. دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق – سوريا.

5. بدوى، عبد الرحمن. (1996): فلسفة القانون والسياسة عند هيجل. دار الشروق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان.

6. الجابري(أ)، محمد. (1997): قضايا في الفكر المعاصر. مركز دراسات الوحدة العربية.

7. الجابري(ب)، محمد. (1997): مسألة الهوية: العروبة والاسلام والغرب. مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، سلسلة الثقافة القومية، العدد (227).

8. جربوعة، محمد. (2004): مهلا هانتنغتون.. مهلا فوكوياما "نظرية الشبكة التصفوية في صراع الثقافات والمادة". إعداد المركز العالمي للاستشارات الاستراتيجية، الناشر مكتبة العبيكان الرياض – السعودية.

9. جعفر، صفاء. (1999): محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه. دار المعرفة الجامعية، القاهرة – مصر.

10. جندية، بتول. (2011): على عتبات الحضارة – بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيار. دار الملتقي من أجل وعي أعمق بقضايا الإنسان والعصر. حلب – سوريا.

11. جوزتف، جون. (2007): اللغة والهوية قومية–إثنية– دينية. (ت) عبدالنور خراقي، سلسلة عالم المعرفة، العدد (342)، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

12. حاتم، لطفى. (2010): موضوعات في الفكر السياسي المعاصر. الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.

13. حجار، جورج. (2005): أميركا في طور الرايخ الرابع. دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

14. حسين، خليل. (2011): العلاقات الدولية النظرية والواقع – الأشخاص والقضايا. منشورات دار الحلبي الحقوقية، بيروت – لبنان.

15. الحمد، تركي. (1999): الثقافة العربية في عصر العولمة. الناشر دار الساقي، بيروت – لبنان.

16. الحمداني، قحطان. (2012): المدخل إلى العلوم السياسية. دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان – الاردن.

17. الخطابية، صايل. (2010): مدخل إلى علم السياسة. دار وائل للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

18. خليفة، ع. إسماعيل، ف. (2006): المدخل في الأيديولوجيا والحضارة. الناشر مكتبة بستان المعرفة، القاهرة – مصر.

19. زاهر، ضياء الدين. (2004): مقدمة في الدراسات المستقبلية مفاهيم– أساليب – تطبيقات. المركز العربي للتعليم والتنمية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة – مصر.

20. زناتى، أنور. (2006): الطريق إلى صدام الحضارات مع دراسة لتاريخ الصراع في العالم. الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.

21. سليمان، فريد. (2000): مدخل إلى دراسة التاريخ. مركز النشر الجامعي، القاهرة – مصر

22. شكشك، أنس. (2009): فلسفة الحياة دراسة الفكر والوجود. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

23. شلبي، أمين. (2005): أمريكا والعالم متابعات في السياسة الخارجية الأمريكية 2000– 2005. نشر وتوزيع عالم الكتب، القاهرة – مصر.

24. شميط، وليد. (2005): امبراطورية المحافظين الجدد التضليل الإعلامي وحرب العراق. الناشر دار الساقي، بيروت – لبنان.

25. أبو شهيوة، م. خلف، م. (1995): الايديولوجيا والسياسية دراسات في الايديولوجيات السياسية المعاصرة. ج 2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 1995.

26. الشيخ، رأفت. (2000): تفسير مسار التاريخ نظريات في فلسفة التاريخ. الناشر عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة – مصر.

27. الشيخ، محمد. (2008): فلسفة الحداثة في فكر هيجل. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت – لبنان.

28. صابر، ف. خفاجة، م. (2002): أسس ومبادئ البحث العلمي. مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، الاسكندرية – مصر.

29. صبحى، أحمد. (1975): في فلسفة التاريخ. الناشر مؤسسه الثقافة الجامعية.

30. صعب، حسن. (1997): علم السياسة. دار العلم للملايين، ط3، بيروت – لبنان.

31. أبو صوي، مصطفى. (2011): صراع الحضارات. في كتاب: أهل الكتاب والعيش المشترك، إصدار الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية – القدس، الصفحات: 7-17.

32. طشطوش، هايل. مقدمة في العلاقات الدولية. جامعة اليرموك – الأردن، 2010.

33. الطعان، عبد الرضا. (1992): تاريخ الفكر السياسي الحديث. الناشر دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد.

34. عبد الرحمن، عادل. (2007): النظرية السياسية المعاصرة دراسة في النماذج والنظريات التي قدمت لفهم وتحليل عالم السياسة. الناشر الدار الجامعية، الاسكندرية – مصر.

35. عبد اللطيف، أميمة. (2003): المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة. مكتبة الشروق الدولية.

36. عبد الناصر، وليد. (2010): من بوش إلى أوباما المجتمع والساسة في الولايات المتحدة الأمريكية. مركز الأهرام للنشر والترجمة والتوزيع.

37. عبيدات، محمد، وأخرون. (1999): منهجية البحث العلمي القواعد والمراحل والتطبيقات. دار وائل للطباعة والنشر، ط 2، عمان – الاردن.

38. عثمان، حسن. (2000): منهج البحث التاريخي. ط 8، الناشر دار المعارف.

39. العروى، عبدالله. (1995): الأيديولوجيا العربية المعاصرة (صياغة جديدة). الناشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب.

40. عساف، عبد المعطي. (1995): مقدمة إلى علم السياسة. الناشر دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط2، الرياض – السعودية.

41. العطار، موفق. (2007): المحافظون الجدد والحلم الإمبراطوري. الناشر دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق – سورية.

42. عقيل، عقيل. (1999): فلسفة مناهج البحث العلمي. مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر.

43. عليان، ر، غنيم، ع. (2000): مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان – الاردن.

44. عمر، ع. حجر، ج. (2004): صور من تاريخ العلاقات الدولية في العصر الحديث. دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة – مصر.

45. غالى، وائل. (2002): نهاية الفلسفة دراسة في فكر هيجل. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

46. الغمرى، عاطف. (2009): أمريكا في عالم يتغير. الناشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة – مصر.

47. الفرا، حمد. (2004): محاضرات في الحركات والأحزاب السياسية لطلبة العلوم السياسية، جامعة الأزهر – غزة.

48. فضل، صلاح. (1998): نظرية البنائية في النقد الأدبي، الناشر دار الشروق، القاهرة – مصر.

49. فهد، بدري. (2010): الفكر والحضارة. الناشر دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن.

50. القاضي، فاروق. (2004): أفاق التمرد: قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي والعربي الإسلامي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان.

51. قبيسي، هادي. (2008): السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية. الدار العربية للعلوم ناشرون.

52. قرني، بهجت. (2003): العلاقة بين الفكر والسياسة كما تظهر في نظرية صدام الحضارات. في كتاب: صناعة الكراهية في العلاقات العربية– الأمريكية (تحرير وتقديم) أحمد أحمد وممدوح حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان.

53. كرم، يوسف.(2012): تاريخ الفلسفة الحديثة. كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة – مصر.

54. كيلة، سلامة. (2010): عصر الإمبراطورية الجديدة. مكتبة جزيرة الورد، القاهرة – مصر.

55. ليلة، على. (2006): تفاعل الحضارات بين إمكانية الالتقاء واحتمالات الصراع. دار شركة الحريري للطباعة، القاهرة: جامعة عين شمس، كلية الآداب.

56. مجاهد، مجاهد. (1985): معارك نقدية هيجل قلعة الحرية. الناشر سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

57. مسعد، نفين. (2003): السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الدول العربية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر 2001، في كتاب: صناعة الكراهية في العلاقات العربية–الأمريكية (تحرير وتقديم) أحمد أحمد وممدوح حمزة، الصفحات: 207 – 262، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان.

58. المشاط، عبد المنعم. (2011): قاموس المفاهيم السياسية. الناشر دار الشروق الدولية، القاهرة – مصر.

59. مصطفى، نادية. (2006): جدالات حوار/ صراع الحضارات: إشكالية العلاقة بين السياسي – الثقافي في خطابات عربية وإسلامية. مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة – مصر.

60. مطر، أميرة. (1995): الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس. ط5، دار المعارف، القاهرة – مصر.

61. مطر، أميرة. (2003): مقالات فلسفية حول القيم والحضارة. الناشر مكتبة مدبولي القاهرة.

62. منصور، أشرف. (2008): الليبرالية الجديدة: جذورها الفكرية وأبعادها الاقتصادية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر.

63. منصور، أنيس. (1978): الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله. المكتب المصري الحديث، القاهرة – مصر.

64. مهدي، محمد. (2002): التعددية الإثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية. المركز العلمي للدراسات السياسية.

65. مهنا، م. الصالحي، ع. (1985): علم السياسة بين التنظير والمعاصرة. الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية.

66. مهنا، محمد. (1997): علم السياسة. الناشر دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

67. مؤنس، حسين. (1978): الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. سلسلة عالم المعرفة، العدد الأول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

68. مؤنس، حسين. (1984): التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ. الناشر دار المعارف – مصر.

69. النشار، مصطفى. (1999). تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

70. النشار، مصطفي. (2012): فلسفة التاريخ معناها ونشأتها وأهم مذاهبها. الناشر دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان – الأردن.

71. نهويض، وليد. (1996): المفكرون العرب ومنهج كتابة التاريخ. الناشر دار ابن حزم، بيرت – لبنان.

72. الهزايمة، محمد. (2005): قضايا دولية تركة قرن مضي وحمولة قرن أتى. المكتبة الوطنية عمان – الأردن.

73. ياسين، أبو علي. (1994): على دروب الثقافة الديمقراطية، الناشر دار حوران للدراسات والطباعة والنشر.

ب. الكتب المترجمة

1. اشبنغلر، أسوالد. (1964): تدهور الحضارة الغربية. (ت) أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، ج1، بيروت – لبنان.

2. أشكروفت، بيل. وآخرون. (2010): دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الرئيسية. (ت) أحمد الروبى وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر.

3. بايبر، مايكل. (2006): كهنة الحرب الكبار. (ت) عبد اللطيف أبو البصل، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية.

4. بردويل، فرناند. (1999): تاريخ وقواعد الحضارات. (ت) حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5. بريتون، رولان. (1993): جغرافيا الحضارات. (ت) خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان – بيروت.

6. بوشنسكي، إ. م. (1992): الفلسفة المعاصرة في أوروبا. (ت) عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، العدد 165، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت.

7. بوميان، كريزيستوف. (2007): تاريخ البُنى. (إعداد) جاك لوغوف: التاريخ الجديد، (ت) محمد المنصوري، الصفحات: 193 – 233، المنظمة العربية للترجمة.

8. بيتر مارتن، هـ. شومان، هـ. (1998): فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. (ت) عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، العدد (238)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

9. تندر، جلين. (1993): الفكر السياسي الأسئلة الأبدية. (ت) محمد مصطفي غنيم، الناشر الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.

10. توبيني، أرنولد.(ب، ت): الحضارة في التاريخ. (ت) أحمد عصام الدين.

11. تودروف، تزفيتان. (2009): الخوف من البرابرة، ما وراء صدام الحضارات. (ت) جان ماجد جبور، الناشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة).

12. توفلر، الفن. (1990): حضارة الموجة الثالثة. (ت) عصام قاسم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازى– ليبيا.

13. توينبي، أرنولد. (2006): الحضارة في الميزان. (ت) أمين محمود الشريف، آفاق ثقافية– سلسلة الكتاب الشهري (34)، ط2، القاهرة – مصر.

14. ج. س. هيرسول. (1987): سياسات وأفكار دراسة علمية تحليلية لمفهوم النظرية السياسية الاجتماعية مع تطبيقاتها على واقع السياسية الأمريكية العامة. (ت) صلاح الدين الشريف، الناشر مكتبة الانجلو المصرية.

15. جاكوبي، راسل. (2001): نهاية اليوتوبيا. (ت) فاروق عبد القادر، سلسلة عالم المعرفة، العدد (269)، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت.

16. جان جاك، شوفالييه. (1998): تاريخ الفكر السياسي. (ت) محمد صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

17. دوفرجيه، موريس. (2009): مدخل إلى علم السياسة. (ت) جمال الأتاسي وسامي الدروبي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان.

18. ديريدا، جاك. (2006): أطياف ماركس. (ت) منذر عياشي، ط2، الناشر مركز الإنماء الحضاري، حلب – سورية.

19. ستروك، جون. (1996): البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا. (ت) محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، العدد (206)، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون– الكويت.

20. سنغاس، دييتر. (2008): الصدام داخل الحضارات "التفاهم بشأن الصراعات الثقافية". (ت) شوقي جلال، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة).

21. شتراوس، م. كروبسي، ج. (2005): تاريخ الفلسفة السياسية. (ت) محمود سيد أحمد، ج2، المجلس الأعلى للثقافة.

22. شوا، إيمى. (2011): عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على عرض العالم وأسباب سقوطها. (ت) منذر محمود محمد، الناشر مكتبة العبيكان.

23. على، طارق. (2008): الحضارات المعذبة الإسلام والغرب. في: كولن مويرز(معد). الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. (ت) معين الأمام، الناشر مكتبة العبيكان للنشر، الصفحات: 75 – 94، الرياض– السعودية.

24. غريفيش، م. أوكالاهان، ت. (2008): المفاهيم الاساسية في العلاقات الدولية. (ت) مركز الخليج للأبحاث.

25. فوكوياما (أ)، فرانسيس. (1993) نهاية التاريخ وخاتم البشر. (ت) حسين أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

26. فوكوياما (ب)، فرانسيس. (1993): نهاية التاريخ والإنسان الأخير. تقديم مطاع صفدي، (ت) فؤاد شاهين وآخرون، مركز الانماء القومي، بيروت – لبنان.

27. فوكوياما، فرانسيس. (2006): مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية. (ت) إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دراسات مترجمة (23)، أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة.

28. فوكوياما، فرانسيس. (2007): أمريكا على مفترق طرق. (ت) محمد التوبة، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية.

29. فولكوغونوف، ديمتري. (1995): ستالين الواقع والأسطورة. (ت) حازم حجازي، دار المشرق للطباعة والنشر والتوزيع.

30. كامبانى، كريستيان. (2003): الفلسفة السياسية اليوم أفكار، مجادلات، رهانات. (ت) نبيل سعد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة – مصر.

31. كرستول، إرفنغ. (2005): قناعة المحافظة الجديدة ماذا كانت، وكيف أصبحت. في: أرون ستلز(تحرير). المحافظون الجدد. (ت) فاضل جتكر، الناشر مكتبة العبيكان، الصفحات:59 – 65، الرياض – السعودية.

32. كوش، دنيس. (2007): مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. (ت) منير السعيداني، الناشر المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية.

33. كولر، جون. (1995): الفكر الشرقي القديم. (ت) كامل حسين، سلسلة عالم المعرفة، العدد 199، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

34. كون، توماس. (1992): بنية الثورات العلمية. (ت) شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد (168)، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت.

35. كونزمان، بيتر. (1991): وأخرون. أطلس الفلسفة. (ت) جورج كتورة، ط2، الناشر المكتبة الشرقية.

36. لاكوست، إيف. (2010): الجغرافيا السياسية للمتوسط. (ت) زهيدة جبور، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث– كلمة.

37. لوغوف، جاك. (2007): التاريخ الجديد. إعداد: جاك لوغوف، (ت) محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة.

38. ليشته، جون. (2008): خمسون مفكراً أساسياً معاصراً. (ت) فاتن البستاني، الناشر المنظمة العربية للترجمة.

39. ماتلار، أرمان. (2008): التنوع الثقافي والعولمة. (ت) خليل أحمد خليل، دار الفارابي، بيروت – لبنان.

40. مانهايم، كارل. (1980): الايديولوجيا واليوتوبيا مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة. (ت) محمد رجا الديريني، الناشر شركة المكتبات الكويتية.

41. مجموعة مؤلفين. (1997): نظرية الثقافة. (ت) علي سيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 223، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

42. موني، أ. إيفانز، ب. (2009): العولمة المفاهيم الأساسية. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (ت) آسيا دسوقي، بيروت – لبنان.

43. مويرز، كولن. (2008): الحنين إلى الإمبراطورية تعديل التاريخ الإمبريالي للقوة الأمريكية. في كتاب: كولن مويرز (معد). الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. (ت) معين الأمام، الناشر مكتبة العبيكان للنشر، الصفحات: 167 – 204، الرياض – السعودية.

44. ميردين، سايمون. (2004): الصراع الثقافي في العلاقات الدولية: الغرب والإسلام. (الإعداد والتحرير) جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، (ت) مركز الخليج للأبحاث، الصفحات: 782 – 812.

45. ميكسينزوود، إلين. (2008): الديمقراطية كأيديولوجيا للإمبراطورية. في: كولن مويرز (معد). الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. (ت) معين الأمام، الناشر مكتبة العبيكان للنشر، الصفحات: 25 – 43، الرياض– السعودية.

46. نيسبت، ريتشارد. (2005): جغرافية الفكر– كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف... ولماذا؟. (ت) شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، العدد (312)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.

47. هابرماس، يورغن. (2003): العلم والتقنية كأيديولوجيا. (ت) حسن صقر، منشورات الجمل، اللاذقية – سوريا.

48. هاسنر، بيير. (2005): عمانوئيل كانط. في كتاب: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، (تحرير) ليو شتراوس وجوزيف كروبسي، (ت) محمود سيد أحمد، ج2، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة – مصر.

49. هالبر، س. كلارك، ج. (2005): التفرد الأمريكي المحافظون الجدد والنظام العالمي. (ت)عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

50. هانتنغتون، صمويل. (1999): القوة العظمي الإنفرادية البعد الجديد للقوة. (ت) مركز فلسطين للدراسات والبحوث، تراجم (2)، مطابع التوفيق، غزة – فلسطين.

51. هانتنغتون، صمويل. (1999): صدام الحضارات. وإعادة صنع النظام العالمي. (ت) طلعت الشايب، ط2، الناشر سطور.

52. هنية، آدم. (2008): مدح الإمبراطورية الليبرالية الجديدة في ظل السلام الأمريكي. في: كولن مويرز (معد). الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية. (ت) معين الأمام، الناشر مكتبة العبيكان للنشر، الصفحات: 247 – 293، الرياض – السعودية.

53. هوبزباوم، إريك. (2011): عصر التطرفات القرن العشرون الوجيز، 1914-1991. (ت) فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.

54. هيجل، غيورغ. (2006): فينومينولوجيا الروح. ترجمة وتقديم ناجي العونلي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان.

55. هيرن، فولفجانج. (2011): التحدي الصيني. (ت) محمد حسين، كتاب العربية (14)، وزارة الثقافة والاعلام بالمملكة العربية السعودية.

56. هيك، جين. (2010): عندما تتصادم العوالم بحث الأسس الأيديولوجية والسياسية لصدام الحضارات. (ت) أحمد محمود، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – كلمة.

57. هيود، أندرو. (2012): مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية. (ت) محمد صفار، المركز القومي للترجمة، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، القاهرة – مصر.

58. وولش، ديفيد. (1995): عصر ما بعد الأيديولوجية. (ت) سامية الشامي وطلعت غنيم، مكتبة مدبولي – القاهرة.

رابعاً: الدوريات والمجلات

1. أبو زيد، أحمد. (2012): نظرية العلاقات الدولية: عرض تحليلي. المجلة العربية للعلوم السياسية، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (36)، الصفحات: 47-76، خريف 2012.

2. بو بكر، جيلاني. (2011): فلسفة العولمة وبيانها النظري، قراءة نقدية. مجلة الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، دورية دولية محكمة تصدرها جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، العدد (7)، الصفحات: 21-27.

3. الجاسور، ناظم. (2010): الفكر السياسي الأمريكي والنظام الدولي الجديد. المجلة السياسية والدولية، تصدر عن كلية العلوم السياسية – جامعة المستنصرية، العدد (16)، الصفحات: 1– 6.

4. جمعة، حسين. (2006): الهوية وثقافة التغيير. مجلة الفكر السياسي، العدد (24)، السنه الثامنة، الصفحات: 7– 24، شتاء 2006.

5. جندلي، عبد الناصر. (2013): النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة. مجلة المفكر، العدد (5)، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة– الجزائر، الصفحات:118–143، نيسان/إبريل2013.

6. الحروب، خالد.(2008): في الفكر السياسي الأمريكي الجديد: عودة التاريخ و رابطة الديمقراطيات. مجلة المستقبل العربي، الناشر مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (357)، الصفحات: 21 – 38، لشهر تشرين الثاني/ نوفمبر2008.

7. حسن، محمد. (2008): الجيو بوليتك ونظرية صدام الحضارات لهانتنغتون. المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، العدد (16)، السنه الخامسة، الصفحات: 19–45.

8. خالقى، ع. عبد الوهاب، ر. (2009): رابطة دول جنوب شرق آسيا "الأسيان ASEAN" نموذج الدول النامية للإقليمية المنفتحة. يصدرها مخبر العولمة واقتصاديات شمال إفريقيا بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر، العدد السادس، الصفحات: 81–94، حزيران/يونيو 2009.

9. خفاجي، باسم. (2009): أثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية الأمريكية. مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (369)، الصفحات: 39 – 48، تشرين ثاني/ نوفمبر2009.

10. راهي، قيس. (2012): دور الدولة في أطروحة صدام الحضارات لصمويل هانتنغتون دور المملكة العربية السعودية أنموذجاً. مجلة الخليج العربي ، تصدر عن جامعة البصرة– العراق، المجلد (15)، العدد (3–4)، الصفحات: 251 – 290.

11. ربيع، محمد. (1978): الأيديولوجيا السياسية ماهيتها ودورها وعلاقتها بالحقائق والقيم. مجلة مصر المعاصرة، العدد (374)، السنه التاسعة والستون، الصفحات: 107 – 122.

12. سعيد، إدوارد. (1997): صدام المفاهيم. مجلة الكرمل فصلية دورية. (ت) منى أنيس، تصدر عن مؤسسة الكرمل الثقافية ، العدد (53)، الصفحات: 48 – 63، خريف 1997.

13. الصالح، عبد الحميد. (1997): فوكوياما والخطاب الليبرالي في سقوط الأيديولوجيا. مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية، المجلد13، العدد (3)، الصفحات: 39 – 83.

14. عروسي، سهيل.(2002): مأزق الليبرالية : نهاية التاريخ نموذجاً. مجلة الفكر السياسي، العدد (15)، تصدر عن هيئة اتحاد الكتاب العرب بدمشق، الصفحات: 97 – 125، خريف 2001 شتاء 2002.

15. عطوان، محمد. (2009): أوليات الفكر السياسي الغربي المعاصر(فرضية صدام الحضارات أنموذجا). مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، الإصدار2، الصفحات: 230 – 267.

16. الغامدي، عبد الله. (1997): الأيديولوجية السياسية الامريكية: محدداتها اتجاهاتها الرئيسية وتأثيرها على السياسة العامة. مجلة شؤون اجتماعية، تصدر عن جمعية الاجتماعيين، العدد (56)، السنه الرابعة، الصفحات: 83 – 110، شتاء 1997.

17. الغرباوي، حسام. (2005): الليبرالية: نظرة في منطلقاتها الفكرية وآفاقها المستقبلية. مجلة العلوم السياسية – جامعة بغداد، الإصدار 30، الصفحات: 27 – 58.

18. اللهيبى، فائز. (2007): برنارد لويس عراب المحافظين الجدد. مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، جامعة الموصول، المجلد السادس، الصفحات: 57 – 75.

19. محمد، بلخيرة. (2013): برديغمات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجاً. مجلة الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، دورية دولية محكمة تصدرها جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، العدد(10)، الصفحات: 77 – 85.

20. محمود، إبراهيم. (1992): فلسفة نهاية التاريخ الأمريكية. مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (164)، الصفحات: 132 - 143، تشرين أول/ أكتوبر 1992.

21. محمود، ف. زيدان، س. (2013): الأطاريح الفكرية في عالم ما بعد الحرب الباردة أطروحة صدام الحضارات أنموذجا. مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية- العراق، المجلد الخامس، العدد (18)، السنة الخامسة، الصفحات: 312-329.

22. مولد، ع، فياض، ع. (2011): مستقبل الأيديولوجيا واليوتوبيا في الفكر السياسي الغربي الحديث. مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، السنة الثانية والعشرون، العدد (43)، الصفحات: 31-54.

23. الناصري، محمد. (2013): مستقبل العلاقات الدولية: من صراع الحضارات إلى أنسنه الحضارة وثقافة السلام. مجلة المستقبل العربي، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (410)، الصفحات: 150-154، نيسان/إبريل 2013.

خامساً: الرسائل العلمية غير المنشورة

1. أبو نحل، حسام. (2011): المحافظون الجدد وتأثيرهم على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط: مشروع نشر الديمقراطية نموذجاً 2001- 2008، قسم العلوم السياسية، جامعة الأزهر- غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة.

2. الأنصاري، عبد الله. (200): الأيديولوجيا واليوتوبيا في الأنساق المعرفية المعاصرة دراسة مقارنه بين كارل مانهايم وتوماس كون. قسم الفلسفة، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية- جمهورية مصر العربية.

3. الجمرة، يونس. (2009): الرؤية العقائدية للجيل الثاني من المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية تجاه المشرق العربي. كلية العلوم الإنسانية- قسم العلوم السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا- الأردن.

4. سمحة، عمر. (2005): العولمة الثقافية والثقافة السياسية العربية: برنامج الإصلاح الديمقراطي والثقافة السياسية التشاركية في الوطن العربي. الدراسات العليا برنامج التخطيط والتنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين.

5. العلوي، نهاوند. (2005): فلسفة التاريخ من منظور فكر غربي معاصر دراسة (كارل بوبر، فوكوياما، هانتنغتون) العولمة وتأثيرها في العالم العربي. قسم الفلسفة – كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، العراق.

6. قنديل، وردة. (2010): البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي، الدراسات العليا – كلية الآداب، قسم اللغة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية – غزة.

سادساً: الصحف

1. إسبر، على. (2006): الكتب البارزة في التاريخ الفكري للإنسان. "فينومينولوجيا الروح" للفيلسوف هيجل كاملا بالعربية. جريدة الحياة السعودية، العدد15788، ص:16، 26حزيران/يونيو 2006.

2. بويا، ماء العنين. (2008): الحرب الحضارية الأولي. جريدة القدس العربي، السنة العشرون، العدد (5922)، ص:17، الاربعاء 18 حزيران/ يونيو2008.

3. حسن، سيد. (2009): ترجمه عربية لكتاب صمويل هانتنغتون الأخير أمريكا المستقبل ترفع شعار لابد من عدو!. دنيا الثقافة، ص:18، السنة 134، العدد (44921)، الاربعاء 2 كانون أول/ ديسمبر 2009.

4. العرفاوي، ناجى.(2012): فوكوياما يبدأ التاريخ بعد أن أنهاه. أخبار الخليج الجريدة اليومية الأولي في البحرين. العدد (12638)، ص:12، الاثنين 29 تشرين أول/أكتوبر 2012.

5. فرج، ريتا. (2013): برنارد لويس ... المستشرق الكلاسيكي. جريدة الحياة السعودية، 30 مارس/ آذار2013، ص 16.

6. وهبة، مراد. (2012): رؤيتي لـ"القرن العشرين" (53) 1955. جريدة الأهرام، العدد (45837)، ص:12، السنه 136، الثلاثاء 5 حزيران/يونيو 2012.

7. يسين، السيد. (2010): صعود وسقوط القوى العظمي. جريدة الحياة الجديدة– فلسطين، العدد (5413)، ص: 29، الاثنين 29 تشرين ثاني/نوفمبر 2010.

سابعاً: المؤتمرات وورش العمل

1. عروة، عباس. (2006): "صدام الحضارات" من منظور علم النزاع والسلم. في المنتدي الفكري الأول لمركز الجزيرة للدراسات، بعنوان: الإسلام والعرب: من أجل عالم أفضل، الدوحة 26–28 أيار/ مايو 2006.

ثامناً: المراجع الأجنبية

Books

1. Bottum, Joseph. (2004): Social Conservatism and the New Fusionism. Edited by peter berkowitz, Varieties of Conservatism in America, Stanford University Stanford, California, by the Board of Trustees of the Leland Stanford Junior University.

2. Fukuyama, Francis. (2012): The Future of History. Can liberal democracy survive the middle class?. Edited by: Gideon rose and Jonathan Tepperman, The Clash of Ideas, Foreign Affairs, pp. 309-322, February2012 .

3. Lindberg, Tod.(2004): Neo-conservatism Liberal Legancy. Edited by peter berkowitz, Varieties of Conservatism in America, Stanford University Stanford, California, by the Board of Trustees of the Leland Stanford Junior University.

4. Sargent, Lyman. (2009): Contemporary Political Ideologies A comparative analysis, printed in Canada.

5. Schmandt , j. ward, c. (2000): Sustainable Development: The Challenge of Transition, Cambridge University Press.

6. Dynkin, Alexander. (2011): Strategic Global Outlook: 2030. Russian Academy of Sciences, Institute of World Economy and International relations.

Journals

1. Fox, Jonathan. (2002): Ethnic Minorities and the Clash of Civilizations A Quantitative Analysis of Huntington Thesis. British Journal of Political Science, vol. 32, issue. 3 , pp. 415 - 434, July 2002.
2. Jamaica, Mona. (2012): Nkrumah and the Triple Heritage Thesis and Development in Africana Societies, International Journal of Business, Humanities and Technology, Vol. 2 No. 2; pp68-76, March 2012.
3. Jaquette, J. Lowenthal, A. (2009): Samuel P. Huntington(1927-2008). International Studies, University of Chile, vol. 162, pp. 107-124.
4. Knight, Kathleen. (2006): Transformations of the Concept of Ideology in the Twentieth Century. American Political Science Review, Vol. 100, No. 4, pp. 619-626, November 2006.
5. Lewis, Bernard.(1990): The Roots of Muslim Rage. The Atlantic Online, September 1990
6. Muller, Jen. (2006): Comprehending conservatism: A new framework for analysis. Journal of Political Ideologies, vol. 11, pp359–365.

تاسعاً: المواقع الإلكترونية

1. أنباء موسكو. (2013): دراسة: الحزب الشيوعي هو الفائز الحقيقي في انتخابات الدوما. آذار/مارس 2013.

(http://anbamoscow.com/russia/20130313/380780414.html, 2-12-2013).

2. الأسدي، حسين. (2002): من نهاية التاريخ إلى صدام الحضارات. الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية، العدد (8444)، الخميس 10 كانون ثاني/يناير 2002.

(http://www.aawsat.com/details.asp?section=5&article=81970&issueno=8444#.UpsGCuKK71U, 9-7-2013).

3. بومسهولي، عبد العزيز. (2011): كوجيف فيلسوف الرغبة، مجلة نزوي، العدد (67)، تصدر عن مؤسسة عُمان للصحافة والنشر والاعلان، مسقط- سلطنة عُمان، تموز/يوليو 2011.

(http://www.nizwa.com/articles.php?id=3695, 14-9-2013).

4. بوعرفة، عبد القادر. (2013): الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ. إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية. العدد (11)، الصفحات: 59 -107، المجلد الثاني، أيار/مايو 2013.

(http://insaniyat.revues.org/7989, 23-8-2013).

5. التيار التقدمي الكويتي. (2012): على بوابة العام الجديد نجاحات انتخابية لقوى اليسار والأحزاب الشيوعية في 2012. 30 كانون أول/ ديسمبر 2012.

(http://taqadomi.com/%D8%B9%D9%84%D9%89%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%A8%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%AD%D8%A7%D8%AA%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D9%8A/, 26-12-2013).

6. الجابري، على. (2013): نيتشه بين فلسفة التاريخ والأخلاق، إكسير السياسية والثقافية والعلوم-المغرب، 9شباط/فبراير 2013.

(http://ixiir.com/homepage/ ixiir.com/articles, 10-8-2013).

7. الخراشي، سليمان. (ب، ت): الكاثوليك.. الأرثوذوكس.. المارون.. البروتستانت، موقع صيد الفوائد.

(http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/46.htm, 4-10-2013).

8. الخولي، محمد. (2013): الغرب مطالب بإدراك أن المعرفة لم تعد حكراً عليه. صحيفة الشعب المصرية، يوم السبت 16 آذار/مارس 2013.

(http://elshaab.org/thread.php?ID=53760, 11-12-2013).

9. حميد، بوشما. (2010): نقد نظرية صدام الحضارات من المنظورين البنيوي والتاريخي. جريدة طنجة الأدبية، مقالات ودراسات، 18تشرين أول/أكتوبر 2010.

(http://www.aladabia.net/ar/article-5692-1_1. 9-12-2013).

10. الركابي، زين العابدين. (2012): على حافة (فوضي عالمية). الشرق الأوسط جريدة العرب الدولية، العدد (8775)، 7 كانون أول/ديسمبر2002.

(http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=140070&issueno=8775#.UpsR8uKK71U, 4-9-2013).

11. سعيد، عبد المنعم. (2001): إذا لم تكن الحضارات، فماذا؟. ملفات الأهرام، جريدة الأهرام، العدد (42028)، الاثنين 31 كانون أول/ديسمبر 2001.

(http://yyy.ahram.org.eg/archive/2001/12/31/FILE3.HTM, 28/11/2013).

12. السعيدي، عبد السلام. (2000): جدلية التاريخ والحضارة. مجلة فكر ونقد، العدد (34)، كانون أول/ديسمبر 2000.

(http://www.aljabriabed.net/n34_09saidi.htm, 12-4-2013).

13. صيداوي، رفيف. (2012): عصر النهايات أم إتجار بالأوهام، نشرة إلكترونية تصدر عن مؤسسة الفكر العربي، العدد (258)، تشرين أول/ أكتوبر2012.

(http://arabthought.org/%D9%86%D8%B4%D8%B1%D8%A9%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9/%D8%B9%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D9%%D9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D8%A3%D9%85%D8%A5%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%87%D8%A7%D9%85%D8%9F, 23-5-2013).

14. العربي. (2001): ريمون آرون... المتفرج الملتزم. مجلة العربي، العدد(46)، تشرين أول/أكتوبر2001.

(http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache, 23-5-2013).

15. عطا الله، مرسي. (2013): فؤاد عجمي زعيم الشر المستعربين!. جريدة الأهرام، العدد (46304)، 15 أيلول/سبتمبر 2013.

(http://www.ahram.org.eg/News/943/11/231924/ 6-11-2013).

16. غصن، غسان. (2004): قراءة أولى في كتاب "مدينة على جبل" في البحث عن تألف الحضارات لا تصادمها. مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية. المملكة المتحدة- لندن، هذه الدراسة قدمت في ندوة عقدت في المنصف بدعوة من حركة الشبيبة الأرثوذكسية، 29آب/اغسطس2004.

(http://asharqalarabi.org.uk/barq/b-waha-q-a.htm, 9-11-2013).

17. لبنان. (2012): أهمية التاريخ والجغرافيا في نشوء الأمم والشعوب، مأخوذة من كتاب "أهمية التاريخ والجغرافيا في نشوء الأمم والشعوب" تأليف جواد بولس، موقع لبنان الابداع والفكر والتراث، 23 تشرين ثاني/ نوفمبر 2012.

(http://browse.feedreader.com/c/lebanonism_com/213628601, 9-12-2013).

18. وولف، مارتن. (2011): نهاية رجل التاريخ في سفر جديد من مجلدين. الاقتصادية جريدة العرب الدولية، تصدر في السعودية، العدد(6457)، 16 حزيران/يونيو 2011.

(http://www.aleqt.com/2011/06/16/article_549480.htmlm, 22-8-2013).

19. Huntington, Samuel. (1993): If Not Civilizations, What? Samuel Huntington Responds to His Critics, Foreign Affairs, November/December 1993 .

(http://www.foreignaffairs.com/articles/49414/samuel-p-huntington/if-notcivilizations-what-samuel-huntington-responds-to-his-crit, 27-11-2013).

20. Wiarda, Howard. (December2013): Wilson Center Experts. Wilson Center.

(http://wilsoncenter.org/staff/howard-j-wiarda, 2-12-2013).